حميدي أبوبكر الصديق

دراسات في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية

ديوان المطبوعات الجامعية

الدكتور جيدي أبوبكر الصديق

دراسات
في الحركة الوطنية
والثورة الجزائرية

ديوان المطبوعات الجامعية

© ديوان المطبوعات الجامعية
رقم النشر:4.07.5675
رقم ر.د.م.ك(ISBN):978.9961.0.1929.0
رقم الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2016.

مقدمة

لقد لفت انتباهي أثناء دراساتي أن العمل التاريخي تركز حول قضايا معينة ومتعلقة بسيرورة الأحداث التاريخية بالجزائر أثناء الاستعمار، فأردت المساهمة المكملة لذلك من خلال تناول هذه الفترة من تاريخ الحركة الوطنية والثورة ضمن محطات معينة وركزت فيها على محاور أربعة.

الأول: الفعل الاستعماري من رصد سجل جرائمه بالجزائر في ظل التطورات الدولية من حقوق الإنسان وقيام الهيئات الدولية. وكيف كانت هذه الجرائم عاملا محركا في بناء الفكر التحرري والانتقال إلى الفعل الثوري.

والثاني: ركزت فيه على حركة الهجرة في المحيط المغاربي وتحديدا تونس لما شكلته من قاعدة اجتماعية للجزائريين منذ الاحتلال وعلمية من خلال الاستفادة من حواضرها العلمية، كما تناولت حركة الهجرة الجزائرية نحو فرنسا، وكيف شكلت هذين الوجهين رافدا في العمل الوطني ضد الاستعمار والاطلاع على ما يجري في العالم واكتساب آليات جديدة في العمل.

والثالث: كان اهتمامي كبيرا بالحركة الإصلاحية، محاولا تقديم عمل يغطي بعض الجوانب التي كانت غامضة في هذا المجال. وركزت على البعد العربي والمغاربي للحركة الإصلاحية الجزائرية، وباعتبار أن هذا المجال واسع يحكم الفترة التي يشملها وتعدد العاملين في هذا الحقل فإن البحث يبقى في حاجة إلى إضافات وتحديد لبعض القضايا كلما توفرت معارف ووثائق جديدة.

وفي نفس الوقت تقديم صورة متماسكة حول الفكر الإصلاحي في الجزائر في بعده العربي الإسلامي والوطني في ضوء الحركة التاريخية. وضمن هذا الصياغ كان هذا العمل المتواضع الذي يدور حول نشاط الحركة الإصلاحية ورؤيتها الجديدة في التعليم والتعامل مع التيارات الأخرى كالطرقية والاندماجيين وكذلك الوقوف على أهم الجسور والروابط التي كانت تصل الحركة الإصلاحية بالمحيط المغاربي والعربي وحتى في أوساط المهاجرين الجزائريين

والمسلمين بفرنسا. وكذلك تقديم نماذج معينة من نشاط بعض الشخصيات الإصلاحية في هذا الميدان.

وأعتقد أن الاهتمام يبقى قائما بدور الحركة الإصلاحية وتشاطاتها المشعبة في الداخل والخارج والعلاقة مع الشخصيات الأخرى وخاصة في البلدان العربية، وأنه لابد من التنقيب في كثير من آثار هؤلاء في الصحافة العربية المعاصرة لهذه الفترة.وفي كل الحالات فإن هذا العمل يبقى جهد المقل وعربون عرفان للذين ساهموا في النهضة والتعليم وتصحيح التفكير والمعتقد وصناعة روابط الوطنية والأخوة على مختلف دوائرها.

والرابع: تعلق ببعض الخطات المتعلقة بالثورة وخاصة بالعمل العسكري الحدودي وخاصة في المراحل الخرجة من الثورة، وكذلك مساهمة بعض الشخصيات في هذا الميدان.

وهذا العمل هو محاولة لاستقراء ما أمكن من الوثائق والمصادر التي عثرنا عليها في هذا الموضوع في مختلف المكتبات ودور الأرشيف العربية وفي فرنسا من أجل سد ما نراه يحتاج إلى إضافات وتوضيح بعض القضايا، ولا نقول أنني أغلقت البحث في هذا الباب بقدر ما فتحت المسائل حول الكثير من القضايا والشخصيات الإصلاحية والثورية.

المحور الأول
الجرائم الفرنسية

الجرائم الفرنسية في ظل القوانين والأعراف الدولية

شكل الرصيد الاستعماري الفرنسي في الجزائر سجلا حافلا من الممارسات القمعية الرسمية والفردية التي قل نظيرها في التاريخ المعاصر، والتي تكسرت أمامها كل الشعارات المرفوعة والقيم الحضارية التي جاءت بها الفلاتية الفرنسية، وسجل لنا التاريخ سلسلة متعاقبة من الانتهاكات التي تعد جرائم بكل المقاييس والأعراف الدولية بحق المدنيين في الجزائر. وكانت هذه الانتهاكات تنفذ من قبل جيوش رسمية وتحضى بمباركة السامة الفرنسيين مع تكرار حدوثها.وتنوعت بين الإبادة والحرق الجماعي للمدنيين على اختلاف أعمارهم، والتقتيل الفردي والعشوائي دون محاكمة، وإخضاع الجزائريين لقوانين خاصة تسيح أرواحهم وممتلكاتهم وتكرس نموذج متقدم من التمييز العنصري وتطبق قانون الغاب.

ولاشك أن آثار هذه الممارسات اللاإنسانية قد انعكست على البنية الاجتماعية والثقافية والمنظومات القيزيولوجية واستمر تأثيرها إلى اليوم وهو مايجعلها جرائم ممتدة للأجيال.

كما أن بشاعة المجازر المرتكبة والآلة العسكرية المسخرة ضد المدنيين العزل فاقت كل التصور البشري، وبالتالي فإن رصد هذه الانتهاكات وتصنيفها بالزمان والمكان والمسؤولية يضع منظومة القيم والشعارات الفرنسية على المحك، ويحمل المسؤولية المعنوية والقانونية الدولة الرسمية التي أشرفت على هذه الانتهاكات من أجل استمرار القروات وتسخير الطاقات لبناء المجد الاستعماري ورفاهية المجتمع الفرنسي على حساب الشعب الجزائري. وإذا كان الأمراك

يجرمون اليوم بسبب الأرمن ويجرم من أنكر الهولكوست وفق لوائح أهمية فما هو موقع الجرائم المدنية الفرنسية من ذلك؟.

عرض الجرائم الفرنسية على القوانين والأعراف الدولية

لا شك أن الخوض في موضوع الانتهاكات الفرنسية ضد المدنيين يحملنا على قياس هذه السلوكات وفق الحد الأدنى الذي تعاقدت عليه الشعوب المعاصرة على أنها أفعال ضد الإنسانية أو تصنف على أنها جرائم ضد البشرية. وإن صارت هذه الأحداث في حكم التاريخ، أو حتى قبل أن تصدر مثل هذه القوانين والأعراف أحيانا. لكن المحكمة التاريخية هي ضمير إنساني متواصل لا تتلاشى أحكامها بالتقادم أو تتعارض مع القيم الإنسانية السليمة، وبالتالي فالأخذ بها يجعل الشعوب الحالية مدركة لميراث دولها وأممها السابقة ومسؤولياتها الحالية. وإذا عرضنا الجرائم الفرنسية على أهم الأعراف القانونية المعاصرة فإن الإدانة تثبت في أكثر من زاوية.

فميثاق نورمبورغ يحدد مصطلح الجرائم ضد الإنسانية في المادة (6ج) بأنها: القتل العمدي، الإبادة، الاسترقاق، الإبعاد والأفعال اللإنسانية المرتكبة في حق مجموعة من السكان [1].

كما أن ميثاق طوكيو نص في المادة (5/ج) على نفس الأصناف من الانتهاكات [2].

وجاء في قوانين المحكمة الدولية الجنائية التي أقرت وفق مؤتمر روما في 15 جوان 1998 أن الأفعال التي تعد جرائم ضد الإنسانية هي ما ارتكب في شكل هجوم واسع أو منهجي موجه ضد مجموعة من السكان المدنيين، وعلى علم بالهجوم، ونذكر عنها: القتل العمدي، والإبادة والاسترقاق وإبعاد السكان قسرا

1- محمد عبد المنعم عبد الغني، الجرائم الدولية دراسة في القانون الدولي الجنائي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2008، ص 202.

2 – محمد عبد المنعم عبد الغني مرجع سابق، ص 202.

والتعذيب والاغتصاب أو اضطهاد مجموعة سكانية لأسباب دينية أو عرقية، أو الاختفاء القسري للأشخاص أو الأفعال التي من شأنها تسبب معاناة شديدة أو يلحق أذى عقلي أو بدني.

وإذا أخذنا هذه الأعراف والمواثيق وما انطوت عليه من قوانين وعشرين لأنواع الجرائم نجد أن الانتهاكات الفرنسية ضد المدنيين الجزائريين كلها مصنفة ضمن الجرائم ضد الإنسانية من حيث القصد والفعل والآثار بالنص الكامل.

نماذج من الجرائم الفرنسية

1- الإبادة الرسمية للمدنيين:

ونقصد بهذه الإبادة ما أقدمت عليه السلطات الفرنسية كتوجه سياسي منهج من قبل الساسة الكبار من خلال تعليماتهم للقادة العسكريين بتنفيذ سلسلة من الإجراءات العسكرية التي من شأنها تحقيق هدف الإخضاع الكامل للمستعمرة، والهدف من هذا السلوك هو التخلص من كل توازع المقاومة، ومن جهة أخرى إظهار عظمة فرنسا وقوة بطشها حتى لا تفكر جهة أخرى في المقاومة. وبالتالي فإن هذه الإبادة إن لم تحصد الجميع فإنها تبيد جزء كبير من السكان، ولا تفرق بين المدني والعسكري.

2-مذبحة البليدة:

كانت هذه المذبحة رد فعل على فشل دوبورمون[1] في الاستيلاء عليها ولذلك كان الإقدام عليها هذه المرة بوحشية فاقت الإحساس البشري في عهد كلوزيل وبقيادة "تروليز" والذي نصب مدافعه باتجاه المدينة دون تمييز فكان الطفل والشيخ والمرأة محل الإبادة وكانت حصيلة ذلك أكثر من أربعمائة (400) شهيد وما صاحبها من نهب وسلب للممتلكات رغم أن كثيرا من المدنيين كانوا قد غادروا المدينة نحو المناطق الجبلية منذ الخطة الأولى، وربما حدة

1- أقدم في 20سبتمبر 1830 على رأس 1200 جندي وفشل في خطته.

الغضب وروح الانتقام لاسترجاع الهيبة الفرنسية هو الذي جرهم على ارتكاب مثل هذه الأعمال التي لم تفرق بين مدني وعسكري ومسالم كما صور لنا ذلك حمدان بن عثمان خوجة[1] بقوله: "إن شياطين السوء تظهر في كل العصور، تجر وراءها أنواعا من الآفات، والسلوك في كل عهد مجبرون على مشاهدة تلك المعارك، يدوسون الجثث بأقدامهم ويسمعون صيحات الألم... ويرون أخيرا جميع ويلات الهب والموت"[2].

3- مذبحة العوفية (الحراش) في 07أفريل1832

ذهب ضحية هذه المذبحة حوالي 12000 شهيد من قبيلة العوفية على يد السفاح دي روفيقو بهدف الإخضاع الكامل للمنطقة التي اقتمت باعتراض وسلب ميعوث فرحات بن سعيد الذي كان معذبذبا بين الولاء للأمير وفرنسا، وحلال هذه الحملة أباد حتى الأبرياء المدنيين وفقل بحقتهم وقطع الأيدي والآذان لأحذ الحلي وقطع رأس شيخ القبيلة المسمى الشيخ ربيعة أمام الملأ لأخذ هدية للقائد دي روفيقو الذي بدوره سلمه لطبيب يدعى يوناقون لإجراء التجارب عليه. وهذه الأعمال التي تمتاق والسلوك العسكري السليم ناهيك عن القيم الإنسانية حيث عرضت أساور النساء في معاصم مقطوعة والأقراط في آذانها تباع في سوق باب عزون بالعاصمة ثم وزعت عائداتها على السفاحين وقد تباهى بذلك القائد الفرنسي وشكر جيوشه على تأديب هذه القبيلة[3].

4- مذبحة 1844 (السبيعية):

قرب نهر الشلف والتي نفذها السفاح الكولونيل كافيياك إثر هروب السكان إلى إحدى المالجئ (المغارات) القريبة خوفا من بطش فرنسا التي كثيرا

---

1 - حمدان بن عثمان خوجة، المرآة تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، ط2، ش ون ت، الجزائر، 1982، ص 245.

2 -ن نفسهص249.

3 - فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها "ليل الاستعمار" ت: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المغرب، ص 79.

ما سمعوا عن وحشيتها. ولكن القائد الفرنسي أقدم على غلق المداخل وإشعال النار في إحدى المداخل فمات معظم من فيها خنقا وخرج القليل منهم حيا، ولا شك أن هذا السلوك كان يضاهم ودعوته بجلب المعمرين، وبالتالي فإن منهج الإبادة كان وحشية متمكنة في نفسية القادة وطريقة لإحلال المعمرين وتمليكهم للأرض كما فعل ذلك كافيياك[1].

5- مذبحة بني صبيح 1844:

وهي من فعل كافيياك أيضا الذي جمع من وجد أبناء هذه القبيلة التي يرى أنها مقاومة للفرنسيين في مغارة وخنقهم بالدخان، ومن كان غير موجود في القبيلة في هذه الرحلة، فقد قام بجمعهم العقيد كاترومار بعد سنة وطبق عليهم نفس الإجراء[2]، وقد صار كافيياك نموذجا فرنسيا لبقية القادة مثل الماريشال بيجو، وبليسيه وغيرهم في التنكيل والإبادة الجماعية بهذه الطريقة، حتى قال أحدهم بيجو – "إن اعتصم هؤلاء الأوباش بكهوفهم افعل ما فعله كافيياك بقبيلة بني صبيح عليك بخنقهم كالثعالب"[3].

6 – مجزرة الفراشيش19 جوان 1845:

في حق بني رياح بجبال الظهرة والتي أشرف على تدميرها السفاح: بيجو[4] الذي عرف بعنجهيته الزائدة في استعمال العنف وترسيخ أقدام الفرنسيين بالجزائر ولذلك أصدر جملة من القوانين القمعية كمصادرة الأراضي

1-الصقلي الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة صفي بن عيسى، م و ك، الجزائر، 1968، ص 294.

2-منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954مجلة المصادر، ع4، 1421 هـ، 2001، ص 222.

3- فرحات عباس، المرجع سابق، ص 56.

4- من مواليد 10 أكتوبر 1784 وتوفي في 1849 بالكوليرا واسمه الكامل توماس بيجو دولا بيكونتري حكم الجزائر من 29/12/1840 إلى 29 جوان 1847 ويعد من أساطين الفكر الاستعماري واستعمال الوحشية والعنف للوصول إلى هذا الهدف بالجزائر.

وخاصة أراضي القبائل الثائرة، وإعطاء صلاحيات كبيرة للمكاتب العربية في مراقبة السكان، واتجهج سلوك حرق المحاصيل وطرد السكان لأدنى قمعة، وتسليط العقوبات الجماعية والغرامات العشوائية.

وهذه الجزرة (بني رياح) نفذها العقيد بليسيه (PELISSIER)[1] وتعتقد أن هذه الجزرة تظل وصمة عار في جبين التاريخ الفرنسي وتتضاءل أمامها كل المجازر النازية. وحدثت هذه المجزرة في ناحية جبال الظهرة (جنوب العنصر حاليا)، ولا شك أن هذه الجريمة الشنعاء اهتزت لها الصحافة الفرنسية والعالمية حينها ووصلت حتى البرلمان الفرنسي، أما داخل الجزائر فلم ترد إلا حقدا على فرنسا وتأييدا لمقاومة الأمير[2]. ولا شك أن قتل أكثر من 752 شهيد في هذا الزمن القياسي[3] وبهذه الطريقة قد أثار الرعب في أوساط السكان وزاد من وتيرة المقاومة عكس ما كانت تخطط له الآلة العسكرية الفرنسية.

وفي عهد بيجو أيضا ارتكبت مجزرة أخرى بالقرب من منطقة تنس وهذه المرة على يد السفاح سانت آرنو في 12 أوت 1845 في إحدى الغارات وبنفس الطريقة[4].

---

1 ـ أرجع بعض الدارسين أسباب إقدام فرنسا على هذه المجزرة إلى روح المقاومة التي كانت تقودها قبيلة بني رياح لمقاومة الشيخ الشريف محمد بن عبد الله المعروف بيومعزة. أنظر: بوعزة بوضرساية وآخرون، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007، ص 126.

2ـ سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، (1900-1930)، ج 1،ص 255.

3ـ حاول بعض الفرنسيين عملية تحميص العرب أو شوائهم وتعددت الإحصائيات منهم من أوصلها سبع آلف قتيل أما التقارير الرسمية الفرنسية فذكرت 600 قتيل وذكر أميرون (500 قتيل). أنظر: شارل روبير أميرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى مصطفور، ط2، د.م.ج، الجزائر، 1982، ص 64.

4 ـ بلعيد محمد الأمين، تاريخ الجزائر المعاصرة دراسات ووثائق، ط2، دار بن كثير، بيروت، 2007، ص 90.

إن هذه الأعمال جاءت في ظروف كانت فيها الأوامر الرسمية من قبل الساسة والعسكريين قائمة وليست عارضة، وأنها تكررت أكثر من مرة وليست ضد أشخاص محدودين بل على حساب المئات، وليست في مواجهات عسكرية أو معارك قائمة بل هو ضد عزل لاجئين بأنفسهم في ملاجئ، وتعددت المصادر التي تؤكد هذا الجرم حين الفرنسية منها، وهي أفعال فاقت كل التصور البشري والحس الإنساني. ولا ندري أين نضع هذا السلوك وما قطعه دوبورمون على نفسه من عهود مع السكان أثناء بداية الاحتلال.

وأين كان العقل الفرنسي الذي رفع شعارات الثورة الفرنسية أم أن ذلك لا يعني إلا الشعوب الأوربية[1].

ونعتقد أن هذا يساير النظرة التي كان يحملها بعض القادة أمثال بيجو وهو كاثوليكي متعصب وأن حربهم في شمال إفريقيا لها قداسة الصليب ضد الهلال، وهذه الرؤية كفيلة بتفسير هذا العمل الوحشي. فنجده يقول" إن الله من أمامك... إلى الجيوش وإله المعارك... وبجمعمات لا تقوم إلا على الدماء والدموع... إن الهدف من حربنا في إفريقيا هو أقدس وأسمى من حروبنا في أوربا"[2].

وبالعالي فالإنسان الفرنسي ليس بالضرورة أن يكون حاملا لأفكار التمدن والحرية إلى غيره، وقد صور هذا التناقض في العقلية الفرنسية ابن باديس حين قال: "أيتها الحرية التي يغنى بمفاتنك الشعراء، وتسفك في سبيلك الدماء أين أنت في هذا الوجود. كم من أمم تجفل بعيدك وقد وضعت نير العبودية على

1- إن الثورة الفرنسية وشعاراتها ساعت لعلاج وضعية أوربية وفرنسية بالتحديد، ومع مرور الزمن ثبت أن العقلية الفرنسية التي رفعت هذه الشعارات كانت تنظر إليها على أنها صالحة لعلاج وضع فرنسي لاحتلالاته الطبقية ومشاكله الاجتماعية وليس بالضرورة تطبيق ذلك على العلاقة القائمة بين الشعوب الأوربية والشعوب المستعمرة وإلا أين كان موقف الساسة المفكرين وتأثيرهم وأين الرأي العام رغم أن الصحافة كانت تنقل كل ذلك، فضلا عن المشاهد المباشرة.

2- المصطفى الأشرف، مرجع سابق، ص 272.

أمم وأمم، وكم قوم نصبوا لك المصائد في الأرض وهدموك في القلوب والعقول..."[1].

نماذج في القرن العشرين

ومن هذه النماذج خلال القرن العشرين مجازر 8 ماي 1945 التي تعد جرما تعرفه كل الشعوب المعاصرة ولا داعي لذكر تفاصيله ولكن الشاهد الذي هو محل مناقشة هو الفعل العمدي في الإبادة الجماعية على شعب أعزل وفي مظاهرة سلمية وفي يوم عيد النصر للحلفاء وبرخصة مسلمة من السلطات الفرنسية، فأجرم كان مع سبق الإصرار والإدراك في الإقدام على ارتكابه، ومن جهة ثانية أن عدد الشهداء كان رهيبا (45000 شهيد) وهو رقم قياسي لم تشهده الشعوب في القرن العشرين إلا في هيروشيما وناكازاكي مقارنة بالزمن الذي استغرقته الأحداث، ومن جهة ثالثة هو التحالف الذي أظهرته كل الفئات والأطراف الفرنسية على اختلاف توجهاتها ومهامها في قمع وإبادة هذا الشعب (عسكريين ومدنيين معمرين، رأسماليين وشيوعيين...)

ونذكر سعد الله في هذا الموقف لقد كان القمع الفرنسي رهيبا ووحشيا ولا إنسانيا وشارك فيه الجيش والبحرية ورجال الدرك والميليشيات الأوربية، ويفعل كل من لا يحمل الراية الفرنسية الخفاقة دون سابق إنذار[2].

والأمر الرابع هو الإبادة الجماعية لكل الفئات من أطفال ورجال وشيوخ ونساء دون تمييز بالسلاح الخفيف أو الطائرات والمدافع.

1- محمد مصطاي، تاريخ الأدب الجزائري، د ط، ش و ن ت، الجزائر، 2010، ص 402، وقد قال هذا الكلام بمناسبة الاحتفال الفرنسي بعيد الحرية في 14جويلية 1989.

2- سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصرة، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996، ص 100.

والخامس هو عملية التدمير المصاحبة للممتلكات من حقول وحيوانات وقتل ممتلكات وتصفية عشوائي حتى من البحر، واستخدام أعتى الآلة العسكرية وخاصة الطائرات وكأنها حرب ضد جيش متطور.

مجزرة ساقية سيدي يوسف:

8 فيفري 1958 الواقعة على الحدود التونسية والتي سخرت لها فرنسا أكثر من 25 طائرة تنزل القنابل الانشطارية على المنطقة التي تضم لاجئين جزائريين في تونس[1] وقضت على أكثر من 150 شهيدا على اختلاف العمر والجنس وسويت بالأرض المنازل والمدارس والمنازل[2].

مجازر 17 أكتوبر 1961التي أقدم على تنفيذها محافظ الشرطة لباريس:

موريس بابون وبأمر من وزير الداخلية روجيه فيري، وإذا كان الهدف منها هو وضع حد للتنظيم السري الفوري للجزائريين المهاجرين، وتجفيف منابع التموين ولذلك فرض حضر التجول ابتداء من الثامنة مساء إلى الخامسة والنصف صباحا، وقد كان قرار الجالية الجزائرية بالتظاهر السلمي ليلة 17 أكتوبر 1961 مطالبين بإلغاء حضر التجول الجائر عليهم رافعين شعارات ترفض التمييز العنصري والحضر، وتنصر للجزائر، وبدأوا يتجولون بشوارع باريس الرئيسية وكان الرد الوحشي إطلاق النار دون تمييز أو تروي وإلقاء العشرات في نهر السين وجرح المئات وتم اعتقال أكثر من 1200 ونقل بعضهم للجزائر قسرا وهذا غايت أدين ضروب الحرية والحياة الدنية في عاصمة الحرية!

جرائم النفي والتهجير:

إن جرائم الإبادة السابقة الذكر قد ساهمت في الهجرة القسرية للسكان نحو مناطق أخرى داخل الجزائر أو خارجها وهذا خوفا من حصول مجازر جديدة في حقهم أو بحثا عن مناطق آمنة، وكسب قوتهم لأن أراضيهم قد

1- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، مرجع سابق، ص 221.
2- تلك هذه العملية الجنرال رؤول سالان.

صودرت وأملاكهم نهبت وكانت الوجهة نحو الحدود المغربية والتونسية وبلدان المشرق العربي كالشام والسعودية، ولا شك أن هذه الهجرة كان من بينها نخبة مثقفة وعائلات ذات نفوذ ساهم في تفكيك البنية السياسية والاجتماعية للمجتمع.

وبالمقابل كانت فرنسا تشجع الاسبيطار في الجزائر مكان المناطق المهجورة. وإذا كانت هذه الهجرة قد مست المناطق التي أبيدت أو أحرقت ممتلكاتها، فإن القضاء على حرية المؤسسات الدينية والعلمية قد جعل العديد من العائلات والشخصيات العلمية تهاجر خارج الجزائر وهو ما ساهم في ازدياد الأمية، وحدوث فراغ في القيادات العلمية. وتعطيل العديد من المؤسسات الدينية وهذا يضاف إلى اجرائم الثقافية في حق الجزائريين.

النفي الرسمي للأفراد والقبائل وهذا النفي سواء كان داخليا أو نحو الخارج فإن أوجهه قد تعددت من حيث التهم الموجهة أو الظروف التي أحاطت به ونقدم لذلك نماذج منها:

معاقبة القبائل الثائرة في وجه المحتل مثل ما حدث للقبائل التي ناصرت الأمير أو المقراني، أو بومعزة، قبائل أولاد بوزيد (واحة العمري 1876) ببسكرة على يد كارتري[1].

وهناك عمليات نفي مست الأفراد تهمهم واهية أمثال ابن العنابي (نحو الإسكندرية)، ابن الكبايطي، مصطفى، بومزراق باي الغيطري، والعديد من الشخصيات التي هجرت إلى كورسيكا وكاليدونيا الجديدة والتي بلغت (104) إثر ثورة المقراني (منهم بومزراق، وسي عزيز المقراني...).

1- محمد العربي ولد خليفة، فرنسا تعذب في الجزائر – فضائع سياسة التعذيب والجريمة المنظمة - القصادر ع ت المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 1422/2001، ص 150.

وفي القرن العشرين نموذج الأمير خالد خارج الوطن والإبراهيمي نحو آفلو وغيرهم.

جرائم أخرى ضد المدنيين:

1- قوانين المصادرة للأراضي: وبلغت هذه القوانين منذ الاحتلال إلى 1870 أكثر من 877 قانون نوعت بين المراسيم والقرارات والتعليمات والدشاشير وأخرى صادرة عن مجلس الشيوخ وتعد هذه الفترة أعنف مرحلة جرد فيها الجزائريين من مصدر قوتهم مما عرضهم للتجويع والهجرة.

2- القوانين الجائرة: التي تعطي للحكام المعاقبة دون محاكمة (قانون الأهالي) (code de l'indigens).

3- جرائم التعذيب والاغتصاب.

4- التمييز العنصري في الحقوق والتعليم والصحة.

5- تهديم المؤسسات الدينية (فالعاصمة وحدها كانت تضم سنة 1830 (166 مسجدا وزاوية) وفي سنة 1862 لم يبق منها سوى 48.

6- إقامة المحتشدات الجائرة.

7- المجارب النووية: التي فجرت أول قنبلة في 13 فيفري 1960، وكان أكثر من 150 جزائريا محل المجارب خلال هذه المجارب ولا تزال حتى اليوم تؤذي الإنسان والحيوان والنبات، وحسب الدراسات أن الإشعاع النووي امتد إلى أبعد الحدود وخاصة عبر الرياح التي تحمل الرمال المشعة ومن الأمراض التي خلفتها تلاحق الجزائريين إلى اليوم كل أنواع أمراض السرطان، والعقم وفقدان البصر والسمع والإجهاض، هذا فضلا عما يتلقاه الإنسان من غذاء وهواء مشوه بالإشعاع النووي.

وبالتالي فإن الانتهاكات المدنية في حق الجزائريين إذا صنفت بناء على القوانين الدولية من حيث ظروفها فإنها تتوفر فيها كلها أركان الجريمة الدولية من حيث الجانب المادي والمعنوي والدولي والشرعي فالاعتداء على مجموعة من السكان أو منطقة آهلة بالسكان عمدا كان أمرا واقعا من قبل السامة والقادة

العسكريين ويتكرر في كل مرة وبشكل منهجي من قبل دولة تهدف إلى ارتكاب مثل هذه الجرائم[1].

ومن حيث الجانب المعنوي هو توفر القصد الكامل والإرادة والعلم من قبل الجناة ضد مجموعة سكانية لها خصوصية دينية وثقافية وعرقية، مع علمهم بما ينطوي عليه هذا الفعل من اعتداء جسيم على حقوق الإنسان والركن الثالث: هو أن تكون الجريمة القائمة في حق السكان من قبل دولة على شعب دولة أخرى بشكل واسع ومنهجي ضد المدنيين مع علم كل المسؤولين بهذه الهجومات.

وأخيرا توفر النص القانوني الشرعي في القانون الجنائي الدولي على كل التشريعات التي تصنف الجرائم الفرنسية على أنها جرائم ضد الإنسانية، وتحدد لها العقوبات، هذا فضلا عن كل الأعراف والاتفاقيات الدولية التي تحرم ذلك[2].

1- عادل عبد الهادي، المحكمة الجنائية الدولية، ط1، دار النهضة العربية، 2002، ص 79.
2- عبد الواحد محمد إسماعيل، الجرائم ضد الإنسانية، إشراف علي محمد حسين حماد، جامعة نايف، السعودية، 2006، ص 85.

أحداث الثامن ماي
والاعتراف الفرنسي بالحقيقة التاريخية

أولا: الحقيقة التاريخية للجرائم

مقدمة:

كانت هذه الذكرى الأليمة في البداية عند خروج الجزائريين للاحتفال في 8 ماي 1945 بانتصار الحلفاء على دول المحور، لكن فاجعتها كانت مجازر دموية، خلفت أكثر من 45 ألف شهيد، سقطوا برصاص قوات الاحتلال الفرنسي في شوارع سطيف وفي أقران الجبر بقالمة وبأعماق أحاديد خراطة وقسنطينة وقرى عديدة بشرق البلاد وغربها ووسطها. وكانت فرنسا تعتقد أنه بأسلوبها الوحشي هذا ستتمكن من وأد الحرية والانعتاق عند الجزائريين إلى الأبد. ولم تكن تدري أن مجازر 8 ماي 45 ستشكل منعرجا حاسما.

ويبقى الاعتراف الفرنسي بهذه الجرائم البشعة معلقا بالرغم من أن التاريخ شاهد عليها، ويجمع المؤرخون بما في ذلك الفرنسيون بأن ما وقع مجازر ضد الإنسانية، ويصفها كبار الساسة المهتمين بتاريخ القرن العشرين، بالهولوكوست الفرنسي بالجزائر.

1-تحليل الأسباب

إن هذه الأحداث بدون شك لها أبعاد تاريخية متعددة ولكن في هذه المرحلة كان أهم عامل حاضر هو غياب القنوات البديلة للتعبير السلمي للجزائريين وكذلك وجود حالة مزرية من ضروب العبودية في المناطق التي مسحها الأحداث (الهضاب العليا، وسهول واد زناتي وقالمة) على أيدي الشركات الفلاحية الكبرى ونظام الخماسة الظالم.

كما أن تلك الإهانات وعبارات العنصرية (العنصر القذر) التي كان يطلقها الأوربيون على الجزائريين كانت عاملا مؤثرا في النفوس.[1] إضافةإلى أن الجزائريين قد وصلوا إلى حالة لم يكونوا يخفون فيها كراهيتهم للعنصر الأوربي الذي تسبب في بؤسهم. هذا إضافة إلى ما يذهب إليه البعض أن الحماس المتولد عن مؤتمر سان فرانسيسكو، وتأثير الجامعة العربية له أثر واضح في بث روح اليقظة السياسية.

2- قراءة في تطور الأحداث

إن هذه المظاهرات التي كانت مرخصة من الشرطة الفرنسية وتشريفا ليوم النصر عند الحلفاء، وسبقتها بعض المظاهرات في أول ماي بالعاصمة ووهران وقسنطينة وسطيف وتجددت في السابع ماي بسطيف والتي يبدو أنها رددت بالمناطق المعروفة ولكن سلطات الاحتلال كانت أكثر عنفا في ضواحي سطيف التي حملت لافتات استفزت سلطات الاحتلال.[2]

ويقول فرحات عباس "فمهما يكن من أمر فإن مظاهرات الثامن ماي كانت أشد خطرا من سابقاتها بأن هنا نصب الاستعمار كمينه"[3]، كما ذكر الشيخ خير الدين في مذكراته أنه في مساء 7 ماي اجتمع الإبراهيمي والعربي التبسي ومحمد خير الدين وفرحات عباس وأحمد مزغنة وحسين لحرش وحسين عسلة لدراسة الوضع بعد مقتل أحد أبناء العاصمة من عائل (ابن الخفاف) وأصدروا بيانا شديد اللهجة وكلفوا عباس وسعدان بمقابلة الوالي العام بالجزائر وتبليغه نتائج الاجتماع والاحتجاج على تعسف الشرطة ولكن بعد أن قدما إلى مركز الشرطة في صبيحة 8 ماي 1945 اقتيدا إلى طائرة نحو السجن العسكري بقسنطينة[4].

1- أبو الصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الجزائرية 1931- 1945، ط1، دار البعث، الجزائر، 1401هـ-1981، ص 264.
2- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996 ص 102.
3- نفسه، ص 105.
4- نفسه، ص 100.

كما ضرب حصار على مركز حركة أحباب البيان بالعاصمة وخضع للتفتيش، ثم يذكر خير الدين أنه تم حرق الوثائق الخطيرة بالمركز قبل المداهمة، ثم التقى خير الدين والتبسي والابراهيمي والعمودي لدراسة أحداث سطيف وما حولها، وقال الإبراهيمي حينها "إن معركة 8 ماي هذه ستكون الحد الفاصل بين المطالبة بالحقوق السياسية وبين الاستعداد للثورة المسلحة لانتزاع الحقوق المغصوبة طال الزمان أم قصر وختم الجلسة ببيت لشاعر عربي:

ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن الكلا وحز الرقاب

وفي اليوم الموالي اعتقلت الشرطة الإبراهيمي من منزله نحو السجن العسكري بقسنطينة حيث يوجد عباس ومعدان، كما نقل خير الدين والتبسي إلى سجن الحراش ثم سجن وهران[1].

د – تشخيص لجرائم قمع المظاهرات

نلاحظ أن هذه المظاهرات كانت مواجهتها بشكل يدل على أن التخطيط لذلك كان محكما من جهة، ومن جهة أخرى وحدة التفكير والحقد الذي يجمع بين السياسي والعسكري والمدني المعمر في الجزائر تجاه المجتمع الجزائري، كما سخرت مختلف الإمكانيات العسكرية بما فيها الطيران لقمع مظاهرة سلمية مرخصة، بحيث اعترفت الصحف الرسمية الفرنسية كيف لعب الطيران دورا في الاستطلاع وتحديد المناطق ونقاط التجمع وتفريقها[2].

وراحت جهات فرنسية تقول أن من قام بهذا العمل هم جماعة من المشاغبين تسعمد وحبها من هعر ومستعملة طريقه (تقصد المتظاهرين)[3]

1- مير الدين محمد، مذكرات الشيخ محمد مير الدين، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ت ط. ص 88.
2- نفسه ص 81.
3- سعد الله، أبحاث وآراء، المرجع السابق، ص 104.

ومناسب أن وحشية القمع الفرنسي لم يمارسها حتى المحتل نفسه في هذا الظرف الزمني القياسي على المدنيين.

وقد شارك في قمع هذه المظاهرات الجنود الفرنسيين وكذلك الجنود السنغاليين المجندين (كفرق مشاة) وكذلك فرق الصباغية والملغيف الأجنبي.[1] وتشير بعض المصادر إلى أن 12 طائرة من نوع B26 و6 من نوع (P39) شاركت في قمع المظاهرة[2].

وباعتراف الملاحظين أجانب أثناء الأحداث أنهم قدروا عدد القتلى بين 17000 و40000 مسلم رغم التعتيم الإعلامي الفرنسي حول قمع المظاهرة وأن عدد القتلى لم يتجاوز 600 مسلم حتى تقزم من هول المجزرة ولا تتعثر المظاهرة في ربوع الوطن فيصعب التحكم فيها ويستغلها زعماء الحركة الوطنية لإثارة الرأي العام في الداخل والخارج كما ذهبت فرنسا لربط المظاهرة بأنه وراءها مؤامرة فاشية، ونازية لتحرير قمعها.

ولا يفوتنا هنا الإشارة إلى أن المعمرين (المدنيين) في المدن والقرى كانت لهم مساهمة في قمع المظاهرة والدعم الإعلامي والمادي إلى جانب الجيش واعتبروا أن الدائرة هذه المرة تعنيهم بالدرجة الأولى ولا بد من الدفاع عن أنفسهم وممتلكاتهم، وخاصة أنهم يعرفون بأنهم السبب في شقاء وجوع الجزائريين لنزع أراضيهم، وبلغ حجم المأساة درجة كبيرة مهما اختلفت وتضاربت الأرقام بالنسبة للجزائريين والغالب أنها لم تقل عن أربعين ألفا وبالمقابل لم يقتل من الفرنسيين سوى 102 فقط، وقد وصف فرحات عباس مشهد قمع المظاهرة: أن حوادث 8 ماي عادت بنا إلى القرون الوسطى والحروب الصليبية[3].

1- نفسه، ص 106.
2- نفسه، ص 106.
3- فرحات عباس، المصدر السابق، ص 200.

وتجسد هذا الأمر بشكل جلي في تحالف المعمرين والإدارة والأحزاب إلى جانب الجيش الفرنسي من أجل حماية السيادة الفرنسية حسب تعبيرهم مما جعل منهم جبهة استعمارية موحدة.

4- النتائج:

أن طبيعة المواجهة ونتائج التحقيق الوطنية دلت على التمسك الفرنسي بالجزائر والروابط الوثيق بين السلطة العسكرية والإدارية والمستوطنين وخاصة بعد مشاهدة الرايات الوطنية في المظاهرة. كما أن القمع الذي هذاء المستوطنون بكل قواهم المادية والدعائية وتخويفهم للسلطة من تزايد خطر الحركة الوطنية كان الهدف منه إسكات كل أشكال التعبير لكن الذي وقع كان العكس.

ورغم إعادة تشكيل الحركة الوطنية فإن التيارات كلها تبنت شعارات الحرية أو محاربة الاستغلال كما زاد الحقد على المستوطنين فهم رمز الشقاء بالنسبة للجزائريين وزيادة النزعة الاستقلالية لديهم بشكل واضح. وبالمقابل أصبحت الإدارة الاستعمارية أكثر خدمة للمعمرين وحماية مصالحهم وسد الباب في وجه الطموحات الجزائرية[1].

يأس الاتجاهات الوطنية من كل الوعود وخاصة بعد التضحيات المقدمة أثناء الحرب العالمية والتي عبر عنها الإبراهيمي "دبقراطية زائفة كذب نبيها مرتين في قرن واحد"[2].

اقتناع زعماء الحركة الوطنية بأن سياسة الثورة بالقانون والمطالبة بالإصلاحات طريق لاجدوى له في الواقع وبالتالي ازدياد تبلور فكرة الثورة والعنف ضد المستعمر ومن بوادر ذلك ظهور المنظمة الخاصة بعد مدة وجيزة 1947.

---

1 .MAM FOUD KADDACHE , histoire du nationalisme Algerienne,2 Ed, ENAL, Algerie p 719.

2- أبو الصفصاف عبد الكريم مرجع سابق ص 266.

ثانيا – فرنسا الرسمية بين عقبة الاعتراف بالجرائم والنظرة نحو المستقبل

1– إقرار بعض المؤرخين الفرنسيين:

أبدى المؤرخ الفرنسي بنيامين ستورا موقفه في محاضرة بسطيف موقفه المؤيد "لإعادة فتح الأرشيف ورفع المنع عن النقاش حول تاريخ الاستعمار بالجزائر" خصوصا فيما يتعلق بمسائل هامة كالمجارب النووية والأنظمة المضادة للأفراد والمفقودين الجزائريين خلال معركة الجزائر أو استعمال النابالم. وفي مداخلته بدار الثقافة هواري بومدين بدعوة من جمعية قدامى تلاميذ ثانويتي الفيروالي ومليكة قايد احتمر مؤلف "الاغتراب إي لوبلي" (التعفن والنسيان) بالإضافة إلى أربعين مؤلفا حول الفورة التحريرية والحركة الوطنية بالجزائر "بأننا نعيش من جديد منع فتح النقاش حول تاريخ الوجود الفرنسي بالجزائر وهو المنع الذي يبرز على وجه الخصوص في الخطاب الذي ألقاه الرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي بطولون (فرنسا) في 25 سبتمبر2006" بالإضافة إلى "قانون 24 فيفري 2005" الذي يتحدث عن "حصيلة إيجابية" للاستعمار. واستبعد السيد بنيامين ستورا إمكانية النظر إلى "التاريخ المشترك" المكتوب من طرف الجزائريين والفرنسيين مثلما كان مع التاريخ المشترك بين ألمانيا وفرنسا مشيرا في هذا الصدد إلى أن البلدين (الجزائر وفرنسا) "لا يحتفظان بذات التقارير" حول هذا التاريخ المشترك ويوجد "فارق كبير" في إحياء هذه التواريخ.

أكد المؤرخ الفرنسي أو ليفي أو كور غراند ميزون أنه على فرنسا الاعتراف بكل الجرائم والمجازر التي ارتكبت في حق الجزائريين طيلة 132 سنة. وأوضح السيد غراند ميزون خلال لقاء نظم من طرف دار نشر بارزاك وجريدة الوطن الأسبوعي "ويك أند" أنه يجب أن يكون الاعتراف بالجرائم أوسّع وليس مقيّد بين الفترة 1954 و1962، كما يجب أن يشمل الاعتراف بالجرائم والمجازر الاستعمارية ابتداء من 1830 وتمتد إلى1962.

2- مواقف الساسة الفرنسيين وضرورة الخطوة الجريئة:

وفي المظاهرة التي أقامتها الجالية الجزائرية في أكتوبر 2011 بباريس والتي حضرها عدد من المثقفين والسياسيين ومنهم المرشح الاشتراكي حينها فرانسوا هولاند والسيد جون بيار بيل رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي والسيد كلود دوبيل رئيس مجموعة الصداقة بين الجزائر وفرنسا بمجلس الشيوخ.تلاحظ أن الجميع ندد بهذه المجازر وبالأسلوب الوحشي واللاإنساني ضد مظاهرة سلمية والمسجل في هذا اللقاء هو مطالبة هؤلاء المسؤولين لبلادهم الاعتراف رسميا بهذه المأساة التي ستبقى وصمة عار في جبين فرنسا. ونحن نذكر هذا الأمر لندلل على الخطاب الذي يؤديه الساسة الفرنسيين في مرحلة معينة متعلقة بالانتخابات ثم تتغير المواقف أو يظهر عليها نوع من الالتفاف[1].

من جهته يرى المؤرخ الفرنسي أن تصريحات الرئيس الفرنسي هولاند خلال زيارته شهر ديسمبر الماضي إلى الجزائر التي" تتعلق بالاعتراف بالجرائم الاستعمارية تشكل خطوة أولى تتطلب خطوات أخرى".مضيفا في ذات السياق أن ما حدث في الجزائر خلال حقبة الاستعمار معروف في فرنسا، مأسفا أن المسؤولين الرئيسيين الفرنسيين لم تتم إدانتهم أو محاكمتهم عن الجرائم التي ارتكبوها". وأضاف الرئيس الفرنسي الذي كان عميقا مميزا للإذاعة الفرنسية "أوروب1، أن هذا كان مفيدا لفرنسا وللجزائر حيث خرجتا من 50 سنة صعبة بين فرنسا والجزائر اعتبارا لماض ثقيل وذاكرات مجروحة". وأنه حان الوقت كما قال لفتح صفحة جديدة.

وبخصوص اعترافه امام غرفتي البرلمان الجزائري بـ"الآلام" التي سلطها الاستعمار الفرنسي على الجزائريين قال السيد هولاند أنه كان "من الضروري جدا القول بأن ما كان يطبق ليس من قيمنا". وأضاف أن "النظام الاستعماري

1- بوعلام غريقي، جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر كل لا يتجزأ، مجلة أول نوفمبر ع 176، ديسمبر 2001، ص 10.

بدأ في1830 وكان في الواقع نظام استغلالي قمعي". وأشار أنه فعل ذلك "لكي نتمكن من التوجه إلى المستقبل. وأنه يعمل على تمكين المصالحة حول الذاكرة وأنه يقوم بذلك ليس من باب "التذمر ولا الاعتراف بالذنب لكن حتى نستطيع التوجه إلى المستقبل".

وعلما لم تقبل فرنسا الاستعمارية المطالب التي أطلقها أتراب الشهيد شعال بوزيد، شبل الكشافة الاسلامية الجزائرية وبطلها الفدى، عندما طالبوا بالحرية وترديد نشيد من جبالنا، لم تقبل حتى اليوم، الاعتراف رسميا بمجازرها الرهيبة التي اقترفتها في مظاهرات سلمية تنشد الحرية، والسلام، وفي وقت كانت فيه فرنسا نفسها تتغنى بشعار "حرية، أخوة ومساواة".

ولا تريد فرنسا الرسمية حتى اليوم، تحمل مسؤولية فرنسا الاستعمارية في اقتراف أبشع مجازر في حق الجزائريين الأبرياء، بل أنها أصدرت في 23 فيفري 2005، قانونا يمجد الاستعمار، غير مبالية بشعور الشعوب التي احتلتها وتكلت بها مثلما فعلت مع الشعب الجزائري.

وبالرغم من تصريحات سفير فرنسا الأسبق بالجزائر السيد هوبير كولين دوفرديلن التي أطلقها بولاية سطيف في أعقاب سن قانون 23 فيفري والتي وصف خلالها ما حدث في القامن ماي 1945 بالمأساة التي لا يمكن التسامح معها، فإن فرنسا الرسمية لا تريد الاعتراف بجرائمها المرتكبة في مظاهرات 8 ماي 45، بالرغم من وصف تصريحات السفير الفرنسي وقتها، بأنها تقدم في جدار الصمت الفرنسي كما يسميه بعض الفرنسيين.

وإذا كان السفير الفرنسي السابق السيد برنار جولي قد صرح في محاضرة ألقاها أمام طلبة جامعة 8 ماي 1945، " أن زمن النكران قد ولى وأن هذا التاريخ يحفل للعالم أجمع اليوم الذي وضعت فيه الحرب العالمية أوزارها "، فإن فرنسا لم تقدم بعد اعترافا رسميا، بالرغم من أن تصريح السفير اعتبر آنذاك بمثابة اعتراف محتشم لفرنسا عما ارتكبته من مجازر وإبادة جماعية ضد الشعب الجزائري.

وأمام توفر كل الأدلة التي تدعم ما اقترفته فرنسا في مظاهرات 8 ماي 45 بالجزائر ضد الانسانية، وهذا باعتراف وشهادة مؤرخين وحقوقيين فرنسيين لامعين أمثال نيكول دوريفيس وجان لوي بلانش وبينجامين ستورا وجاك فرجيس، فإن الجزائر تظل تطالب فرنسا باعتراف رسمي في ارتكابها لهذه المجازر التي صنفت ضد الانسانية وإبادة في حق الشعب الجزائري.

لقد توقع متتبعون لشأن العلاقات الجزائرية الفرنسية أن تصريحات الدبلوماسية الفرنسية بالجزائر، السالفة الذكر، تمهد الطريق لاعتراف رسمي فرنسي بجرائم الدولة الفرنسية في الجزائر، خلال زيارة الدولة التي أداها الرئيسي الفرنسي نيكولا ساركوزي للجزائر في 5 ديسمبر 2007، لكن ذلك لم يحدث، حيث تكلم الرئيسي الفرنسي عن أهمية النظر إلى المستقبل بدل التوجه إلى الماضي الذي قال أنه لا يذكره، بل أنه رفض، بطريقته الخاصة الاعتراف بها عندما قال "أن أخطاء وجرائم الماضي لا تغتفر، بيد أن حكم أعقالنا عليها مستقبلا، سيرتبط بقدرتنا على نبذ العنف والتعصب والعنصرية التي تمهد لحروب وجرائم الغد".

وقد قوبلت تصريحات الرئيس الفرنسي ساراكوزي حينها حول الاعتراف بجرائم فرنسا في الجزائر، بتأكيد بعض المسؤولين الجزائريين بأن موقف الجزائر من هذه القضية :" لا اتفاق صداقة مع فرنسا من دون اعتراف بجرائمها ضد الإنسانية المقترفة في حق الجزائريين"[1].

3 – تحقيق المصلحة والنظر للمستقبل:

ونعتقد أنه من الشجاعة التي يمكن أن تحقق المصلحة المشتركة أن يكون الاعتراف الفرنسي الرسمي أمرا طبيعيا ومن خلاله يمكن تبرئة الجيل الحالي الفرنسي من هذه الجرائم التي اقترفها جيل سابق، كما أن الاعتراف يصنع شيئا من التوافق بين قيم الحرية والإنسانية المرفوعة من قبل الفرنسيين والمتعامل مع الشعوب الأخرى.

1-al-massa.com/ar/content/view/20877/41

أما العمل على تحويل الرأي العام الفرنسي والجزائري عن هذا الملف فهو لا يخلقه بقدر ما يبقى جرح يندمل ويتجدد طرحه، كما أنه لا يعمل على تطوير العلاقات وصناعة علاقات المستقبل بين الشعبين. فالاعتراف هو بمثابة تطور في الفكر الفرنسي ويحسب له على أنه تطورا مواصلا له وليس تراجعا، ويدخل ضمن ثورة الأمة الفرنسية الحالية على مظاهر العبودية التي عرفتها، فهي سلسلة من الحطات منها: الثورة الفرنسية سنة 1789 ومنها مظاهر الحرية المتعددة، لأن الأمة الجزائرية لا تعتبر الأمة الفرنسية عدوة من حيث المبدأ ولكنها تجرم الممارسة الاستعمارية والفكر الاستعماري وعلاته وسياسة المراوغة التي تنهجها الحكومات الفرنسية[1] في أي مرحلة ، والدليل على ذلك أن الجزائريين لم ينسوا المثمنين الفرنسيين الذين وقفوا مع الثورة الجزائرية أو كشفوا واستنكروا الجرائم الفرنسية.

ورغم أن هذه الجرائم حقيقة قائمة فلا يمكن تجاوز الذاكرة الجزائرية فهي مكون فكري وتاريخي يستحيل أن تتجاوزه، ومن جهة أخرى حتى الشعب الفرنسي فإنه لا يمكن أن ينفي هذه الحقيقة بل الكثير منهم يعترف بها فلا يمكن بأية حال صنع توافق بين الأضداد في فكره ولا تناغم بين شعاراته وهذه الجرائم. كما أن مسعى الاعتراف الفرنسي يدخل ضمن الثورة الفكرية الجديدة ضد الذاكرة السلبية التي استخدمها السابقون لخدمة مصالحهم الاقتصادية والسياسية التي كانت في تلك المرحلة وبالتالي يسمح للجيل الفرنسي الحالي أن يحافظ هو الآخر على مصالحه السياسية والاقتصادية في ظل التطورات العالمية الجديدة.وإن كان يساورهم هاجس قضية التعويض المطروح.وهذا لا يعني أن الاعتراف يمحي الذاكرة الجزائرية تجاه حدث تاريخي ضخم في حق أجيال وضحايا ولكن على الأقل يساهم في التمييز بين جيلين من الفرنسيين الأول مقترف والثاني معترف، الأول استغلالي والثاني متطور وبالتالي النظر للمستقبل بقراءة جديدة.

1- بوعلام شرفيمرجع سابق، ص 16.

المحور الثاني
الهجـرة

هجرة الجنوب الشرقي الجزائري نحو تونس1850 1950

مقدمة:

شكلت بلدان المغرب العربي امتداداً طبيعيا وكتلة بشرية متجانسة في الثقافة والاقتصاد إلى حد كبير ومرت تقريبا بنفس الظروف السياسية والاجتماعية، وفي كثير من المراحل لم تكن تعترف بالحدود السياسية بين الدويلات القائمة. وهذا كانت الحركة الاجتماعية والقبلية في حركة دؤوبة وخاصة في المناطق الحدودية. ويبدو أن هذه الظاهرة كانت واضحة بين الجزائر وتونس وخاصة بين المناطق الحدودية. ومن هذا المنطق أردت رصد هذه الظاهرة الاجتماعية المرتبطة ببعدها السياسي والاقتصادي. وهناك عدة عوامل ساهمت في تعيين التواصل بين القطرين الجزائري والتونسي وعلى رأسها التواصل البشري وما ينجر عنه من مزايا أخرى، وأهم عنصب في هذا التواصل البشري هو الموجة الكبيرة من المهاجرين لمنطقة واد سوف في تونس وما فرضته من تواجد وانتشار وتعدد المهن والحرف في تونس منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين وما نتج عن ذلك من تواصل ثقافي واجتماعي وفكري وسياسي جعلهم في عدة محطات تاريخية يمبوؤون المقام الأول في تونس. فهم الذين شكلوا ثلث النزلاء بمدينة توزر، وفرضت قبيلة طرود التي لها امتداد في واد سوف وجودا في إقليم مجردة السفلي منذ 1860 بأعداد فاقت 250 فردا، وكانت العاصمة تونس ممثلة لكل جهات سوف) تاغزوت، الزقم، الكويتين، المصاعبة، طرود). وكونوا أكبر جالية مقارنة بكل الجاليات الأجنبية أو حتى مقارنة ببقية الولايات الجزائرية في العاصمة تونس في 1921 فبلغوا 2668 نسمة وكانت الموجة البشرية الأكثر في منتصف الثلاثينيات من القرن العشرين.

وفي مجال المهن فقد تعددت نشاطاتهم من موزعي الماء الشروب، إلى العمل في متاجم الفوسفات بقفصة، إلى المهن الحرة والتجارة وعمال يوميين، وشكلت الجالية الطلابية في القرن العشرين إضافة جديدة في رصيد الأصول السوفية بتونس ومساهمة فعالة المعلمة في مسار الحركة الوطنية وهنا اكتمل المشهد السوفي في ربط التواصل البشري والاجتماعي والثقافي بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس. وقبل ذلك نستقرأ الوضع العام للجالية الجزائرية هناك.

أوضاع المهاجرين الجزائريين بتونس

لقد كانت حركة الأفراد والقبائل بين الحدود الجزائرية والتونسية طبيعية في العهد العثماني ونظمتها اتفاقية 1628 التي نصت على أن الولاء يصبح لصاحب الإيالة التي يقيم فيها ولكن بعد الاحتلال ألغي العمل بها وصار الحصول على الرخصة من السلطة الفرنسية حتى يكون له حق الحماية هناك، وبالتالي فالمهاجرون الجزائريون إلى تونس عليهم التوجه إلى القنصلية الفرنسية للتأشير عليها. وبعد صدور القرار الشيخي في 1865/07/14 أصبح الجزائريون الذين يقيمون في تونس قبل 1830 عليهم إثبات حجة بأصولهم الجزائرية لدى القنصلية الفرنسية، وصنف الجميع كرعايا فرنسيين ليستفيدوا من الحماية هناك، كما ظهر في هذه المرحلة مصطلح الجنسية[1]، وكان الهدف الفرنسي كله من هذه العملية هو الإحصاء الكامل للمهاجرين وضمان أكبر عدد من الجزائريين الموالين لفرنسا بتونس وعدم مساهمتهم في أي عمل عدائي ضدها.

وقبل أن فرنسا لجأت في وقت مبكر إلى اشتراط رخصة السفر من الجزائريين الراغبين في الهجرة نحو تونس وكان هناك تنسيق كبير بينها وبين قنصلها بتونس حول هذا الموضوع، وأوردت بعض المصادر أن الباي محمد الصادق 1855_1859 خصص أراضي للجزائريين، وفي الحقيقة أنهم كانوا حينها يشعرون أن وطنيتهم

1- أحمد بن بمبابو، أوضاع الجالية الجزائرية بتونس ماين 1881_1881، حوليات التاريخ والجغرافيا، ع 05، ديسمبر 2012، المدرسة العليا للأساتذة، ص ص 284.

الإسلامية تتعدى حدود الجزائر وهم في دار الإسلام وبالتالي فوجودهم في تونس أمر طبيعي وخاصة في زمن الاضطهاد الاستعماري ويبدوا أن الباي محمد الصادق بادهم نفس الشعور وتفهم وضعهم. ولكن الظاهر كان يخفي ضغوطا كبيرة من فرنسا التي تعتبر كل الجزائريين رعايا سواء في تونس أو الجزائر وطلبت منه الاعتراف بالوضع الجديد لهم بعد قانون 1865 وبذلك أصدر أمرا عليا في سبتمبر من نفس السنة يعتبرهم رعايا فرنسيين وقام بمراسلة ممثل الإمبراطور يشعره بهذا الإجراء الذي شمل الفئة الجزائرية فقط وقيل أنه ابتداء من 1869 تغير الوضع وطلب منهم تسجيل أنفسهم بالقنصلية للحصول على الجنسية الفرنسية[1]، وكان الهدف واضحا من خلال التخلي عن كل الشروط وتسهيل إنجاز أمام كل طالب للجنسية سواء كانوا رعايا أو محميين من أجل تدعيم الهيمنة الفرنسية على الجزائريين القارين للخارج حتى أنه استفاد من ذلك غير الجزائريين كما أشار إلى ذلك المقيم العام الفرنسي بالبياة بأن عددا من الإسرائيليين تحصلوا على الجنسية على أساس أنهم توافدوا تونس منذ مدة[2] والمؤكد أن السلطات التونسية تعرضت للتهديد بالقوة من قبل فرنسا لفرض الواقع الجديد.

وفي عهد الوزير خير الدين أصدر قرارا يشعر فيه الجزائريين المقيمين بتونس أو الوافدين عليها أن يخيروا بين الجنسية الفرنسية أو التونسية وفي الحالة الأولى فإنه يعفى من الضريبة، ولكن هذا الإجراء أغضب السلطات الفرنسية على أساس أنه يفتح باب الهجرة غير الشرعية والفرار من المحاكم والمتابعات ولذلك تدخل روستون Rouston لدى خير الدين وطلب منه أن تحدد مدة 03 سنوات ليختاروا إحدى الجنسيين، واعتبر أن معظم الجزائريين البالغ عددهم حوالي 100000 نسمة بتونس قد هاجروا رفضا للاحتلال ولم يجنس منهم إلا المئات[3] وهي إحصائيات مبالغ فيها ولم يبلغ هذا الرقم حتى في آخر فترة لأنه في مصدر آخر وحسب ROUSTON نفسه فإن عدد الجزائريين بتونس في 14 أوت 1876 بلغ 16600

1- أحمد بن ميلاد، المرجع سابق، ص 204.
2- نفسه، ص 205.
3- نفسه، ص 206.

وهي سياسة كان الغرض منها التمهيد والتحرير لاحتلال تونس من خلال الإكثار من تعداد الجزائريين وخلق مشكلة الرعايا والهروب من طائلة احكام القرنسية وخلق معارضة جزائرية هناك .وتوصل الأمر بينها إلى تحديد مدة الاختيار بسنين أما حركة القبائل فهي تخضع للاتفاق مع فرنسا

وشكل المهاجرون الجزائريون بتونس في النصف الأول من القرن العشرين نسبة عالية مقارنة ببقية المهاجرين بحيث أنه كان عدد سكان تونس حينها 2335256 مواطن في الوقت الذي كان فيه عدد الجزائريين هناك 23907، وهم بهذا العدد يشكلون أكثر من نصف عدد كل المهاجرين المغاربة وتمركزوا في الجريد التونسي وفي العل الأعلى وفي الشمال وفي عين دراهم في الحدود الشمالية الغربية[1].

أما في العاصمة التونسية فقد وجدت كل الجهات:الجزائريون والمغاربة والطرابلسيون، وكانت أهم المناطق الجزائرية المهاجر منها هي: قسنطينة، الجزائر، وهران، زواوة، بني ميزاب، واد سوف.

هجرة السوافةإلى تونس:

في نهاية القرن التاسع عشر قبل أن العمالة في الماجم والسكك الحديدية في القصة يغلب عليها الأجانب وخاصة من منطقة القبائل الجزائرية ومناطق واد سوف[2] أما بعد الحرب العالمية الأولى فقد هاجر معظم القبائليين تونس متوجهين نحو فرنسا التي كانت في حاجة ماسة لليد العاملة بينما بقي السوافة يشكلون الأغلبية هناك.

وفي 1868 وجد حوالي 06سوافة في مدينة ماطر[3] وكان يطلق على الوافدين من المناطق الغربية عامة بالغرابة أي بما فيهم الجزائريون وهناك من تم

1- ABDELKRIM MEJRI, "Etre Maghrébin musulman" immegre en Tunisie depuis la conquête de l'Algérie jusqu' a la veille de la deuxième guerre mondiale 1830-1957, méditerranéene world xx, published by the mediterranean studies group, Tokyo , 1010, p 72-73.

2-ABDELKRIM MEJRI op.cit. , p 77.

3- عبد الكريم الماسري، الهجرة الجزائريين والطرابلسيين والمغاربة الجوانة إلى تونس، 1907-1881، ط 1، تونس، 2010، ص 117.

تزيلهم بدفتر الإعانة لكن تم إعفاءهم فيما بعد مثل النزلاء بمدينة توزر من أهل سوف حيث كان عددهم 185 نسمة وهو ما يشكل حوالي 30% (613) من جملة النزلاء. وبعد صدور الإذن باستخلاص الإعانة في 1862 تم طرح سكان البرانية بتوزر من الإعانة.

وإذ اكان أعفاء النزلاء بمدينة بتونس من دفع الإعانة وهي في شكل ضريبة فذلك لكونهم يؤدونها لشيخ العرش الأصلي، أما النزلاء من أهل سوف فقد تم طرحهم أو إعفاؤهم من هذا الأمر نتيجة لوضعيتهم، كما أن معظمهم من الذكور أي عمالة وافدة دون عائلات في هذه المرحلة: 185 من الرجال[1].

أهم القبائل السوفية المتواجدة بتونس:

تذكر المصادر أن قبيلة طرود التي كانت مستقرة في وادي سوف وجد من أبنائها البالغين في 18601865 ما يقارب 240 إلى 250 فرد وهو عرش تابع جغرافيا لإيالة الجزائر سابقا ولكنه ماليا للسلطة المركزية بتونس، وتوافدوا بشكل كبير واستقر معظمهم في إقليم مجردة السفلي وصاروا في الغالب في القطاع عن موطنهم الأصلي في منتصف القرن التاسع عشر.

وحول عدد المهاجرين نحو تونس هناك تضارب كبير في الإحصائيات، فحسب القنصل الفرنسي ROUSTON كما أوردنا سابقا فإن عدد الجزائريين بتونس في 14 أوت 1876 بلغ 16600 فإن عدد السوافة والمعاشة معا: توقرت، والواحات....بلغ 200 شخص[2].

ويشير نفس المصدر الفرنسي أن معظم مناطق وادي سوف كانت ممثلة في تونس: تماغزوت، الزقم، الكويبين، المصاعبة، وطرود.[3] وأغلب الوافدين كانوا يتوجهوا إلى العاصمة تونس، ولم يكن لهم اختصاص معين، بل كانوا في

1- عبد الكريم الماسري، مرجع سابق، ص 120.
2- نفسه، ص 129.
3- نفسه، ص 127.

الغالب عمال يوميين ولكن ليس لهم اختصاص معين مثل الفئات الأخرى التي عرفت بحرف معينة، ورغم ذلك فلم تصرح فرنسا إلا بـــ 16600 جزائريا بتونس في 1876 وربما أن معظم النازحين لم يكونوا يصرحون بخروجهم للسلطات الفرنسية.

وعندما أسست شركة الفسفات بقفصة استقدمت الكثير من العمال القبائليين والسوافة وخاصة حين ألغيت رخصة السفر للخروج من الجزائر في 1914 وهو ما رفع عدد الجزائريين بتونس. ففي 1921 احتل السوافة المرتبة الأولى في مدينة تونس ب 2668 نسمة ثم يعدهم الواقدين من عنابة وتبسة وقسنطينة بـــ 2205 نسمة بمنطقة ورقلة 1127 والجزائر 1022 ن ووهران 680 ن وتيارت 575 ن وبلاد ميزاب 395 ن.

وقد انخفض عدد السوافة في 1926إلى 2431 ن والميزابيةإلى205 ن ويلاحظ هذا التراجع قد يكون لارتباط هذه المناطق بموطنهم الأصلي وأن هجرتهم معروفة بالذهاب والإياب وأن الميزابية أغلبهم ذكور كما أن السوافة معروف عنهم عودتهم الموسمية إلى واحاتهم، وتبقى هذه الأرقام رهينة تصريح المعنيين بالخروج ومدى حزم المشايخ والمشرفين في تونس على دقة التعداد[1].

والملاحظ أن عدد الجزائريين عامة قد ارتفع بشكل مطرد في السنوات التالية حيث بلغوا سنة 193640816 نسمة[2]. وتشير إحصائيات هذه السنة أن مدينة تونس احتضنت 9125 نسمة وافدة وخلافها قدم الكثير من السوافة إثر موجة هجرة زمن الأزمة الاقتصادية مما أثار حفيظة المسؤولين الفرنسيين الذين طالبوا في عدة مناسبات وضع حد للهجرة السوقية وخاصة أن عملية التعداد

1- عبد الكريم الماجري، مرجع سابق، ص 145.
2- نفسه، ص 140.

أصبحت في هذه المرحلة أكثر دقة وصار للقائمين عليها من مشايخ وأعيان تونس أكثر خبرة[1].

وكان تركزهم في عدة مناطق مثل توزر بنسبة القدث من بين الزلاء بها، وفرصت قبيلة طروده التي بها اعداد بواد سوف وجودا في إقليم بجردة السفلي منذ 1860 وبأعداد فاقت 250 فردا. وكانت العاصمة تونس محفلة لكل جهات واد سوف) تاغزوت، الزقم، الكويبين، الصاعبة، طروده....)، وكانوا أول جالية جزائرية بتونس العاصمة سنة 1921 حيث بلغوا 2668 نسمة، وكانت الموجة البشرية الأكثر تدفقا خلال منتصف الثلاثينات من القرن العشرين.

النشاط المهني لفئة السواقة بتونس:

وفي مجال المهن فقد تعددت نشاطاتهن من موزعي الماء أو ما كان يطلق عليه القرباجي[2] والتي كانت صفة ملازمة للسوقي (Ouebagie) وهي مهنة عرفوها في موطنهم الأصلي واحترفوها هناك، ويبدوا أن هذا النشاط مرتبط بالعمل الخيري أو ما يسمى بالسقاية وهي عادة موجودة بالمجتمع الجزائري ولازالت في بعض المناطق إلى اليوم، ولكن السواقة طوروها إلى نشاط مهني يسترزقون منه ويجلبون المياه للسكان وسقايتهم

وبعد اكتشاف الفسفاط بمنطقة قفصة منذ 1884 شرعت فرنسا في التهيئة والتجهيز لاستغلاله، وكان على مسافة كبيرة بين قفصة والحدود الجزائرية وفسحت المجال أمام الشركات الاستعمارية الاحتكارية للاستغلال واستولت على أراضي واسعة تابعة للمواطنين بدعوى أنها ملكية تابعة للدولة وهو ما شكل تذمرا كبيرا بين السكان وجعلهم يتمسكون بما بقي لهم من الأراضي لمزاولة نشاطهم الزراعي والرعي. كما كان التذمر من العمل المنظم تحت سلطة

1- نفسه ص 145.

2- كلمة مشتقة من القربة المصنوعة من جلد الماعز وتربط لتصبح على شكل برميل أو دلو لتعبئة الماء.

العمل، مما جعلها تبحث عن أيدي عاملة من خارج البلاد من أوربيين وجزائريين ومغاربة أو ليبيين وتونسيين من خارج منطقة المناجم. ونعتقد أن التوزيع في اليد العاملة كانت له عدة أهداف أخرى منها توفير يد عاملة متخصصة، وحاجة المناجم لأعداد كبيرة فاقت أحيانا سبعة آلاف عامل وعدم حصر العمال في جنسية واحدة قد تشكل نوع من الوحدة والقيام بإضرابات واضطرابات.

وهذه الظروف كانت مناطق وادي سوف وتبسة وبلاد القبائل الحاذية للحدود أول المناطق التي انتقلت للعمل في مناجم الفوسفات تحت تأثير الحاجة ودعاية وتشجيع السلطات الفرنسية.

وقيل أن أهل سوف وتبسة وسوق أهراس منهم من كان يغادر المناجم لمدة سنة أو أكثر للعمل في الزراعة بموطنه الأصلي ثم يعود، وكذلك قضية الانقطاع عن النشاط المنجمي في فصل الحرارة لقساوة ظروف العمل، وكانت الإصابة بحوادث العمل كثيرة وعلى رأسهم الجزائريين بنسبة تفوق في الغالب 9646 إضافة إلى التمييز الكبير بين العمال العرب والأوربيين[1].

وكان العمال السوافة في آخر الترتيب المهني المنجمي كعمال معاونين وظلوا مرتبطين بالنشاط الفلاحي بموطنهم عكس بقية الجزائريين، أما الأجور فكانت معدنية للعمال العرب عامة فهي ما بين 1 و3 فرنكات لليوم فقط أما الأوروبي في بداية القرن العشرين فكانت ضعف ذلك تقريبا، [2] أما المحيط السكني فكان للأوربيين حيهم الراقي الخاص ولبقية العرب أحياءهم المحيطة وكان للسوافة حيهم الخاص بهم[3].

1- أحمد بن سايو، "المهاجرون الجزائريون بمناجم قفصة بتونس"، المصادر، ع 22 السداسي الثاني، 2010، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، ص ص205-212 .

2- نفسه، ص 219.

3-نفسه، ص 222.

كما أن العمال العرب بما فيهم السواقة كانوا يعانون الكثير من الأمراض كالجدري، وأمراض العيون، والسل، والسعال الديكي، والإسهال. كما أنهم لم يكونوا يتمتعوا بنفس الحقوق والتأمين والعلاج الذي يحظى به الأوربيين. وحتى من يتعرض لحوادث عمل دون أخذ حقوقه كالأوربي. ولذلك من دون شك أن عمال وادي سوف كانوا ضمن الحركات الاحتجاجية والإضرابات من أجل رفع الأجور وتحسين ظروف العمل.

ونعتقد أن الوضعية الخاصة التي عاشها السوفي في مناجم الفسفات بتونس لها مبرراتها من حيث أنه كان قريب من المنطقة ومنهم من كان متواجدا من قبل بتونس وبالتالي فهم بأعداد كبيرة استطاعوا أن يكونوا مجتمع صغير يأنسون فيه لبعضهم ويوفرون نوع من الحياة الاجتماعية السوفية المصغرة ومن خلالها يتم التواصل مع البلد الأم في الذهاب والإياب وإرسال الأموال لعائلاتهم وتبادل الأخبار حول شؤون وأحوال وادي سوف.

وكان ارتباط هؤلاء بمزاولتهم للزراعة الواحية وقيمة النخيل وجنيه، وأن البعض منهم يتوجه للعمل في المناجم ليدعم مدخوله وخاصة في ظل الظروف الاستعمارية القاهرة. كما أن عامل القرب جعلهم يستمرون بأعداد كبيرة بعد الحرب العالمية على خلاف بقية الجزائريين وخاصة عمال منطقة القبائل.

إضافة إلى العمل في مناجم الفسفات بقفصة وغيرها من المدن التونسية كذلك مارسوا نشاط الصيرفة العمل في الموانئ و ممارسة المهن الحرة وعمال يوميين إضافة إلى النشاطات التجارية. وذكرت بعض المصادر أنه تنشبت أحيانا بينهم وبين عمال منطقة الجبس نزاعات وربما يعود إلى تنافس مهني دون شك.

وعموما نلاحظ أنهم نوعوا نشاطاتهم وتكيفوا مع احتياجات السكان وتأقلموا معهم ونافسوهم أحيانا في وظائفهم والأكيد أن هذا يعود بالدرجة الأولى إلى أعدادهم الكبيرة وبالتالي وجب عليهم التنويع في المهن والتكيف مع الواقع الجديد.

وإلى جانبهم كان يوجد بين ميزاب المختصمون في الجماعات العامة سواء كعمالك أو عمال، وهم أمين خاص بهذه الحرفة وهم سلطة تنظم المهنة، كما وجد أبناء ورقلة كعمال في الفحم وجالية من منطقة توات تعمل في الحراسة للمؤسسات والأسواق والأملاك ونازعهم في ذلكم بعض المغاربة[1].

كما كانت تونس قبلة لطالبي العلم من الجزائر وخاصة بالزيتونة ومن بين هؤلاء الكثير من أصول الشرق الجزائري، ويمكن أن نقسم هذه الهجرة الطلابية إلى أربعة مراحل :

1-1876-1912 وسماها أحد الدارسين للموضوع بمرحلة التحاض وابتدأت بعمر بن مبارك من تبسة وبلغ عدد طلبتها العشرات.

2-1912-1940 وأطلق عليها بمرحلة الصحوة وضمت ما يفوق 764 طالبا.

3-1941-1956 وهي مرحلة الأوج والتي كان العطاء العلمي فيها كبيرا وتجاوز عدد الشهادات 81 شهادة الأهلية و51 شهادة التحصيل وضمن هذه المرحلة تمت تبعية معهد ابن باديس للزيتونة، كما كان الأمداد محمد الصالح ضمن هذه الكوكبة من الطلبة.

4- بعد 1956 وأطلق عليها مرحلة الحصاد وضمت 568 طالبا حصل منهم 150 على شهادة التحصيل و201 على الأهلية و06 على العالمية[2].

وقد أوردنا هذه الإحصائيات والمراحل للوقوف على مكانة الزيتونة في التكوين العام للنخبة الجزائرية والأعداد الهائلة التي تخرجت منها، والجدير بالذكر أن معظم هذه الفئة المتعلمة قد رجع للجزائر وكانت له مساهمة فعالة في الحياة التعليمية والفكرية والثقافية بالجزائر وانخرط جلها في العمل الثوري بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وانبهم من تولى العمل السياسي والدعاية والدبلوماسية .

1- ABDELKRIM MEJRI , OP CIT, P 78.

2- وهي ملاحظة مداخلة قدمها الباحث التونسي حبيب الخريف في الملتقى الدولي حول العلاقات بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس سنة 2010 بجامعة الوادي.

وشكلت الجالية الطلابية في القرن العشرين إضافة جديدة في رصيد الأصول السوفية بتونس ومساهمة النخبة المتعلمة في مسار الحركة الوطنية وقد اكتمل المشهد السوفي في ربط التواصل البشري والاجتماعي والثقافي بين البلدين.

فهناك شريحة انتقلت لتونس بحثا عن العلم ثم استوطنت هناك ومنها من ساهم في ربط الاتصال وتوفير الظروف لغيره وهم يعدون بالعشرات وخاصة في القرن العشرين ونذكر منهم: ابراهيم السوفي1888-1934[1].

وكذلك عبد العزيز بن محمد الفاشي بن ابراهيم، الذي كان جده ابراهيم قد انتقل لتونس وأنجب محمد هناك، وما كبر هذا الأخير عاد للجزائر واستقر بواد سوف وأسس زاوية عميش وأنجب عبد العزيز في 1898 والتحق بالزيتونة في 1913 ودرس بها عشر سنوات وتخرج من الزيتونة بشهادة التطويع وبقيت صلاته مع قيادات الحركة الوطنية التونسية وبقي يراسلهم ويتعاطف معهم في المحن التي ألمت بهم[2]، وبعد وفاة والده تولى عبد العزيز مشيخة الزاوية القادرية. وكان لهذه العائلة تواصل وعلاقات كبيرة مع تونس بدون شك نظرا لمشيخهم في الطريقة القادرية على يد جده في نقطة بتونس ثم أولاده من بعده في وادي سوف، ومن هذه الطريقة من امتداد في الجنوب الشرقي الجزائري والجنوب التونسي، أما في الجزائر فكانت له مواقف معادية للاحتلال الفرنسي فاعتقله سنة 1957. فهذه الشخصية التي ورثت الزعامة على الطريقة ربما كان احتكاكها بعلماء الزيتونة وحركة النهضة هناك والحراك السياسي الذي عاصره في تونس (1913- 1923) قد أثر في عقيدته وتوجيهاته الإصلاحية الجديدة.

1- عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، 14/5 هـ ـ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص 58.

2- عمار هلال، "من الشخصيات الجزائرية التي لم ينقض عنها الغبار بعد: الشيخ عبد العزيز بن الفاشي" الثقافة، ع 93، س 05، محرم صفر 1407، سبتمبر / أكتوبر 1986، ص ص270، 290.

ومن الذين قدموا لتونس بغرض التعلم أيضا عبد القادر الياجوري الذي درس في الزيتونة وتحصل سنة1894 على شهادة التطويع وعاد لوادي سوف حيث مارس التدريس بمنطقة قمار ثم سجنته السلطات الاستعمارية ثم فرضت عليه الإقامة الجبرية في عدة مدن من الغرب الجزائري[1].

وهناك شخصية خنزة بوكوشة التي تخرجت من الزيتونة أيضا[2] وبقيت على صلة مع القضايا التونسية والشخصيات الإصلاحية.

1- أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر، الطبعة العربي، الجزائر، 2004، ص 49.

2- خنزة بكوشة من مواليد وادي سوف سنة 1905 وعضو بجمعية العلماء وتوفي في 1964. للمزيد انظر: نفس المرجع السابق.

مواطن الهجرة الجزائرية ووجهتها نحو فرنسا

مقدمة:

شكلت الجالية الجزائرية اليوم في فرنسا واقعا اجتماعيا وثقافيا وحتى سياسيا لا يمكن تجاوزه، وهذا راجع إلى الكتلة الديمغرافية الهائلة والفترة الزمنية الطويلة التي واكبت هجرتها، وتعدد مواطنها من حيث المنطق والاستقرار. ولذلك أردنا أن نعالج البعد الديمغرافي للمهاجرين الجزائريين في فرنسا من حيث مواطن الهجرة في الجزائر والعوامل التي كانت وراءها، والوجهة التي أخذتها عبر التراب الفرنسي. وهذا من خلال مختلف المصادر وعلى رأسها أرشيف الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر التي كانت تراقب وترصد وتوثق حركة هذه الفئة، مع محاولة استنطاق هذه الوثائق وتحليلها. وفي الأخير يمكن الوصول إلى رسم خارطة الهجرة من حيث أصولها ومواطن تجمعها حيث وصولها.

ظروف وأسباب الهجرة:

1- قانون التجنيد الإجباري03 فيفري 1912: لم يكن لمحاولات الجزائريين التي قاموا بها منذ 1891إلى 1912 أية نتيجة معتبرة، فرغم المرائض والطالب وحتى الأعمال المسلحة فقد اتخذ البرلمان الفرنسي يوم الثالث من شهر فيفري 1912 قرارا بإجبار الجزائريين على الخدمة العسكرية بصفتهم رعايا فرنسيين. ومن أجل ذلك استخدمت الإدارة الفرنسية إزاء التجنيد الإجباري العديد من الوسائل كالدعاية والإغراءات المالية حتى تجند أعداد كبيرة منهم، خاصة وأنه في هذه الفترة شاع أمر (التطوع الحر) في صفوف القوات الفرنسية. وبمجرد أن وافق المجلس الوطني الفرنسي في 03 فيفري 1912م على هذا القانون حتى اضطربت لذلك الجزائر، فانتشرت المظاهرات والعنف والاغتيالات والاصطدامات بالإضافة إلى تكوين فرق إرهابية مما اضطر بالفرنسيين إلى إرسال النجدة كاحتياط ضد إمكانية حدوث الثورة. ومنها فرقتين عسكريتين والمدافع إلى وهران.

أما عن ردود الأفعال التي أحدثت شكلا عنيفا تمثل في حوادث تلمسان حيث تظاهر آلاف من الجزائريين كما اصطدموا مع قوات الأمن باستعمال المسدسات والعصي، وفي هذا قال شارل روبير إن مشروع الخدمة العسكرية أقلق الحديثين من سكان مدينتي تلمسان وندرومة. كما وقف هذه المحافظون لأنه يعارض نصوص الشريعة، أما جماعة النخبة فيرون أن الخدمة العسكرية واجبة على المواطنين لا على الرعايا، كما أنهم لا يتمتعون بكل الحقوق السياسية والمدنية، لذلك ليس عليهم الالتزام تحت العلم الفرنسي.ومن الشخصيات البارزة التي وقفت ضد التجنيد الاجباري أيضا عمر راسم وذلك بكتابة مقاتير حائطية سرا وتعليقها في الأماكن العامة تعبيرا عن رفضه.

بالإضافة إلى عبد الحميد بن هماية الذي أوضح في اجتماع عمومي في العاصمة عام 1912م، أن الجزائريين يجب أن يرفضوا الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي حتى ولو رضيت فرنسا بتعويضهم بالحقوق السياسية لأن ذلك يخالف الشريعة الاسلامية، وإن القتال يجب أن يكون في سبيل الله فقط للشرف أو الوطن ومؤيدا وجهة نظره بآيات من القرآن الكريم وهكذا انتهى الاجتماع بالرفض التام للتجنيد الاجباري. ومن الأشكال التي اتخذها المعارضة الجزائرية أيضا مجلات قامت بها الصحف الوطنية منها: الحق، الاسلام، الرشيدي، وفي هذا عبرت هذه الأخيرة بأن الجزائريين مستعدون لخدمة فرنسا لكن في مقابل حصولهم على المواطنة الفرنسية وأن مشروع التجنيد الإجباري أحدث أثرا عميقا في نفوس الجزائريين مما أدى بهم إلى رفض الخدمة العسكرية تحت العلم الفرنسي. وهكذا أثار صدور هذا القانون الإجباري التعسفي عام 1912 سخط على الجزائريين واستنكارهم هذا الاضطهاد الجديد حتى أن بعضهم قال: "ان فرنسا إن كانت قد أخذت منا أموالنا فلن تستطيع أن تأخذ منا أبنائنا". أما موقف المعمرين فكان ضد هذا القانون إذ أنهم كانوا يعارضون أي أمر يكون في مصلحة الأهالي، وفي هذا قال شارل أندري جوليان:" ليس للمعمر أي وعي سياسي إذ تراه يثور من جهة على الدولة كلما بدا له أنها قلدت امتيازاته ولا يتورع من جهة أخرى على طلب مساندتها بعنف وصخب كلما حدث

به الأزمة التي يرمي مسؤوليتها على الدولة نفسها. وعلق أحد الفرنسيين حول الأسباب التي جعلت المعمرين يرفضون الخدمة العسكرية الإجبارية أن هذه الأخيرة لا تكون الا بمرسوم وخاصة فيما يتعلق بالحقوق السياسية للأهالي، كما أن تجنيس الأهالي جماعيا يعني النهاية للجزائر الفرنسية. كما أن السياسة الاستعمارية الجادة التي انتهجتها عام 1871م حققت بها أهدافها فقد جعلت الجزائريين يعيشون في شبه مجاعة عام 1912م نتيجة انخفاض انخاصيل الزراعية وارتفاع الضرائب والإجراءات التعسفية التي طبقها الحكام المحليين في الجزائر.

2- الاضطهاد السياسي والاقتصادي: من بين عوامل هجرة الجزائريين في هذه الفترة إلى الخارج الاضطهاد السياسي حيث واجه المسلمون الجزائريون ضغوطات جهنمية من طرف 260 من الحكام المحليين ونوابهم، والقياد، حيث كانوا يقسون في تعذيب الجزائريين عن طريق تطبيق قانون الأنديجينا أو قانون الأهالي، كما ازداد نفوذهم عام 1902، حيث صاروا هم وكلاء المحاكم القمعية، فاضطهدوا السكان وطبقوا إجراءات التعسفية حتى يرضوا إدارة الاحتلال، ونتيجة لهذا الظلم وهذه التجاوزات الخطيرة تأزم الوضع، مما جعل الأهالي يغادرون البلاد. أما اقتصاديا فقد كان الجزائريون يشتكون من الضرائب الثقيلة إلى السلطات الفرنسية بالإضافة إلى الضرائب الدينية الزكاة، العشور، ضريبة الصخرة كالخراسة الليلية بدون أجر وفقدان أراضيهم بسبب الاستعمار الاستيطاني، وبقوا في أغلب الأحيان عمالا فلاحين كما عانوا من التوزيع غير العادل للميزانية والتي كانوا يدفعون لها الكثير بالإضافة إلى مصادر الأوقاف وإدارة الشؤون الدينية. ففي عام 1907 أعلنت السلطات الفرنسية عن فصل الدين عن الدولة وسحبت سلطتها من المسيحية واليهودية واحتفظت بسلطتها على الإسلام مما أثار سخط وغضب الجزائريين.

3- مشاركة الجزائريين في الحرب العالمية الأولى: بدأت الهجرة الكبرى بمناسبة نشوب الحرب 1914- 1918 حيث جندت الحكومة الفرنسية ما استطاعت تجنيدهم لسد النقص الذي أصاب اليد العاملة بسبب الحرب حيث بلغ عددهم 78 ألف. وأشهر هجرة جماعية كانت من مدينة تلمسان 1911، فهاجرت مئات العائلات نحو

سوريا. لهذا كان رد فعل المسجونين بتقديمهم شكوى لحرمانهم من هذه اليد العاملة الرخيصة وطالبوا بحرية ووقف الهجرة. فجندت عشرات الآلاف من الجزائريين، وحشدت ثمانين ألفا للعمل في المصانع، فدفعت الجزائر ضريبة غالية. ويعود نجاح تجنيد ها لـ20الآلاف من الجزائريين لاستعمالها الإرهاب المطرف والقمع الشديد ودعاية سوداء والإغراءات ومن بينها المنح المخصصة للمجندين وذويهم، إذ كانت المرتبات قبل 1919 تقدر بـــ 250 فرنك للمدعوين العاديين، و400 فرنك للمقاعدين لمدة 4 سنوات وفي 18 أوت 1914 حولت منحة المقاعد لمدة ستة أشهر، وفي 15 جوان حولت منح المقاعد لمدة فترة الحرب بـــ200 فرنك.

يتفق معظم الكتاب الفرنسيين على أن مشاركة الجزائريين في هذه الحرب كانت كبيرة، فالكاتب ميرسي يقول بأن: الجزائريين قد لعبوا دورا عظيما في معارك شارل لوروا المارن، فيردان والصوم. أما عن الجانب العسكري فقدرت الإحصائيات لهذه المشاركة بحوالي 82751 جزائريا في إطار الخدمة العسكرية، والخراط 87519 في الجيش بصفة دائمة. أما عن عدد القتلى فقد قدرت نسبتهم من المجندين الجزائريين المشاركين في الحرب ب 20% بينما بلغ عدد الجرحى 50%، ويقدر أندري نوشي عدد تضحيات البلاد الجزائرية في الميدان بـــ28 ألفا من المسلمين، أي مجموع 47 ألف من 8280000 شخصا جزائريا. إلى جانب مشاركة الجنود الجزائريين نجد اليد العاملة، حيث عملت فرنسا على إحلاء البلاد من الطاقات البشرية، حيث جندت 270 ألف عامل، وبعودة جونار إلى الحكومة العامة بالجزائر أصدر أول تعليماته القاضية بإمداد الوطن الأم فرنسا خلال عام 1918 بما لا يقل عن 50 ألف عامل. ومنذ أن أعطى له حق الإشراف الرسمي لحكومة باريس على مصلحة عمال المستعمرات عام 1916م صار عدد المهاجرين في ارتفاع مستمر طيلة سنوات الحرب، وتبين في نهايتها أن المجموع الكلي لهذه المشاركة قد بلغ 270 ألفا شخص عامل منهم 120 ألف رجل في التجهيزات

العسكرية ومعامل الذخيرة وفي المواصلات والمناجم وحفر الخنادق بجبهات القتال.

أما من الناحية الاقتصادية فبعد إعلان التعبئة العامة في الجزائر يوم 02 أوت 1914م من أجل خوض الحرب سمحت فرنسا باستغلال كل الثروات الموجودة بالجزائر حتى تساهم بتمويل الوطن الأم بالمواد الغذائية من حبوب ومعضيات ولحوم حتى تستطيع فرنسا مجابهة الحرب وأوضحت الإدارة الفرنسية بأن إمكانيات الجزائر الاقتصادية كبيرة يسمح لها أن تعتمد على مواردها حيث أعلنت في 22 جويلية 1918 م بأن الأوضاع الجديدة تضطرها للشراء من الجزائر مليون قنطار من الشعير، وبعد 20يوما قررت شراء كل الكميات المتوفرة من القمح في الجزائر.كما سمحت للتجارة بتصدير 25 ألفا طن من القمح و10 آلاف طن من الشعير وكل هذا على حساب الجزائريين الذين عانوا الفقر والجوع خلال عام القحط الذي أصاب البلاد في عام 1917م.

2- مراحل الهجرة الجزائرية نحو فرنسا:

المرحلة الأول: خلال القرن 19

ويصاب هذه المرحلة الكثير من الغموض فيما يخص الهجرة وذلك لكونها كانت في بدايتها الأولى، وغياب إحصاء فرنسي منظم، وتنابعها الهجرات الفردية، أو....تفي بعض الأفراد لأقامات مختلفة.

وتركزت الهجرة خلال هذه الفترة نحو العاصمة باريس ومرسيليا، وخاصة للعمل في مصانع الزيت، والصابون والموانئ، ومع مطلع القرن العشرين وصل عددهم ما يقارب الأربعة آلاف شخص [1].

1- بزيان سعدي، دور الطبقة العاملة في الهجرة في ثورة نوفمبر 1954التاريخ السياسي والنضالي للعمال الجزائريين من نجم شمال إفريقيا إلى الاستقلال، ط2، منشورات ثالة، الابيار، الجزائر 2009 ص05.

المرحلة الثانية: 1912- 1919:

وهذه المرحلة صاحبها ظروف ساهمت في رفع عدد المهاجرين منها: ظروف التجنيد الإجباري، واندلاع الحرب العالمية وتراجع تدفق العمال من دول الجوار «فل بلجيكا، وإيطاليا وسعي فرنسا لتعويض ذلك باليد العاملة من المستعمرات وعلى رأسها الجزائر[1].

وشجعت فرنسا الجزائريين على الهجرة لفرنسا وأصدرت لذلك قانون في1914 يرفع القيود عنها. بل أصبحت تحت تنظم وزارة الحرب سواء من أجل العمل في فرنسا أو إدماجهم في الجيش[2].

وإذا كان شمال إفريقيا المكان المناسب لجلب اليد العاملة أو تجنيد أبنائه فإن النصيب الأكبر كان من الجزائريين، فمن بين82821 كان 78056 عاملا جزائريا، يقابله 35506 مغربيا و18249 تونسيا. هذا فضلا عن المجندين الذين بلغ عددهم 173000 جزائري مات منهم ما يقرب من25000 جزائري وخاصة في شرق فرنسا ولا تزال مقابرهم في منطقة فردان (Verdun)[3] .

وإذا كانت سنة 1916 تمثل الهجير الرسمي فإنها استمرت حتى بعد الحرب. وبلغ عدد الجزائريين بين مدني وعسكري في نهاية الحرب العالمية حوالي 270000 شخص كانوا قد توجهوا نحو فرنسا منهم من استقر ومنهم من كان في حركة إياب وذهاب[4].

1- الجيلالي، صاري، الهجرة الجزائريين نحو أوربا، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1954، 2007، ص 50.

2- زوزو عبد الحميد ، الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914-1939) نحم شمال افريقيا، وحزب الشعب، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007، ص14.

3- معدي بزيان، المرجع السابق، ص 05

4-زوزو عبد الحميد، مرجع سابق، ص 14

المرحلة الثالثة 1919-1939:

وهي مرحلة إعادة البناء في فرنسا التي فقدت في الحرب العالمية الأولى ما يقارب 2 مليون نسمة. وبالتالي كانت في أمس الحاجة لليد العاملة، كما أن كثيرا من الجزائريين الذين تعرفوا على فرنسا أثناء الحرب عادوا إليها أو صاحبوا معهم آخرين إليها طلبا للرزق وحتى الأجواء السياسية هناك كانت تسمهوي أصحاب الرأي من رواد الحركة الوطنية. ولاشك أن نشاط نصالي الحاج، ووجود الأمير خالد بعض الوقت هناك، ومالك بن نبي قد ساهم في حركية سياسية عوضهم شيئا من الغربة والعيش في كنف الروح الوطنية. وترسخت نوعا من التقاليد والعلاقات بين العمال الجزائريين[1]. إلا أنه بعد 1924 بدأت فرنسا تضييق على قدوم ونشاط الجزائريين ولذلك انخفض عددهم في سنة 1925 إلى حوالي 24705، كما أنه في أوت 1926 صدر مرسوم يحدد ويقيد الهجرة: منها تأدية الخدمة العسكرية، وسلامة السوابق العدلية، ولا يحمل أي مرض معدي وملكية بعض المال، وتعزز هذا المرسوم أيضا في 1928 بشروط أخرى تضيق الهجرة، وكان للمعمرين ضلع كبير في هذا الأمر، وقد احتج على ذلك عدة شخصيات جزائرية أمثال ابن نامي، رزوق محي الدين، عمار طاهر، وكذلك فرحات عباس الذي اعتبر موقف المعمرين تعسفي، كما ندد من فرنسا بهذا السلوك في اجتماع رسمي بتاريخ 20 جويلية1926[2].

ورغم بعض الانفتاح من السلطة الفرنسية حول ملف الهجرة خلال الثلاثينات فإنها بقيت تراقبها بشكل قوي وتتدخل من حين لآخر..... وكان قرار 17 جويلية 1926 قد أزاح كثيرا من القيود عن الهجرة، مما يسمح بتزايد

1- محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من 1830، حتى ثورة نوفمبر 1954، دار البعث، قسنطينة، الجزائر 1405/1985، ص 98.
2-سيلالي عماري، مرجع سابق، ص 20.

عددها لكن مع توتر أجواء الدلاع الحرب العالمية الثانية انخفضت بشكل كبير، وعموما فإن عدد المهاجرين خلال المرحلة الثانية كان أكثر من الثالثين.

المرحلة الرابعة:1939- 1954:

شهدت تراجعا كبيرا خلال الحرب. وخاصة بين1942- 1945 حيث تكاد تنعدم تنعدم بعد 1945 للحاجة إلى يد عاملة ولاحظنا أن عدد المهاجرين سنة 1939 بلغ 24419 بينما عاد للجزائر 32674، أما في سنة 1949 فكان عدد الذاهبين 53877 والعائدين 75257 وهذا يعني أنه استقر هناك في هذه السنة أكثر من8120 وحينها بلغ عدد الجزائريين في فرنسا 194800 جزائري[1].

أهم المناطق المهاجر إليها:

من خلال تتبع حركة الهجرة يلاحظ أن معظم الجزائر تتابعها هجرة كبيرة ولكن اختلفت درجاتها من منطقة لأخرى حسب الحاجة إلى العمل، (المناطق الطاردة، قلة الأراضي...) أو وجود علاقات اجتماعية بين العائلات ساهمت في خلق خطوط اتصال وتنسيق لتهيئة الأجواء لهجرة بعض الأفراد. ومن خلال الأرشيف الفرنسي لاحظنا أهم المناطق التي شهدت هجرة مركزة وعلى نطاق عائلات واسعة.

1- منطقة البيبان وخاصة المناطق الشمالية الشرقية.

2- وكذلك منطقة شمال غرب سطيف وبالتحديد البلدية المختلطة – القرقور، وخاصة المناطق الشمالية التابعة لمنطقة القبائل أو بجاية حاليا، والتي يجاوز عدد مهاجريها 9000 مهاجر، أما المناطق الجنوبية فقاربت 2000 مهاجر

1- يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1920-1940) ديوان المطبوعات، بن عكنون، الجزائر، 1999، ص207-211.

والسجل أن أغلب المهاجرين هم دون سن 40 سنة من مختلف مناطق القرقور[1].

3- وهناك منطقة أخرى منقمة للانتباه، وهي شمال قسنطينة وجيجل وميلة والبيلية والطاهير.

4- أما المناطق الغربية والوسطى، فكان الأمر منقما في كل من تيزي وزو، ومنطقة عين بسام في الوسط، ومنطقة الشلف في الناحية الغربية[2].

المناطق المهاجر إليها في فرنسا:

كان تجمع الجزائريين في فرنسا وراءه عدة عوامل منها المناطق المستقطبة لليد العاملة، ومنها ما تعلق بتجمع العائلات ذات الأصول الواحدة في الجزائر، وتقدم عيدات لذلك نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات منها:

1- معظم المناطق التي تحيط ببلدية صدراتة المختلطة توجهت نحو المناطق الشرقية، المحاذية لبلجيكا وفي شكل عائلات أحيانا[3].

2- أما مهاجري منطقة أم البواقي فتركزوا في وسط فرنسا وكذلك المناطق الحدودية الشرقية، وأعمارهم في الغالب أقل من 35 سنة وظلت على هذه الوتيرة حتى اندلاع الثورة التحريرية[4].

3- أما أبناء البلدية المختلطة – العلمة – فإنهم تواجدوا بكثرة في منطقة الرون بمقاطعة ليون، وكذلك قرونوبل وبشكل أقل في أقصى شمال فرنسا (pas

1- A.O.M gouvernement général, B93/4127 (Ages des émigrés de la C.M Guergour).
2- Op, cit, origine des travailleurs de la Moselle.
3- A.O.M Emigration en France des travailleurs de la commune Mixte de Sedrata, B93/4127.
4- A.O.M Emigration en France des travailleurs de la commune Mixte de Sedrata, B93/4127.

منطقة (Nord) وبنفس الدرجة في معظم المناطق الشرقية لفرنسا، ووصل عددهم في بداية الخمسينيات إلى ما يقارب 2900 مهاجر[1].

4- أما المناطق الوسطى والغربية وتحديدا منطقة تيزي وزو وعين بسام، والشلف في الغرب فكانت الوجهة نحو SaintLouis ومنطقة مرسيليا وذلك للعمل في المصانع (للذكور) والموانئ وحدمة البواخر، والملاحظ أن ظاهرة اصطحاب العائلات كانت واسعة في هذه المناطق وأصبح أحيانا عدد المهاجرين بعائلاتهم أكثر من الغرب وبالأخص في مرسيليا رغم أن أغلب المهاجرين إليها دون 40 سنة[2].

5- بينما منطقة غرونوبل فكان قاصدوها من منطقة الصومام والبيبان للعمل في الري والأشغال العامة، وبعضهم عانى من البطالة هناك. إضافة إلى عدد هائل من مناطق سطيف وقسنطينة وبجاية والبويرة[3].

6- وفي منطقة (Saint Etienne) فكان قاصدوها من المناطق العالية: ذراع الميزان وجرجرة، وبومعداد والصومام والبيبان والسبيلة.

وبدرجة أقل (باتنة، وسطيف، وقسنطينة) ومعظمهم يعمل في مصانع الفولاذ، والمسبح، وأغلبهم دون الأربعين سنة وبعائلاتهم وبالأخص العاملين في مصانع الفولاذ.

7- أما منطقة ليون (Lyon)، فهي تشبه العاصمة باريس في احتوائها على أعداد كبيرة من جهة وتعدد أصولهم (البليدة، الأوراس، ذراع الميزان، بجاية، تيزي وزو، الصومام، العلمة، خنشلة، بريكة، وغيرهم، وهي نقطة استقطاب للعمالة بحكم الطلب عليها في الأشغال العامة، والمسبح، والصناعات الغذائية، والكيميائية، والميكانيكية[4].

1- ibid, de la C.M des Eulma
2- ibid, origine des travailleurs Algériens
3- ibid, origine des travailleurs Algériens - de Grenoble.
4- ibid., répartition par profession des travailleurs Algériens de la région Lyonnaise.

1 نشاط الحركة الإصلاحية في أوساط المهاجرين بفرنسا:

بحكم وجود جالية جزائرية ومغاربية في فرنسا فقد شكلت محور اهتمام الحركة الإصلاحية لإنجاز عمل معين يصب في الاتجاه الوطني والإصلاحي، وخاصة أن مصير هذه الهجرة صار يتغير حسب الظروف السياسية والاقتصادية لفرنسا. حيث تقيدها أحيانا وتشجعها أحيانا أخرى كما حدث أثناء الحرب العالمية الأولى أما خلال العشريات فارتفعت بشكل سريع وهذا نسبة الجزائريين فيها عشرة مرات مقارنة بالمغاربة والتونسيين إلى غاية حدوث الأزمة العالمية[1]. ونجم عن هذه الهجرة التي كان أصحابها يبحثون لقمة العيش وهروبا من واقعهم المر ظهور جالية معتبرة أغلبها جزائريين و أقلية تونسية ومغربية وهذا حظيت بعناية بالإصلاح في أوساطها وتهذيبها.

ولا شك أن زعماء الحركة الوطنية في المغرب العربي كانت تجمعهم هذه الاهتمامات، ومن ذلك ما ذكره علي باش حانبة أنه ساهم بمعية الثعالبي في توسيع الفكرة النضالية والاتصال ببعض الجزائريين في باريس ومن ذكرهم: المختار بن الحاج السعيد الذي قال عنه أنه تردد حول الفكرة الإسلامية[2]، ولا يستبعد أن يكون لنشاط المولود بن موهوب[3] الذي عين مفتيا لمسجد باريس

---

1 – أحمد صاري "دور المهاجرين الجزائريين في الثورة التحريرية"، الصادر، ع1، صيف 1999، ص ص200 – 242.

... ويشير هذا الرقم أن حركة الهجرة كانت نشيطة بعد الحرب العالمية وخاصة من الجزائر نحو فرنسا حيث كان هاجر بين1920–1924–100 ألف مهاجر جزائري مقابل عشرة آلاف مغربي وعشرة آلاف تونسي ونفس الظاهرة أثناء حكم الجبهة الشعبية وبعد الحرب العالمية الثانية. وهذا ساهم في توابعد جالية مغاربية كبيرة جديرة بالاهتمام الحركة الإصلاحية.

2– لم يقدم لنا تفاصيل عن هذه الشخصية ولكن أشار إلى أنه تعب في إقناع المولد الجزائري بفكرة الاتصال والتنسيق. للمزيد أنظر: أحمد بن ميلاد، محمد مسعود إدريس، مرجع سابق، ص 100.

3– المولود بن موهوب (1869–1949) ولد بقسنطينة، ودرس على يد أعمامه، وتولى التدريس بقسنطينة أنظر: أحمد صاري "الجديد عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر وقسنطينة"، مجلة الآداب والعلوم .../...والإنسانية،ع12، محرم 1424، مارس 2003 جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر.ص20.

(الذي دشن سنة 1926) بعدا إصلاحيا، وخاصة أنه مكان عبادة و يؤمه كل المسلمين بما فيهم أبناء المغرب العربي.

ونعتقد أن ذلك المخاض الذي كانت تنبعث رموز إصلاحية وسياسية (فكرة الجامعة الإسلامية) أوجد نوعا من الرابطة و التواصل بين الجالية المغاربية ورموزها والعاملين في هذا الحقل بما في ذلك التيار الوطني (السياسي) فنجد تأسيس نجمة استقلال الجزائر وتونس.[1] ووجود رموز إصلاحية فيها(صاح الشريف التونسي الوطن، الجزائري الأصل، ومحمد مزيان الطمساني، وعلي باش حامبة) ونشاط هذه الهيئة في اسطمبول وجنيف وبرلين كله ساهم في وجود همم إصلاحية مشتركة، هذا فضلا عن الدور الذي كان يؤديه الأمير شكيب أرسلان حيث كان معروفا لدى زعماء الحركات الوطنية في المغرب العربي، من خلال كتاباته في الصحافة ونشاطه في أوربا. وكتاباته عن ثورة عبد الكريم الخطابي، أو من خلال الاتصال بزعماء المغرب العربي وخاصة في إطار مكتبه الإعلامي في جنيف منذ 1930 أو من خلال المراسلات مع عدد هائل مثل ابن باديس وتوفيق المدني والعقبي والميلي بالجزائر والثعالبي بتونس، والفاسي ومحمد بن أحمد داود وعبد الخالق الطريس بالمغرب.[2]، وقد قدم مساعدات مادية لجمعية طلبة شمال إفريقيا عن طريق شكيب جابري باي (رئيس جمعية الطلبة السوريين في فرنسا) ووثق أرسلان علاقاته مع أعضاء هذه المنظمة ومنهم(مالك بن نبي، عن الجزائر، ومحمد الفاسي وأحمد بلافريجوالطريس عن المغرب، وأحمد بن ميلاد والهادي نويرة عن تونس)[3].

وإذا تكلمنا عن الجهود والاتصالات السابقة على أنها كانت أرضية لبناء عمل إصلاحي مشترك بين أبناء المغرب العربي و بمشاركة شخصيات من مختلف

1- في 7 جانفي 1916.

2- محمد بقاسم ، مرجع سابق، ص 154.

3 – فولود عويس، أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، ط 1، 1428، 2007، دار الخلدونية، الجزائر ص 50.

العبارات، فإنه بعد تأسيس الجمعية في 1931 أخذ هذا البعد المغربي في الفكر الإصلاحي الجزائري انعماما أكثر في المهجر. ولذلك نجد الجمعية توفد شخصية الورتيلاني في أكتوبر سنة 1936 لفرنسا لافتتاح فرع للجمعية هناك و تأسيس نوادي مَذْهَبِيَّة[1] ومزاولة الإصلاح بمفهومه الشامل[2]. ثم عززت هذا النشاط بإرسال وفد من العلماء سنة 1937 ضم (سعيد صاحبي اليعلاوي، محمد الصالح بن عتيق، سعيد البيباني، محمد الزاهي الميلي[3]، الربيع بوشامة، فرحات بن الدراجي[4]، وغيرهم من الشخصيات التي كانت تتردد على فرنسا لهذا الغرض كالأمين العمودي والهادي السنوسي اللذان تجولا في مدن: ليون، وسانت تيان وباريس لتفقد مراكز التربية هناك، كما كان ابن باديس يتلقى التقارير عن سير هذه المراكز والنوادي من حين لآخر بعد عودة هذه الشخصيات من باريس، وخاصة بين سنوات 19361938 التي كثر تردد كبار العلماء لمتابعة هذا الأمر، أو الإشراف المؤقت أو تقديم محاضرات[5]، وبالتالي ازداد نشاط الجمعية في الأوساط العمالية بما فيهم المغاربة والتونسيين من خلال النوادي التي فتحت بشكل واسع (15 نادي في باريس وحدها) فصارت ملاذا علميا وشرعيا للعبادة لهذه الجالية وغيرها من المسلمين إضافة

---

1 - AMAR HELLAL , le mouvement réformiste Algérien les hommes et l'histoire (1831-1957),OPU,2002 ,P 190 -192.

2- بوعبدالصاف عبد الكريم، جمعية العلماء الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 646.

أنظر أيضا: مسعود الورتيلاني نجل الفضيل الورتيلاني "الشيخ الفضيل الورتيلاني"، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 00 ربيع الثاني، 00 جوان 2000، ص 10.

3- ولد في 10/ 05/ 1904بالميلية، أوفد لباريس في 1935، استشهد في جويلية1960في كمين نصبه الاستعمار، ولايزال قبره مجهول انظر: عزيز لكحايشي، "قراءة نقدية في رحلة محمد الزاهي الميلي من باريس إلى قسنطينة"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعةالأمير عبد القادر، قسنطينة، 25 شوال 1427، نوفمبر 2006، ص ص139-140.

4-مجهول، "جمعية منبثة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا"، البصائر، ع05، 15 صفر، 1936، 00فيفري 1937، ص 8

5- A.N.O.M, G.G.A, 9H/46 surveillance politique des indigènes, voyage de lamine lamoudi et du cheikh el Hadi senoussi le 13/10/1937.

إلى محاربة الإلحاد الذي كانت دعايته في أوساط المهاجرين لشمال إفريقيا.[1] وفي هذه الأجواء ربط الورتيلاني علاقات مع بعض الطلبة في فرنسا مثل عمر بهاء الدين الأميري، توفيق الشاوي، وكذلك الزعيم شكيب أرسلان. وكان على صلة مع زعماء الحركات الاستقلالية في المغرب العربي مثل محمد بن عبد الكريم الخطابي[2]، والحبيب بورقيبة[3].

ويبدوا أن هذه النوادي ومراكز الجمعية صارت في نظر الجالية المغربية الهيئة الحافظة للنشاط الإسلامي، والتهذيب الاجتماعي، ومكانا لنسج العلاقات والالتقاء بما يعوضهم عن محيطهم الاجتماعي ببلدانهم الأصلية وأهم جمعية في باريس كانت تؤدي هذا الدور هي جمعية التهذيب فقد أكد القائمون عليها في رسالة للأسعاد العقبي أنها قطعت شوطا في ميدان العمل التعليمي حيث أسست سبع مدارس في قلب باريس تلقى فيها الدروس للطبقات المختلفة من قراءة وكتابة للعامة بالعربية والفرنسية إلى دروس لغوية ونحوية وجغرافيا وتاريخ، فضلا عن المواعظ والثقافة الإسلامية التي يقصد بها تكوين الشعور العام بين المسلمين كافة دون تفريق بين تونسي وجزائري ومغربي وغيره[4].

ويبدو أن رموزا إصلاحية كانت موجودة في فرنسا أمثال مالك بن نبي كانت ترى في شخص الورتيلاني غير قادر على القيام بهذه المهمة، وأن العمل في أوربا له خصوصياته التي تختلف عن ما هو موجود في العالم الإسلامي، فهو يقتضي معرفة الظروف والثقافة والمعايشة والخطاب الذي يفهمه المهاجرون.

1- يوصفصاف عبد الكريم، مرجع سابق، ص 640.
2- ولد في 1882، واشتهر باسم أبيه عبد الكريم الخطابي، حفظ القرآن على أبيه في أمادير ثم درس في تطوان ثم القرويين ثم مدرسا في مراكش، واشتغل بالقضاء بمراكش، وحرر الصفحة العربية في (رسالة الريف) سنة 1915 وسجن في نفس السنة حتى 1916 وعمل قاضيا للقضاة من جديد بمليلية، وفي 1919 عاد إلى أمادير وأشعل الثورة في 1921.
أنظر: معجم مشاهير المغاربة تنسيق بوعمران الشيخ، جامعة الجزائر، 1995، ص 155-156.
3- أيت باعزيز عبد النور، مرجع سابق، ص 17.
4- "جمعية التهذيب بباريس"، المنار سابق، ص 5.

واعتبر ذلك إضعافا لأعضاء أمام السلطة الفرنسية باعتبارهم محسوبين على أنصار التيار الإصلاحي، وكان الأفضل أن يقدم نموذجا أحسن [1].

ولكن يبدو أن بن نبي لم يستمر على هذه القناعة بعد رؤيته للأعمال الجليلة والنوادي المفتوحة في باريس ومدن أخرى بهدف تعليم أبناء الجزائريين وحتى أبناء المغرب العربي والإسلامي، ونشر العربية ودور العبادة، وبالتالي فرسالة الجمعية في فرنسا كانت إيجاد القاعدة الثقافية والدينية للمهاجرين وبالتالي فالتحصيل على الوعي السياسي يأتي ثمرة لهذا العمل الذي يزيد من ربط الجالية ببعدها الوطني وهويتها وخاصة بعد أن تعززت برامج هذه النوادي بتدريس التاريخ الإسلامي والتعريف بالأقطار العربية، وتبليغ كثير من الأفكار من خلال الدروس والمسرح وغيرها. والعمل على استقطاب معظم أفراد الجالية وخاصة في المناسبات الدينية.

وعرف ابن نبي وهو طالب في الهندسة سنة 1952 بمحاضراته حول تاريخ إفريقيا الشمالية التي عرفت بعض النجاح وخاصة في الأوساط الطلابية.[2] وظل يمشط في هذا الميدان وراسل وزير العدل الفرنسي لكشف معاناته ومن خلاله الجالية المغاربية أمام التمييز الفرنسي وفقدان الحقوق والتجاوزات من قبل الشرطة وغياب فرص العمل وغيرها[3].

ويروي عن نفسه أنه في سنة 1938 أنشأ مدرسة حرة لتعليم القراءة والكتابة في مدينة مرسيليا ليستفيد منها عمال شمال إفريقيا، ولكن المقصلة الاتحادية

1- مولود عويمر، مرجع سابق، ص 100.

2 - A.N.O.M, G.G.A, S.L.N.A, 93/4280, correspondance au ministre de la justice, copie de l'expose adresse le 12 juillet 1952 au Ministre de la justice p.01.

3- ibid., correspondance au ministre de la justice, copie de l'exposé adresse le 12 juillet 1952 au Ministre de la justice p.01.

استدعته وأمرته بغلق المدرسة، ورغم احتجاجه وشرحه لمهل هذه المدرسة وحق أصحابها في الحياة لكن المفتش أصر أنها أوامر صادرة من الأعلى[1].

ولكن الأمر يتعلق بالنظرة الفرنسية إلى هذه الشخصية التي جمعت بين الفكر الإصلاحي والاطلاع على الثقافة الفرنسية وحمل هموم شمال إفريقيا والاتصال بمختلف شرائحهم من طلبة وعمال. وفي نفس الوقت يحمل نبرة معادية للاستعمار تحدوها الجرأة في الخطاب ومراسلة وزارة العدل لإيضاح الظلم المسلط على المغاربة. وهذه الوضعية جعلت الإدارة الفرنسية تحاصره حتى في لقمة العيش من أن يحصل على منصب عمل سواء في فرنسا أو الجزائر من خلال ما سجله لها في العديد من الأماكن التي رفض فيها، بل أن السلطات الفرنسية قالت أنه يمثل فرع حزب الشعب في مدينة تبسة منذ 1939. ويعلن تعاطفه مع الألمان، ومن أنصار الدعاية الوطنية المطالبة باستقلال الجزائر بقوة.[2] واعتبرته عنصرا مشاغبا في الأوساط المهاجرة.

ومما يسوقنا أنه خلال سنة 1952 شهدت العاصمة الفرنسية حضورا إصلاحيا مكثفا على المستوى التربوي والثقافي وحتى التنسيق السياسي مع القيادات المغاربية والإسلامية. ففي هذه السنة كانت زيارة كل من الشيخ العباس بن الشيخ الحسين وخير الدين في 1952/01/12[3] وما كان لهم من محاضرات في الأوساط الإسلامية وتفعيل عملية فتح المدارس[4]، إضافة إلى الحدث الهام المتمثل في زيارة الابراهيمي لباريس واللقاء الهام الذي عقد في 1952/02/18 الذي نظمته جمعية العلماء في شكل مأدبة ترأسها رئيس الجمعية شخصيا البشير الإبراهيمي في مقر الشعبة بباريس.[5] وحضرت الوفود العربية الإسلامية ومنها أقطار المغرب العربي مثل

1- ibid., copie de l'expose adressé le 12 juillet 1952 correspondance au Ministre de la justice p011 أنظر ملحق رقم

2- ibid., [Etude intitulée 'le phénomène comatique'.

3- A.N.O.M, F.D.C, 9d/ 4274, l'activité des oulémas; rapport du; 10.01, 1952.

4- A.N.O.M, F.D.C, 9d/ 4245: l'activité des oulémas, rapport ; 16.01, 1952.

5- كان يرأسها عبد الرحمن اليعلاوي.

الدكتور العنبري من ليبيا، وسعادة صالح فرحات ومحي الدين القليبي ومحمد صالح عتيقة من تونس، وعبد القادر المعيوري ممثل الجبهة الوطنية بتونس، وممثل وفد تونس الوزاري محمد بدرة، وصالح بن يونس.

كما حضر محمد الوزاني و الشيخ المكي الناصري، و بعض شباب حزب الاستقلال. وأمام هذه الوجوه البارزة والممثلة للمغرب العربي خاطب الإبراهيمي الحاضرين بحرأة حادة عن الصورة السوداء التي رسمها فرنسا ببلدانهم " إن دماء في تونس تسيل وشعب في المغارب القلائ يعذب وشبان تفسخ له السجون والمعتقلات وتغلق في وجهه المدارس والمعاهد، ودين في الجزائر ممهن الكرامة، فهيهات أن نفصح عن باريس أو نصالحها بعد أن جنينا المر من ثمراتها و هيهات أن يسميها عاصمة النور من لم يغشه منها الظلمات.[1] وهيهات أن يلقبها دار المساواة و لم تعامله إلا بإجحاف" وكان هذا اللقاء بمثابة مؤتمر كبير سواء بالنظر إلى حجم الشخصيات الحاضرة والممثيلة لبلدان المغرب العربي أو إلى القضايا التي طرقت والتي قدم كل هذه البلدان من قبل رئيس الجمعية و في عقر فرنسا، ورغم أنه لم يتقرر عنه ميلاد أي هيئة أو بيان أو عمل مشترك ولكنه كان له صدى معنوي وسياسي لدى زعماء المغرب العربي أو لدى الجالية بفرنسا تداولته كثير من الصحف في زمن يشهد فيه المغرب العربي عليانا ثوريا.

ودعما لكل المساعي التي من شأنها أن تدعم العمل المشترك رحب الإبراهيمي خلال نفس الشهر باسم الجمعية بميلاد ميثاق اتحاد أحزاب الشمال الإفريقي بمختلف أطيافه والأهداف التي يسعى إليها على أساس تكوين جبهة مشتركة لمقاومة الجبهة الاستعمارية المتكتلة أيضا، وكان هذا الاجتماع للاتحاد في 1952/02/02 بباريس وضم حزب البيان وحركة الانتصار، والدستوري القديم والدستوري الجديد، وحزب الإصلاح وحزب الوحدة، حزب الشوري و الاستقلال، حزب الاستقلال. وقد اهتزت الأوساط الفرنسية لهذه التحركات التي تجمع بين التيارات الوطنية لبلدان المغرب العربي وأطلقت عليها (رجلة الوحدة والعمل لإفريقيا الشمالية C.U.A.N.A.) واعتبرت العلماء غير ممثلين رسميا في

1- عبد الرحمن بن العقون، ج5، مرجع سابق ص 224، أنظر أيضا البصائر، ع155.

هذه اللجنة ولكنهم يقودون العملية في باريس، وأن الشيخ عبد الرحمان اليعلاوي ساهم عدة مرات في نشاط وتظاهرات هذه اللجنة[1] ويشير هذا المصدر أن محمد ميز الدين هو الذي سلم[2] وثيقة الاجتماع إلى الكاتب العام بجمعية الأمم المتحدة (بريفيلي) وأن الإبراهيمي هو رئيس وفد الاتحاد و حاول البعض تعويضه بمصالي أثناء زيارته في الإقامة الجبرية بباريس[3].

والجدير بالذكر أنه بقدر ما انتشرت فروع الجمعية عبر الجزائر[4] فإنه كان لها توسع في فرنسا حيث بلغت فروعها عبر المدن الفرنسية إلى أكثر من ثمانية فروع (شعب) في هذه المدن لها نوادي ومدارس.[5] وهو تواجد هائل إذا ما قورنت بالإمكانيات الموفرة. وهذا اعتبارا للجالية الجزائرية الموجودة التي قدرها الإبراهيمي سنة 1952 بحوالي (150000 جزائري) في باريس وحدها بينهم حوالي 20 ألفا طفل. وقال لماذا لا نبني لهم 20 مدرسة في مختلف أحياء العاصمة باريس ومركز ثقافي عربي لتعليم العربية ونشر الثقافة الإسلامية.[6] وهذه المرافق كانت مفتوحة لكل أبناء الجالية المغاربية وخاصة في ظل غياب أي هيئة أخرى تؤدي هذه الوظيفة.

وهذا الفضاء العربوي المزوج بالنشاط السياسي أوجد فرصة للقاء مع زعماء من داخل الجزائر وخارجها، فخلال تواجد الشيخ خير الدين سنة 1952 التقى هناك بمصالي الحاج وبعض مسؤولي الاتحاد الديمقراطي، وزعماء الدول العربية وأعلن أن وحدة الأحزاب الوطنية في شمال إفريقيا ضرورية في العاصمة الفرنسية حتى تؤدي

1- A.N.O.M, F.D.A, 91/ 4I14, l'activité de l'association des oulémas d'Algérie a l'étranger, conseil administratif, annexes, p 22.

2- الشيخ محمد ميز الدين، مصدر سابق، ج 2، ص 967.

3- نفسه، ص 969.

4- وصلت في الجزائر إلى 126 فرع و 92 نادي و 121 مدرسة سنة 1950.

5- A.N.O.M, F.D.A, 91/ 4I14, l'activité de l' association des oulémas d'Algérie a l'étranger, en métropole, P 09.

6- ibid, l'activité dl' association des oulémas d'Algérie a l'étranger, séjour au Caire du Cheikh BRAHIMI BACHIR. rapport du: 04/06/1952.

وظيفتها، وهذه الأجواء جعلته يصطحب معه عصابي الحاج لزيارة بعض فروع الجمعية. ومما جاء في هذا التقرير أنه خلال هذه التحركات التي قربت بين زعماء الحركات الوطنية، كان الإعلان عن جبهة التحرير إفريقيا الشمالية[1].

1- A.N.O.M, F.D.C, 93/4274, Activité du Cheikh Khair-Eddine, le 5 Mars 1952.

المحور الثالث
محور النشاط الإصلاحي

النخبة الإصلاحية الجزائرية وعلاقتها بالمشرق العربي

1- الحج ودوره في التواصل العلمي بين علماء الجزائر والحرمين الشريفين

وفيما يخص التواصل العلمي بين علماء الحرمين الشريفين والعلماء المغاربة بواسطة الرحلة العلمية من بلاد المشرق إلى البلاد المغاربية؛ فإن المصادر التاريخية تشير إلى هذا التواصل العلمي التقائي بين الجانبين، ولكنه لا يقارن بما يحصل في رحاب الحرمين الشريفين بمكة والمدينة أثناء السنة عامة وفي موسم الحج خاصة، فالعلماء المغاربة كانوا يأتون إلى بلاد الحرمين الشريفين لأداء ركن من أركان الإسلام وعبادة الله عز وجل وزيارة لمسجد رسول الله، فساعد ذلك على تزايد توافدهم باستمرار إلى بلاد الحرمين الشريفين بأعداد كبيرة في موسم الحج طاعة لله واتباعا لسنة رسول الله، مع ما يجدونه من لذة وسعادة وراحة نفسية أثناء سيرهم لأداء هذه الشعيرة العظيمة، وخلال مدة إقامتهم بمكة المشرفة والمشاعر المقدسة وفي المدينة المنورة، فهم بين طاعة وعبادة وطلب للعلم، وتواصل وتحقيق أخوة إسلامية مميزة وفريدة ونادرة مع إخوانهم حجاج بيت الله الحرام، أو أقرانهم من العلماء من بقية الأمصار الإسلامية الذين اجتمعوا في رحاب الحرمين الشريفين.

ومن الأسباب التي قللت من التواصل بين علماء الحرمين الشريفين وعلماء الجزائر من خلال الرحلة العلمية إلى بلاد المغرب العربي أن ما يبحث عنه العلماء وطلبة العلم بمكة والمدينة من علم والتقاء بالشيوخ والعلماء المسلمين الآخرين قد قيأ لهم ذلك من خلال قدوم علماء الجزائر وغيرهم إلى رحاب البيت العتيق لأداء فريضة أو إلى الروضة الشريفة بالمدينة للصلاة في المسجد النبوي، فخفف الله عنهم عناء السفر والانتقال والارتحال لطلب العلم بوصول هؤلاء العلماء الفضلاء من شتى أقطار البلاد الإسلامية، مما شجعهم على استغلال الأوقات في

الاستفادة من هؤلاء العلماء، وحثهم على لقائهم والجلوس إليهم للأخذ من علومهم، فكانت أروقة الحرمين الشريفين خلال موسم الحج خاصة ميهلاً عذباً عاماً يهبل منه العلماء وطلبة العلم المسلمين في كافة العلوم الإسلامية، وهذه إحدى المنافع المباركة من أداء فريضة الحج وسوف تستمر هذه المنافع والفوائد مع استمرار توافد العلماء إلى بلاد الحرمين الشريفين.

وكان العلماء الجزائريون يستفيدون من المكتبات وخزائن الكتب الموقوفة على الحرمين الشريفين، ويستعيرون بعضها للقراءة والاستفادة منها، فضلاً عن شرائهم للعديد من المؤلفات في مختلف العلوم الإسلامية، فكان ذلك من أسباب حفظ هذه المخطوطات ونقلها إلى خزائن الكتب بالبلاد المغاربية على يد العلماء الجزائريين.

وأشارت المصادر التاريخية إلى تواصل وثيق بين علماء البلاد المغاربية وبلاد المشرق، فتعد طائفة من العلماء المغاربة ارتحلوا إلى المشرق الإسلامي، واستقروا في طريقهم بالديار المصرية، ونزلوا بها وقد تركوا للأجيال بعدهم عدداً كبيراً من المؤلفات العلمية، وساهموا في إثراء الحركة الثقافية والفكرية في المشرق الإسلامي عامة والبلاد المصرية خاصة، وأورد الرحالة في مؤلفاتهم عن رحلاتهم وصفاً لما شاهدوه أثناء إقامتهم في بلاد مصر والحجاز، مثل المساجد والآثار والأسواق والمكتبات ودور العلم وما تحتويه من ذخائر وكنوز علمية، وحضر بعض هؤلاء الرحالة دروس العلماء فوصف أساليب التعليم وطلاقة رجالات الفقه والحديث وغيرها من العلوم الإسلامية.

وقد كان التوجه لأداء فريضة الحج من أهم الأسباب التي ساعدت على هذا التواصل بين المسلمين في الجزائر وبلاد الحرمين الشريفين مروراً بالديار المصرية.

وقد أشار عبد الله بن محمد العياشي صاحب الرحلة الشهيرة أنه خلال مجاورته بالحجاز لمدة سنوات أخذ عن علماء الحرمين الشريفين، ومنهم زين العابدين الطبري، وعبد الله بالفقيه، وعلي بن الجمال، وعبد العزيز الزمزمي،

وإبراهيم الكردي، وحسن العجيمي، بالإضافة إلى العلماء المغاربة المجاورين بمكة والمدينة في تلك الفترة، مثل: عيسى الثعالبي أحد أعيان العلماء الجزائريين المهاجرين إلى مكة والمدينة[1].

ومن ذلك ما ورد في ترجمة الشيخ حسن المشاط المكي، حيث قال عن ذلك: «وحين قدم العلامة حمدان بن سيدي أحمد الجزائري الونيسي القسنطيني إلى مكة المشرفة حاجاً عام (1057هـ) أنه تشرف بالاجتماع به، وقرأ عليه من أول مختصر خليل بمكة وبمنى أيام الحج وبعد النزول بمكة، ومكث إلى نهاية ذي الحجة ومحرم الحرام، وانتفع به الشيء الكثير...»[2]. وتولى بعض العلماء المغاربة التدريس والتعليم بالحرمين الشريفين، والفتوى للمستفتين، أثناء نزوحهم بمكة المشرفة وزيارتهم للمسجد النبوي الشريف بالمدينة.

ومن الأمثلة على التواصل العلمي بين علماء الجزائر وغيرهم من علماء المشرق، نجد الشيخ مرتضى الزبيدي إمام أهل اللغة في القرن الثاني عشر الهجري الذي تتلمذ على يد محمد الحسين البليدي الجزائري.

إن هذه الإشارة الموجزة لجهود العلماء تبين لنا الأعمال الجليلة التي قاموا بها في مجالات العلم والتعليم والفتوى والقضاء والإرشاد والتوجيه في مختلف الأقطار الإسلامية التي مروا بها أو استقروا فيها خلال رحلات الحج أو طلب العلم أو نشره بين أبناء الأمة الإسلامية، وهي أعمال جليلة لهؤلاء العلماء ما زالت آثارها وفوائدها شاهدة على فضلهم حتى وقتنا الحاضر، وما تلك الأعمال إلا ثمرة طيبة من ثمار ومنافع التوجه إلى بلاد الحرمين الشريفين؛ لأداء فريضة الحج وزيارة مسجد رسول الله، ونتج عنها عبر العصور التاريخية ذلك النموذج الفريد للتواصل بين علماء الجزائر وعلماء الحرمين الشريفين بمكة والمدينة.

1- أبو القاسم سعد الله، «مع العياشي في رحلته إلى القدس»، مجلة التاريخ العربي، عدد 10، 1420هـ، ص. 194.

2- عبد الحميد أبو سليمان، عطاء العلماء الوافدين إلى مكة، ص ص. 550-554.

2- قوافل الحج والصحافة الفرنسية:

وحسب الصحافة الفرنسية فإنه لأول مرة في سنة 1940 هذه السنة يعم مرافقة بعثة مصورة وإذاعية للحجاج الجزائريين للبقاع المقدسة، ورغم ظروف الحرب فإن المسلمين الموالين للإمبراطورية البريطانية وفرنسا يتوافدون بقوة، وتقول أيضا أن فرنسا تحترم كثيرا اعتقادات رعاياها، ورغم ظرف الحرب فإنه في هذه السنة كان تنقل الحجاج تحت رقابة الحكومة وجهزت سفينة لنقل الحجاج انطلاقا من الجزائر العاصمة ابتداء من الخامس جانفي 1940 وهي مباحة لكل زائري البقاع المقدسة باعتبار الحج أحد الأركان الخمسة في الإسلام[1].

والواضح أن فرنسا أرسلت وفدا رسميا لمتابعة وفود الحجاج في شمال إفريقيا كالعادة لتتبع آثار الحجاج وعلاقاتهم وخاصة في ظل الحرب، وحسب المصادر الفرنسية ذاتها أن الملك عبد العزيز بن سعود استقبل الوزير الفرنسي في جدة والذي كان بصحبة المحافظ الفرنسي القادم مع الحجاج الجزائريين والمغاربة أيضا، كما طلبوا قبول هيئة التصوير في الحجاز، وهذه الفرقة ركزت على تصوير الفرحة والسعادة التي كانت تسود الحجاج في ظل الظروف والخدمات التي وفرتها فرنسا حسبها[2].

والملاحظ أيضا أن الحجاج المغاربة هذه السنة كانوا مؤطرين من قبل الحكومة في الجزائر، واعتبرت فرنسا أن موسم الحج هذه السنة كان ناجحا وحظي بتنظيم حسن وأعطى صورة قوية لفرنسا في أذهان البلدان الخاضعة لها حسبها، وقالت أن أحسن شركة في تقديم الخدمات للحجاج هذه السنة هي للسيد الباشاغا بن شنوف، وأن فرنسا اهتمت بالحج هذه المرة حتى لا تترك مجالا للدعاية المضادة لها، ولذلك أرسلت العديد من البعثات لجدة وداخل البقاع[3]. وطبعا فإن البعثة التي ترافق الحجاج داخل الحرمين تتكون من المسلمين الجزائريين.

1- A.O.M.16 H 101. LA MACQUE
2- OP. CIT notes sur le pèlerinage nord-africain au lieuxsaintsde l'islam en 1940 p.07.
3- OP.CIT P 08.

3- علاقة الإخوان المسلمين بعلماء الجزائر:

يبدو أن بدايات هذه العلاقة لم تكن واضحة بشكل جلي إلا من خلال العلاقة مع الشيخ الفضيل الورتيلاني في المرحلة الأولى وتحديدا في نهاية الثلاثينيات والتي انضم فيها للجماعة وصار عضوا بارزا في هياكل الجماعة ضمن قسم الاتصال بالعالم الإسلامي، وإن وجد قبله عمر العلمساني الذي استقرت أسرته منذ أمد بعيد بمصر، وصار هذا الخير المرشد العام للجماعة بعد الفضيلي. وقيل أيضا أن ابراهيم اطفيش كان على صلة بالإخوان واعتقل ابنه محمد في سجن الطور عام 1949 والذي بدوره كان عضوا في جماعة الإخوان[1]. والملاحظ أنهما إباضيان لكنهما أعجبا بتوجه الإخوان.

كما كتب الشيخ أحمد سحنون 19072005 مقالا عن المرشد حسن البنا معجبا به ومما جاء فيه " فقد وهب نفسه وقلمه وحياته لله ولنصرة دين الله ولو عاش.... على اسم الاستعمار من الوجود".[2] كما كان الشيخ الابراهيمي حاضرا في العديد من نشاطات الإخوان بالقاهرة من خلال المحاضرات والدروس، كما تابعت الصحف الإخوانية الشأن في الجزائر، وكانت البصائر تنقل بعض المقالات عن الصحافة الإخوانية وكتب السيد قطب عدة مقالات في البصائر. وفي باريس كتب الشيخ سعيد البيباني الذي كان يشرف على نوادي المهذيب التابعة لجمعية العلماء الجزائرية أن السيد كمال أبو المجد الذي ينتمي لجماعة الإخوان كان يساهم في نشاطات هذه النوادي ووصفه بأنه" أحد رجال الإخوان المسلمين المؤمنين الثابتين والمصحين"[3].

وعند اندلاع الثورة التحريرية خصص صالح عشماوي العضو البارز في جماعة الإخوان مقالا أسبوعيا في صحيفة الجماعة "الدعوة"يتابع فيها

1- مولود عويمر، أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، ط10، دار الخلدونية، 1428، 2007 ن ص 28.

2- نفسه.

3- نفسه، ص 24.

تطورات الثورة، وكتب فيها الورتيلاني مقالا تحت عنوان: الثورة الجزائرية والمغرب العربي بتاريخ 07 نوفمبر 1954 وحث فيه على الجهاد "أيها المواطنون الأحرار مهر الحرية غال وإنه لا يفقد إلا دماء تراق ونفوسا تزهق.فوطنوا أنفسكم على تحمل الشدائد والمكاره، وإن وطنكم عزيز فادفعوا في تحريره الثمن الباهض" [1].

وقيل أيضا أن محمد خيضر أحد زعماء الثورة المعروفين كان على صلة بقادة جماعة الإخوان لجلب النصرة للثورة. كما كان للشيخ محمد محمود الصواف بالعراق عاطفة قوية اتجاه الثورة الجزائرية، ومن خلال كونه رئيس جمعية الأخوة الإسلامية، ومشاركة بعض العلماء والساسة العراقيين فقد ساهم الصواف في تأسيس "لجنة مناصرة جهاد الجزائر" التي كان لها دورا بارزا في النوعية وجميع التبرعات[2] أما في سوريا فقد كان للشيخ مصطفى السباعي موقفا شجاعا في مناصرة القضية الجزائرية وخصص لها صفحات في مجلة حضارة الإسلام وفتحت صفحاتها لأعلام وأقلام قلة لهذا الغرض منهم: نور الدين حاطوم، محمد المبارك، علي طنطاوي، الابراهيمي، محمد الغسيري، الورتيلاني، المدني،....ووصف السباعي الثورة الجزائرية أنها ستغير مجرى التاريخ[3].

4- الموقف من الإخوان المسلمين بمصر:

من اللافت للانتباه أن هذا الموضوع شكل محل متابعة من قبل البصائر رغم أنه قضية داخلية بمصر، وذلك للعلاقات التي تجمع الإخوان المسلمين[4] برجال الجمعية وخاصة بعد الرحلة قام بها الإبراهيمي نحو الشرق فكانت أول محطاته النزول في مركز الإخوان وإلقاء الدروس للدليل على الأواصر المتينة بين

1-أولود عمر، مرجع سابق، ص 55.
2- نفسه، ص 57.
3- نفسه ص 58.
4-جماعة إسلامية تأسست عام 1928 بقيادة الأستاذ حسن البنا.

الطرفين[1]، وكان له لقاء مع قيادة الإخوان في مصر والهيئة العربية العليا لفلسطين لتدارس ما يمكن للجمعية أن تقدمه من دعم[2]. ولأن هذه الجماعة كان لها دورا هاما في تطور الأحداث والحرب مع إسرائيل، وحلقات الصراع الدائر بينها وبين النظام المصري، وكونها أصبحت تمثل قوة ضاغطة تساهم في توجيه الأحداث، فإن الجمعية بحكم توازناتها الصعبة تميزت مواقفها بعدم الوقوع في حلبة الصراع بقدر ما سعت إلى إرضاء كل الأطراف وتعيين صلاتها بهم.

وقد كان لهذا التيار تأثيرا واضحا وحضوره السياسي وشمل معظم بلدان المشرق العربي[3]. إذ كان عاملا مهما في دفع النظام الملكي في المعركة ضد إسرائيل سنة 1948 لتزايد مد التيار الإسلامي ومحاولة الملك استثمار ذلك لصالحه[4]، ويبدو أن تيار الإخوان نجح في تعبئة الجماهير والشرائح المختلفة في القضية الفلسطينية والأعمال الفدائية في الفترة قبل الثورة[5]، بل انتقل نشاطه الفكري والسياسي إلى بلدان عربية أخرى وهو ما جعل بعض الدول تحاصر هذه الحركة في كل من سوريا ولبنان والأردن والعراق[6].

1- بشير فايد، الشيخ البشير الإبراهيمي ودوره في القضية الوطنية 1920-1965، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2001، ص 119.

2- بدون كاتب "رحلة الأمداد الجليل إلى الشرق "البصائر، العدد 155، السنة3، 12 رجب 1371هـ-7 أفريل 1952م، ص2.

3- حلاوة طاهر، العالم الإسلامي في الاستراتيجيات العالمية المعاصرة، ط 1، مركز الدراسات العربي والأوروبي، دار بلال، بيروت، لبنان،1995، ص:408.

4- حسين دافعة، مرجع سابق، ص 10.

5-SEYD Qotb «le génie de Hazan EL Banna», Le Jeune Musulman, N0 26, 2emeannee 8Djémada2,1373,28-1-1954.P:07.

6- اعترت الحكومة العراقية أن مصر هي مصدر انطلاق هذا التيار وقامت بإجراح الضباء من أراضيها ونفس السلوك اتبعه فيما بعد سوريا ولبنان والأردن، انظر الصحيفة الفرنسية Gouvernement Général de l'Algérie «les réactions dans le monde musulman» ,Bulletin des questions islamiques ,Décembre 1954 ,P:138

ويتضح موقف الجمعية من خلال البصائر مبكرا حول هذه الحركة إثر اغتيال حسن البنا[1] واصفة إياه بالشهيد، وبعد أن أشادت بهذه الجمعية في تطهير المجتمع وإصلاحه تمنت أن تُسَيَّج مثل هذه الحركات بدعاة ومرشدين في إطار معين حتى لا تحرك المتصرفات للعامة، واعتقدت أنه ظهر في كنفها أشخاص لهم تصرفات لا ترضاها القيادة العامة أو تُسَرُّ بوجودها وهو ما جعل مصر تبقى قسما من جندها في ثكناته لحراسة الأمن الداخلي[2] وحين بعد قيام ثورة يوليو 1952 بقيت البصائر تعاطف كثيرا مع جماعة الإخوان وتحاول مشكلة صراعها مع النظام ولكنها نسبت أعمال العنف إلى فئة خرجت منها، وخاصة لما بلغ الأمر ذروته في عهد عبد الناصر. وقد جاء في مقال "وإذا قطعنا النظر عما هو واقع في مصر من محاكمات هائلة واسعة المدى ضد الجماعات الكثيرة من جماعات الإخوان المسلمين المتهمين بالعمل على الانقلاب .... وإذا قطعنا النظر عن تلك الأحكام الصارمة القاسية التي صدرت عن الكثيرين منهم، ومنهم أحكام الإعدام التي وقع تنفيذها بغاية السرعة وبكل أسف"[3] وفي مقال آخر كانت أكثر صراحة في معارضة سياسة التصفية "و لم يكن من الهين عليا أن تصاب جماعة الإخوان المسلمين ذات المبادئ السامية بمثل هذه الضربات الصارمة التي تكيلها لها الحكومة اليوم جزاء ما اقترفته فئة منها تسترت برداء السرية وأمعنت في التسلح الغير قانوني[4].

1- المرشد العام للإخوان من (1928 — 1949).

2- "مصر ..."البصائر، العدد 58، المصدر سابق، ص5. ويبدو أن توفيق الدين كان على توافق كبير مع الصحافة الرسمية المصرية في تحميل هذه الجماعة كل التراتبي وإشاعة الإرهاب في مصر وهو ما دفع الحكومة إلى محاصرة الحركة وإصدارة المؤسسات والمنظمات.

3- "مصر..." البصائر، العدد 800، السنة7، 10 جمادى الثانية 1374هـ، 17، 2، 1954، ص4.

4- "مصر...."البصائر، العدد، 294، السنة 7، 20 جمادى الثانية 1374هـ، 25 نوفمبر 1954م، ص 4.

والملاحظ أن «موقف توفيق المدني كان «مذبذبا في هذا الصراع حيث صرح أن القضية[1] كان يقود «معارضة ولكنها «رزينة ويعمل على المحافظة على الأوضاع»[2] ومن جهة أخرى كتب حول حادث محاولة اغتيال عبد الناصر" ويقول البحث الرسمي أنه من الذين «يأتهم دائرة خاصة في جماعة الإخوان المسلمين المأثرة بسياسة القضيبي... ومن عجائب الإخوان، وهم نخبة النخبة في بلاد «مصر من حيث الإيمان والحمية والإخلاص والانقطاع لدعوة الحق، لم يستطيعوا قبل قوات الوقت التغلب على «هذه النزعة الغريبة التي بدت من الأستاذ القضيبي"[3].

وبالتالي فإن اعتماد توفيق المدني على الإعلام الرسمي المصري في تتبع الوضع السياسي وكذلك تأثير عبد الناصر[4] في توجيه الأحداث له أثر واضح.

والملاحظ أن «هناك وساطة ومحاولة لتجنب الصراع من قبل رجال الجمعية حيث توسط الورتيلاني بين قيادات الإخوان والحكومة المصرية[5].

وقد شكلت قضية العنف واستعمال القوة من قبل «هذه الجماعة جدلا كبيرا بين الإثبات والنفي. فالأستاذ «مالك بن نبي يشير في الذكرى الرابعة لاغتيال حسن البنا بأنه لم يتجاوز وإنما كان يبشر المبادئ القرآنية في الأوساط الشعبية واصفا إياه بالرجل الذي أشعل الثورة[6] (يقصد الثورة الفكرية والثقافية).

1- المرشد الثاني بعد حسن البنا بجماعة الإخوان

2- بدون كاتب "الإخوان المسلمون" البصائر. العدد 250، السنة 7، 20 ذي القعدة 1373هـ، 20 جويلية 1954 م. ص 3.

3- "مصر..." البصائر، العدد 250، «مصدر سابق»، ص 4.

4- ذاكر أحمد حقر وش (أحد الضباط الأحرار) أن عبد الناصر كان ضمن الإخوان قبل الثورة. تصريح يوم 20 سبتمبر 2001 بقناة الجزيرة.

5- Gouvernements Général de l'Algérie «les frères musulmans en Egypte» Bulletin des questions islamiques N256: Décembre 1954, p:115.

6- Malek Bennabi, «Haçan el banna» le jeune musulman, N°16, 1re année, Djemada 2,1372 ,27 février, 1953, p. 1.

وإذا عدنا إلى مصادر الحركة وأدبياتها نجد مرشدها الأول يقول: "وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها ولا يعتمدون عليها ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها، وإن كانوا يصارحون كل حكومة في مصر بأن الحال إذا دامت على هذا الوال و لم يفكر أولوا الأمر في إصلاح عاجل وعلاج سريع لهذه المشاكل فسيؤدي ذلك حتما إلى ثورة ليست من عمل الإخوان المسلمين ولا من دعوتهم ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الأحوال وإهمال مرافق الإصلاح"[1].

ونفس الاتجاه يدعو إليه المرشد الثاني حسن الهضيبي بتقريره بعدم إسلام من نطق بالشهادتين ورفض اعتبار دماء المسلمين[2]، ويبدو أن الخلاف بدأ منذ حرب 1948 بفلسطين حين عارضت الجماعة الهدنة، وطالبت باستئناف القتال وعدم تمديدها وردّدت صحيفة "الإخوان المسلمون"[3] على الأصوات المنادية بالهدنة وعدم الزج بالشباب المصري وربطت ذلك بالعلاقة المشبوهة بين الشركات اليهودية وبالنحاس مصر ورأسمالها وسادتهم الإنجليز[4]. ثم زاد الخلاف في عهد عبد الناصر وخاصة بعد الإمعان في التصفية والاعتقالات ورغم هذه الظروف والمواقف الحرج فقد استطاعت الجمعية أن تحافظ على علاقاتها مع عبد الناصر وحاولت أن تستفيد

1- حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، شركة الشهاب الجزائر، د ت ط، ص105.

2- حسن إبراهيم الهضيبي، دعاة لا قضاة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د.ت. ط، الجزائر، ص، 40، 41.

3- لسان حال الإخوان المسلمين، تولى محب الدين الخطيب إدارتها في إحدى المراحل وهذا ما يؤكد العلاقة الوطيدة بين الجماعة ومحب الدين، للمزيد أنظر عبد العزيز الرفاعي، الديمقراطية والأحزاب السياسية في مصر الحديثة والمعاصرة 1870-1956، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1977، ص 211.

4- ذكر هذا المصدر أن رئيس أركان الجيش المصري وبعض الوزراء يملون إشفاقا على الجيش المصري بالهدنة لأنها حرب لا نائة فيها ولا جمل. أنظر:عواطف عبد الرحمان، مصر وفلسطين، ط 2 ربيع الأول 1400 هـ فيفري 1980م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 274.

ه خدمة القضية الجزائرية، ومحاربة الاستعمار وحين أواخر أيام البصائر وجهت له رسالة قبطة باتفاقية جلاء الإنجليز[1].

وبالمقابل ظلت على علاقة حميمة مع الإخوان المسلمين فكان التوافق على خدمة القضية الفلسطينية والتعبئة لها والإصلاح العقائدي والفكري الشامل ومواجهة الاستعمار بكل أشكاله وفي نفس الوقت كانت تطالب الحكومات الداخلية لإقامة أنظمة تضاهم مع شعوبها في هويتها وتمثيلها.

5- الجزائر ومؤتمر القدس:

لقد شارك في مؤتمر القدس سنة 1931 عن الجزائر الشيخ ابراهيم اطفيش، والأمير سعيد الجزائري الذي كان مقيما في الشام إلى جانب حضور زعماء مغاربة آخرين أفذاذ التعالبي ومحمد المكي الناصري ومحمد عبوية وبشير السعداوي، وساهم هؤلاء جميعا في عدة تظاهرات لنفس الغرض وظلت قضية فلسطين حاضرة في الضمير الجزائري وخاصة بعد تقسيم 1937، حيث أسس الشيخ الطيب العقبي ومحمد الأمين العمودي لجنة إغاثة فلسطين والدفاع عنها، وراسلا وزير خارجية فرنسا احتجاجا على ذلك وفي نفس الفترة تأسست لجنة الشباب الإسلامي الجزائري لإغاثة فلسطين [2]. ثم تأسست لجنة إغاثة فلسطين سنة 1948 في نادي الترقي عدة إعلان دولة إسرائيل وأشرف عليها كبار العلماء ورجال الحركة الوطنية أفذال الإبراهيمي أو العقبي، وابراهيم بيوض أو الهدي أ وفرحات عباس، وراسلت العديد من الهيئات العلمية احتجاجا على مشروع التقسيم.

1- "عبر..." البصائر، العدد 000، المصدر سابق، ص4.
2- مولود عويمر، أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، ط01، دار الخلدونية، 1428، 2007 ن ص 19.

6- النشاط السياسي والتعبوي لصالح القضية الفلسطينية:

تنوع هذا الجانب بين مراسلة الهيآت والحكومات والدول ومن ذلك مراسله الجامعة العربية، وهيئة الأمم وفرنسا لإظهار التنديد والاستنكار للموقف السلبي في حق الشعب الفلسطيني[1].

كما وجهت انتقادا للموقف الأمريكي المجاهر بعدائه للشعب الفلسطيني، أما روسيا فنظرت إليها على أنها تؤيد إسرائيل منذ قيامها ولكنها تتظاهر بلعب ورقة محاربة الاستعمار في هيئة الأمم لا أكثر[2] كما حاولت الضغط على الحكومة الفرنسية ووضعها الحرج في شمال إفريقيا، وخاصة فيما يتعلق بالمضايقات والتهم التي خلقت بالصادق بسيس الذي كان يعمل على رأس لجنة إعانة فلسطين بتونس فوُجه احتجاجا إلى كل من الحكومتين الفرنسية والتونسية على هذه الأعمال الجائرة في وقت كان يعمل فيه الصهاينة بكل حرية و أعلنت الهيئة تضامنها مع هذا الوطني الغيور على أمته[3].

ومن جهة أخرى كان للنشاط التعبوي في المدن والقرى أثرا فعالا في التعريف بالقضية الفلسطينية والمؤامرة الاستعمارية الصهيونية واستشعرت الشعب الجزائري مرارة الاستعمار، وخاصة في مكان مقدس مثل فلسطين وخاطب الإبراهيمي الأمة: "أيها العرب حرام أن تنعموا و إخوانكم يؤسماء وحرام أن تطعموا و إخوانكم جياع وحرام أن تطمئن بكم المضاجع وإخوانكم يفترشون الغبراء"[4].

1- احمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص: 555، 559.

2- "مبر....." البصائر، العدد 55، مصدر سابق، ص:5.

ولنعلم أن الاتحاد السوفيتي اعترف بإسرائيل في ظرف 48ساعة.

انظر:

Groupe d'etudes et de recherches, la Palestine en question, Tome I, Edition SNED Algeria, S.D, p.1970.

3- احمد توفيق، المصدر السابق ص، 557.

4- "كيف تشكلت الهيئة العليا..." البصائر، العدد 50، المقال سابق، ص 1.

كما أن شعب الجمعية ومدارسها أصبحت مكانا للمحاضرات والإشعار تحسبا لهول الأمر، بينما ظلت البصائر تطلع الرأي العام في الداخل والخارج تطورات القضية، وكان رد الهيئة العربية العليا التي يرأسها مفتي فلسطين الأكبر[1] على جهود الجمعية وشاكرا لها مساعيها في رسالة بتاريخ 24 سبتمبر 1948م جاء فيها"...وبعد فقد بلغنا أنباء الجهود المباركة التي بذلتها جمعية العلماء...لنصرة قضية فلسطين...فباسم فلسطين الجاهدة تقدم إلى فضيلتكم وإلى أصحاب الفضيلة العلماء..أخلص الشكر..."[2].

أ – الدعم المالي:

ومن الناحية المالية فإن اللجنة التنفيذية وفروعها في المدن التابعة للهيئة العليا والتي ضمت أهل العلم والفضل قد جمعت مبالغ مالية معتبرة وتنوعت الروايات حولها في وقت جمعها وكيفية توصيلها لكن الأمر على الأرجح أنه يتعلق بالظرف الأمني والتحفظ الخاصل حينها، وأنها لم تكن على دفعة واحدة.

فالإبراهيمي يذكر أنه مع بداية رمضان "جمعت عدة ملايين من القرنكات و أبلغناها إلى مأمنها في فلسطين واستمددنا الشهادة القاطعة على وصولها...أما القوم (الصاليون) فقد عملوا في ثلثنا وتقصنا أضعاف ما عملوا لفلسطين ... وقام الشهود على أنهم جمعوا المال لفلسطين هنا وفي فرنسا باسم كاتب هذه السطور وليست هذه بأول مرة ارتكبوا فيها هذه الخطيئة"[3].

1- أمين الحسيني (1897-1975) ولد بالقدس وتعلم بالأزهر، وبعد عودته للقدس مارس النشاط السياسي والديني منذ 1917 واعتقله الانجليز عام 1920، تولى الإفتاء ورئاسة المجلس الإسلامي الأعلى عام 1921 فجر وطنه بعد صدامات مع اليهود عام 1929، وبقي يتنقل بين لبنان وبغداد وعواصم أوربية ثم استقر بمصر حتى 1959 ثم عاد إلى بيروت حيث توفي هناك.المرجع: محمد حسين شريف، مرجع سابق، ص 198.

2- الهيئة العربية العليا "رسالة من المفتي فلسطين الأكبر" البصائر، عدد35، السنة3، 8 ذي الحجة 1367هـ، 11 أكتوبر 1948م ص:1.

3- "كيف تشكلت الهيئة العليا....."البصائر، العدد 38، المصدر سابق، ص:3.

أما توفيق المدني فقال "أن اللجنة جمعت أموالا لا يمكن أن تعتبر طائلة بالنسبة للوقت فقد أرسلت أولا أربعة ملايين فرنك للجهاد الفلسطيني ثم ذهبت أنا بنفسي لباريس موفدا من قبل اللجنة أحمل ثلاثة ملايين سلمتها يدا بيد للسيد الأسعاد أحمد ثروت سفير مصر بباريس بحضور إسماعيل صبري باشا حمال الملك فاروق"[1].

وإذا لم يذكر الإبراهيمي حجم هذه الأموال ولا طريق توصيلها فإن توفيق المدني ذكر سبعة ملايين جملة وحمل منها3 ملايين بنفسه إلى باريس وهذا ما لم يتوافق مع الدراسة[2] التي تذكر3 ملايين حملها العقبي برفقة بن حورة وعباس الفركي إلى فلسطين سنة 1950، فالذي يطرّح السؤال حوله أن كلام الإبراهيمي حول جمع الأموال و إرسالها كان في أوائل أوت 1948 تقريبا بينما زيارة العقبي وقعت في 1950 وهي مدة زمنية كبيرة، و الأرجح أن الروايات القائلة بأن العقبي أخذ معه شخصيا 9 آلاف فرنك و هي القيمة التي تبرع بها أنصاره أقرب إلى الواقع، لأنه لا يمكن أن تجمع أموال ما يقارب سنتين ثم ترسل، أما الإختلاف الوارد في قيمة الأموال المقدمة لفلسطين فقد يعود إلى الوضع الإستعماري الذي لا يمكن التصريح بكل المعطيات.ومن خلال ما سبق ذكره فإن معظم ما جمع من مال لصالح فلسطين كان بفضل جهود ونفوذ رجال الجمعية وهذا يعود إلى الإنتشار الحقيقي لمختلف التشكيلات عبر التراب الوطني والأهمية التي أعطيها لهذه القضية بدرجات متفاوتة.

ب – الموقف من الهدنة:

تابعت البصائر تطورات الحرب العربية الإسرائيلية (1948) وكانت قلقة من وضع الجيوش العربية التي لا تملك قيادة موحدة واعتبرت ذلك سببا في عدم حسم الموقف العسكري لصالحهم، وأن عقد الهدنة كسب محقق لليهود لأن رضوخ الساسة والملوك العرب لقرار الهيئة الأممية خوفا من أمريكا يؤدي لفرض

1- أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، 259.
2- أحمد مريوش، المقال سابق، ص 206.

نظريها وإرغام العالم لقبول هذه الدولة فمنذ فرضت تجزئة فلسطين[1] واعتبر صاحب المقال إنما هو اعتراف بالأخر، وسيستغلها اليهود في استعادة قواهم، ولاحظت الحملة التي تشنأها إسرائيل على الوسيط الأممي برناردوت كان يسير باستشراف المقال ثم أن عملية اغتياله من قبل اليهود[2] أمر مخجل وغدر رغم أن تقريره اعتبر دولة اليهود أمرا واقعا جارحا للعرب[3].

ولامت البصائر الجيوش العربية التي تخوض حربا واحدة بقيادات متعددة، ولهذا اعتبرت عودة الجيوش العربية تحت قيادة واحدة (مصرية) أمرا يبعث على الارتياح، وخاصة أن الموانئ الإسرائيلية(حيفا،ويافا) أصبحت تشهد حركة النمل المزود بالسلاح، فعلى العرب تقدير الأمر بجدية وأن تكون الإدارة العسكرية واحدة فعليا وألها لحظة مواتية إذا ما نفذت[4].

ج – الموقف من حكومة فلسطين:

في خضم الحرب العربية الإسرائيلية[5] تم تشكيل حكومة فلسطين، وما دار حولها من جدل يجسد الواقع العربي المضطرب، فعلى الرغم من تبني البصائر أن تحضى هذه الحكومة[6] بدعم عربي يامال والسلاح لأداء وظيفته[7] الجهادية ضد الصهيانة إلا أنها ظلت تنظر إليها بريبة فيما يبجم عنها من صرعات في ظرف يحتاج إلى وحدة الكلمة والقيادة والمعركة ولهذا نجدها تعارض صراحة هذه

1- أنظر... "البصائر، العدد 46، السنة2، 15شوال1367هـ، 20أوت 1948، ص4.

2- تم اغتيال Comte flock Bernadette في 17 سبتمبر 1948 بالقدس من طرف المتطرفين إسرائيليين منتمين إلى مجموعة شتيرن (Stern).

المرجع Groupe d'études et de recherches , op.cit p213.

3- "أنظر....." البصائر، العدد، 51، المصدر سابق ص:4.

4- "أنظر...." البصائر، العدد 47، السنة 2، ذي القعدة 1367هـ، 27 سبتمبر 1948، ص 4.

5- دخلت القوات العربية (سورية لبنانية وعراقية) شمالا والمصرية جنوبا يوم 15 ماي 1948، بينما بقيت الأردن حتى 20 ماي 1948. المرجع:

Groupe d'études et de recherches op..cit p201

6- برئاسة سلفي باشا.

7- "أنظر..." البصائر، العدد 50، السنة 2، 17 القعدة 1367هـ، 20 سبتمبر 1948، ص 5.

الحكومة لأنها تفضي إلى تقسيم فلسطين بين مناطق (أردنية شرق فلسطين، وإسرائيل في الغرب، وحكومة فلسطينية في النقب) ولم تحض أطماع الملك عبد الله ليبسط نفوذه على كامل سوريا الكبرى (دمشق وفلسطين ولبنان) وهذا الأمر كان يقاومه إبن سعود وتحالفه سوريا ولبنان، وتنظر إليه مصر بريبة[1].

أما بالنسبة لحكومة فلسطين فقد ذهب صاحب المقال أنها ستجد تأييدا مصريا سوريا ولبنانيا ومعارضة أردنية، وهذا ما صرح به الملك عبد الله عبر مخفه في اللجنة السياسية للجامعة العربية وأن إنشاء هذه الحكومة يكون بعد الفراغ من أمر الصهيونية.وهنا تساءلت الجريدة عن موقف الجامعة العربية التي فتحت باب الشقاق والخلاف في وقت اشتد فيه ضغط اليهود وقالت إننا معشر العرب سوف ندفع ثمن هذه اللعبة[2].

وكانت معارضة البصائر لهذه الحكومة مبنية على مضامينها في المنطقة حيث لم تخف أن " الملك عبد الله هو وليد رغبة إنجليز...ويريد إرادة مطلقة جامحة أن يوسع حدوده وأن يجعل من فلسطين ومن شرق الأردن دولة واحدة"[3].

وأضافت "أنه لم يكن من الحكمة ولا من العمل الصالح تحدي عبد الله ونحن نقف صفا في وجه العدو و إعلان دولة فلسطينية خيالية؛ قد أثبت الواقع أنها غير ذات جدوى وما كان لها من أثر إلا استفزاز عبد الله ومصادمة عواطفه وميوله وجعله يعتقد أن دول الجامعة قد تألبت واتفقت على مقاومته"[4]. وفعلا فقد ظل عبد الله لا يعترف بقرارات الجامعة ولا يتعاون مع السوريين والمصريين في الحرب بل

1- "عبر..." البصائر، العدد 55، مصدر سابق، ص، 4.
2- "عبر..." البصائر، العدد 55، مصدر سابق، ص، 4.
3- "عبر... البصائر، العدد 50، السنة2، 15 صفر 1365هـ، 20 ديسمبر 1945 م ص:4.
4- "نفسه.

جمع اللاجئين العرب في مؤتمر[1] برئاسة عجاج نويهضوقرر فيه عدم الاعتراف بحكومة عزة ونفس الفعل حدث في مؤتمر أريحا[2](1948/12/02) الذي قرر:

مبايعة الملك عبد الله ملكا على فلسطين والتفويض[3] يض المطلق له بحل المشكل الفلسطيني وقد أعرب هذا الأخير أنه يريد حلا واقعيا حسب تعبيره، فهو يقر بنوع من التقسيم للقدس وهذا ما تعارضه بقية الدول العربية"[4].

أما قضية استقبال اللاجئين الفلسطينيين من قبل الملك عبد الله فنظرت إليه البصائر على أنه أمر يراد من ورائه زيادة سكان مملكته(2مليون نسمة) والاستفادة من مشروع غوث اللاجئين الأممي، و إبعاد ورقة اللاجئين لتحقيق أطماعه التوسعية في شرق فلسطين، وفي ذلك اعتراف ضمني بدولة إسرائيل[5].

1- هو مؤتمر عقد في 1أكتوبر 1948 في نفس اليوم الذي عقدت فيه حكومة فلسطين مؤتمر غزة، وذكر الأمناذ عصام سخنيني: أن رئيس المؤتمر هو الشيخ سليمان الداسي القاروتي بينما كان عجاج نويهض سكرتيرا فقط ومما جاء في هذا المؤتمر: "والمؤتمر يفوض بملائه تفويضا تاما مطلقا في أن يتحدث باسم عرب فلسطين ويفاوض عنهم ويعالج مشكلتهم بالشكل الذي يراه "انظر: عصام سخنيني، "نهم فلسطين الوسطى إلى شرقي الأردن 1945-1950"، شؤون فلسطينية، العدد 40، كانون الأول، ديسمبر 1974، بيروت، لبنان، ص 39-60.

2- "نشر..."البصائر، العدد 61، السنة 2، 20 صفر 1368هـ، 27 ديسمبر 1948م، ص 3.

3- مؤتمر جمع فيه ممثلي اللاجئين وعلقت عليهم البصائر(بذيول أريحا).

5- "نشر..."البصائر، العدد 102، السنة 3، 19ربيع 1369هـ، 9 جانفي1950م، ص 3.

تجربة التعليم الحر لدى الحركة الإصلاحية الجزائرية

مقدمة:

إن المنظومة الاستعمارية بكل أجهزتها الامبيطانية والعسكرية والإدارية كانت تهدف إلى إخضاع المستعمرة الجزائرية بكل الوسائل وضمان إستمراريتها، ولذلك فكل تشريعاتها أو إجازاتها لم تتعدى حدود تكوين فئة تحمل ثقافة فرنسية أو مفهمة للاحتلال ورسالته الحضارية حسب قولته، وفي أحسن الأحوال إن مشاريعها التعليمية تعمل على تخريج تعليم مهني أو زراعي أو أعوان إداريين يسهلون مهمة الفرنسيين ورغم ذلك فإن حظ الجزائريين من التعليم كان ضئيلا جدا بحيث 5 بالمائة إلى غاية سنة 1914 و6 بالمائة سنة 1926، وبلغة الأرقام لم كان في المدارس الفرنسية سنة 1925(55476 تلميذ) منهم (3603 بنت) أما التعليم الثانوي لم يبل منه إلا 563 طالبا سنة 1934أما التعليم العالي فحتى 1930وبعد مائة سنة من الاحتلال لم يستحق الجزائريون إلا 93 مقعدا[1].

ولهذا أدرك زعماء النهضة والحركة الوطنية معركة العلم ودورها في الصراع الاستعماري وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس منذ عودته من الزيتونة 1913 فكان أن عمل على عاتقه تأسيس المدارس والجرائد للتكوين الديني والسياسي، وتأسيس المساجد الحرة للتربية والتهذيب فضلا عن العبادة وكذلك النوادي للتهذيب والحوار والمثاقفة.

1- الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، الثقافة ع، 50، السنة السادسة عشر، محرم، صفر 1407هـ - سبتمبر - أكتوبر 1986.ص ص 249-278.
وتشير الأرقام أن لم يكن يمثل الجزائريون إلا خمس الفرنسيين في الابتدائي وكان عدد الفرنسيين 10 مرة بالنسبة للجزائريين في المدارس المهنية، أما التعليم الثانوي فيمثلون 85 مرة من سط الجزائريين، وأما التعليم العالي 192مرة مقابل عدد الجزائريين.
انظر:د. تركي رابح، "وضعية النساء الجزائريات في التعليم والعمل في عهد الاحتلال وبعد الاستقلال، الثقافة ع 84، السنة الرابعة عشر، صفر، ربيع الأول 1405هـ - نوفمبر - ديسمبر 1984، ص ص، 170-209.

إن التعامل مع التعليم اخر كانت له أولوية لدى رجال الإصلاح عكس الاتجاه الاستقلالي الذي يرى أن النضال السياسي هو أقرب طريق لاسترجاع الوطن، مع أن لكل تيار مبرراته، فالتيار الأول يرى أن التعليم هو مصدر الفهم والوعي حين يدرك الفرد ماضيه وحاضره وخاصة أن الفرد الجزائري كاد يفقد شخصيته العربية.

أما التيار الثاني (الاستقلالي) اعتقد أن الكفاح السياسي كفيل بحل المشكلة وبث روح الوعي، ولقد نجح هؤلاء إلى حد كبير في خلق حركة سياسية دؤوبة بين العمال ثم المثقفين، والواقع أنهم استمركوا شيئا ما بعد الحرب العالمية الثانية وحاولوا أيضا إقامة مدارس حرة تابعة لحزب الشعب.

وفي الحقيقة أنه يوجد تكامل كبير بين التيارين في الأدوار من حيث تكامل التعليم و السياسة، ومن حيث بناء الفرد من حيث السن في مرحلة التعلم ثم مرحلة السياسة، وكذلك التكامل في مواجهة المستعمر.

إن مشروع التوجه الإصلاحي التعليمي مبني على قناعة وتحقيق هدف معين وواضح في ظل معادلة سياسية صعبة، فالاستعمار يمارس التجهيل ويحارب اللغة ويطمس التاريخ وهذا تؤجب مواجهة ذلك بالقضاء على الأمية وإحياء اللغة والتراث التاريخي للجزائر وبالتالي فالتعليم لم يصبح يؤدي وظيفة عادية ولكنه أساس لمشروع حضاري لإحياء الأمة الجزائرية.

ويبدو أن الجمعية سارت على منوال المصلحين في المشرق وكان ديدنها التطبيق العملي لشعار جمال الدين الأفغاني "لا جماعة لقوم لا لسان لهم، ولا عزة لقوم لا تاريخ لهم، ولا تاريخ لقوم إذا لم يقم منهم أساطين تحمي وتحيي آثار رجال تاريخها، فتعمل عملهم، وتنسج على منوالهم، وهذا كله يتوقف على تعليم وطني بدايته الوطن ووسطه الوطن ونهايته الوطن"[1].

1- بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، ط1، دار البعث، الجزائر 1401هـ-1981م، ص100-101.

إن الدعوة إلى نشر التعليم والارتقاء به كانت ملحة من ابن باديس منذ وقت مبكر فقد كتب في جريدة الشهاب منذ (1929) أنه يوجد عدد معتبر من العلماء بقسنطينة وذكر منهم أحمد الجبيباتي، والطاهر بن زقوطة والزواوي المكون، ويحي الدراجي والمولود بن موهوب، الشيخ الصالح بن العابد، وعبد المجيد بن جامع وأضاف شخصه أخيرا، متسائلا في الأخير أنه يمكن لهؤلاء باجتماعهم أن يكونوا معهدا علميا يكون أساس كلية دينية إسلامية بالجزائر؟[1].

تطور التعليم الحر لدى الجمعية:

وقد كانت المرحلة الأولى من التعليم قبل تأسيس الجمعية محصورا في دائرة ضيقة من حيث الأسلوب وطرق التدريس والمناهج والبرامج، أما بعد 1931 قصار التعليم يستهدف شريحتين الناشئة بالتعليم والعامة بالوعظ والإرشاد وفي نفس الوقت وضع برامج ومواد تدرس: دينية مثل:التفسير والحديث والفقه، الفرائض، العقائد، التجويد، الأصول، ولغوية مثل:الأدب، النحو، الصرف، البلاغة، الشعر، المطالعات، الإنشاء وأخرى متنوعة كالمنطق والحساب والجغرافيا والتاريخ[2].

إن التعليم الإصلاحي في الغالب يعتمد على التمويل المحلي سواء من خلال الجمعيات المحلية التي تنشأ لهذا الغرض أو اشتراكات أعضائها أو إعانات أنصار الإصلاح في المنطقة أو بعض المحسنين وهذا لتأمين المفروشات والإطعام ورواتب المعلمين، وتتدخل الجمعية في مالية هذه المدارس وخاصة عند عجزها لسبب ما، ولكن الإشراف عليها في تعيين المعلمين، والتفتيش التربوي والمراقبة الدورية ظل مستمرا، والملاحظ أن التعليم عند الجمعية قد اتبابه التنظيم في التأسيس والرجال والبرامج فالملاحظ أنه شمل معظم المدن الجزائرية وإن تركز في البداية بالشرق الجزائري الذي كان يشرف عليه ابن باديس مباشرة ثم العاصمة التي يشرف

1- ابن باديس، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج4، ط1، دار البعث الجزائر، ص51.
2- بوصفصاف عبد الكريم، مرجع سابق، ص155.

عليها العقبي، والمقرب الشيخ الإبراهيمي الذي استقر في تلمسان.ويمكن تقسيم تطور التعليم الإصلاحي الحر إلى مرحلتين:

1- المرحلة الأولى (1931-1940)

اتصاب هذه المرحلة تأسيس المدارس الحرة خارج سلطة الحكومة فبلغت سنة 1935حوالي 70 مدرسة ضمت حوالي 70 ألف متعلم وفتاة، من أشهر هذه المدارس مدرسة العربية والتعليم بقسنطينة ومدرسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة، ومدرسة تهذيب البنين ببسكرة[1].

ورغم المضايقات وقرار ميشال (1933) الذي يحد من نشاط رجال الإصلاح ومرسوم ريبي (30 مارس 1935) الذي يشدد على الوعظ في المساجد، فإن مساعي الجمعية التعليمية استمرت بالاحتجاج القانوني عند الإدارة الفرنسية[2] وفي نفس الوقت توسيع دائرة فتح المدارس سواء للصغار أو أمام الكبار، كما أن اختيار المعلمين في هذه المرحلة يعتمد على خريجي المعاهد الإسلامية الكبرى (الأزهر، الزيتونة، القرويين، وخريجي الجامع الأخضر) وعادة ما تكون لقاءات دورية لمدارس السير التعليمي والمناهج، كما كان الحرص على تغيير وتطوير المحتوى الدراسي حتى يكون "أقرب إلى الإفادة وأعون على تحصيل الملكة العلمية وتجنب الكتب الجامدة المعقدة التي لا تحقق فائدة ولا تبعث في نفس الدارس نشاطا"[3].

وقد استغلت الجمعية الجبهة الشعبية وشعاراتها لتطوير نشاطها، كما ضمنت مطالب المؤتمر الإسلامي قضية التعليم العربي وحظه من المعاملات المساوية مع الفرنسية في المراسلات، والصحافة والتعليم[4] إلا أن ضغوط

1- يوسفقصاف عبد الكريم، مرجع سابق، ص 101.
2- الدكتور احمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990، ص201.
3- نفسه، ص 202.
4- البصائر، السنة الأولى، ع24، 19 جوان 1936، ص 1.

المسعوطين والطرقية وتخوف الإدارة الفرنسية من تنامي خطر التعليم الحر جعلها تحظره بجملة من القرارات التي تضيق عليه مثل مرسوم 15 أكتوبر 1938، وقرار وزير الداخلية chautemps[1] في مارس 1938 ثم ظروف الحرب العالمية الثانية مما أغلق العديد من المدارس وعلى رأسهم مدرسة الحديث بتلمسان التي كان يشرف عليها الإبراهيمي ومدرسة القليعة وأخرين في بجاية[2].

أما المرحلة الثانية (1940- 1956)

لقد كانت بداية الحرب صعبة على التعليم للأسباب السابقة الذكر، وهذا أخر بسير حركة التعليم والمضايقة عليه فحين مجيء سنة 1944-1945حيث بدأ الانفراج وبعث التعليم الحر بشكل أوسع، ففي هذه السنة فتحت 73 مدرسة عبر القطر[3]، ويعود ذلك إلى الظروف الدولية التي بدأت ترجح كفة الحلفاء، وخروج زعماء الإصلاح من السجون والمنافي (الابراهيمي، العباس بن الشيخ الحسين) لتصل في سنة 1948 حوالي 140 مدرسة إضافة إلى المدارس المعطلة، وهذه الأرقام تختلف من سنة لأخرى حسب التعطيل والظروف المالية، وحسب المصادر الفرنسية وصلت في سنة 1954إلى150 مدرسة وفي 1955إلى175 مدرسة وهو ما يقارب حسب ما ذكره الذين يوجود 170 مدرسة[4]، أما انتقاء المعلمين فقد أسست لجنة التعليم العليا سنة 1948 للإشراف والمتابعة. وإذا كانت ممارسة التعليم في بادئ الأمر تقتصر على تحصيل علمي يؤهلهم لذلك فإنه ابتداء من 1951 قررت هذه اللجنة شرط شهادة التحصيل الزيتونية وفي 1953 أتبعت ذلك بامتحان يحتوي على إلقاء درس وموضوع إنشائي، وسؤال تربوي، وحسب البصائر فإن عدد معلمي الجمعية سنة 1951 بلغ

1- يقتضي بغلق كل مدرسة بدون رخصة واشترط أن يحصل كل معلم على رخصة خاصة.
2- أحمد الخطيب، مرجع سابق، ص203.
3- بوصفصاف، مرجع سابق، ص 104.
4- أحمد الخطيب، مرجع سابق، ص213.

275معلما ومعلمة[1] أما عدد المتعلمين لديهم بلغ بنفس السنة 36286 تلميذا وتلميذة منهم 16286 يتقنون التعليم العربي في النهار فقط بينهم 5696 إناثا أما الكتاب الفرنسيين فإنهم يرفعون هذه الأرقام بكثير.

وكانت المرحلة الأولى من التعليم تتوج بشهادة الدراسة الابتدائية منذ 1952 وكانت آخر دورة لامتحان هذه الشهادة في 1955 بمرشح 415 طالبا.

التعليم الثانوي:

أنشأ معهد بن باديس في 1947 ليلتحق به الحاصلون على الشهادة الابتدائية ويحظى بالصبغة العلمية للزيتونة ولو بشكل معنوي وشكلي وحضور ممثلي الزيتونة في الامتحانات والمناسبات وبلغ طلبته في 1951 (702) طالبا، وفي 1955 (913 طالبا)، وكان هؤلاء الطلبة بنظام داخلي ومالم من تبعات فنجد الإبراهيمي يقول سنة 1951" ولهذا كان إسكان تلامذة المعهد وعددهم يشارف السبعمائة كافيا لاستنفاد الجهد واستغراق الوقت"[2].

وكثيرا ما كان يحظى هؤلاء ببعثات طلابية نحو جامعات الشرق ومنهم من يتوجه حرا، نيل شهادة التحصيل أو العالمية. وفي سنة 1954 راسل الإبراهيمي فاضل الجمالي رئيس الوزراء العراقي ورئيس مجلس الجامعة العربية أثناء تلك الدورة طالبا منه أن يحمل الجامعة العربية على بناء "دار للمعلمين وأخرى للمعلمات في الجزائر، ومعهدا ثانويا أو معهدين تحقيقا للعبء الثقيل الذي تحمله جمعية العلماء والأمة من ورائها"[3].

منهج الجمعية التعليمي:

حاولت أن تلقن الطلبة العلم ولكن يعزز بشواهد وأمثلة تختار فيها عبرة دينية أو خلقية أو اجتماعية أو سياسية أو وطنية، وكان التركيز كثيرا على

1- نفسه ص 218وأنظر أيضا: البصائر، عدد 172، السنة الرابعة، 10 أكتوبر 1951، ص 8.
2- الإبراهيمي، الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، د ت ط، 2007، ص 648.
3- آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج4، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985، ص 209.

الجانب الأخلاقي لما له أهمية في بناء الأوطان، والأمم "إذا كانت الأمم بالأخلاق، والأخلاق بالتربية، فالأمم بعلمائها الذين يقومون على تربيتها وتهذيب أخلاقها وتوجيهها نحو الخير والكمال" [1].

وركز في هذا المنهج على تربية العقائد إذ يقول "إن الذي توجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد، وتقويم الأخلاق فالباطن هو أساس الظاهر"[2].

1- الاهتمام بالمرأة:

كتب ابن باديس أن "البيت هو المدرسة الأولى، والمصنع الأصلي لتكوين الرجال وتدين الأم هو أساس حفظ الدين والخلق، والضعف الذي نجده من ناحيتها في رجالنا معظمه نشأ من عدم التربية الإسلامية في البيوت وقلة تدينهن"[3] وكان يهدف إلى نشر القيم داخل البيت وأهم قيمة هي حب العلم ولا يحبه من لا يعرف عليه ولذلك نجده يستنكر على الذين يحصرون العلم وخيره على الرجال قائلا "لماذا تعاقب المرأة بعلمها ؟ هل العلم وردا وصفاء للرجال وسهل كدر النساء؟ هل له تأثيرات حسن على فكر الذكور قبيح على فكر الإناث"[4].

إن هذا الطرح كان في زمن من يدعو لتجهيل المرأة بطريقة الإقصاء من التعليم وبالموازاة كان هناك دعاة التقدم بلغة التفرنج وإخراجها عن الضوابط الاجتماعية والدينية، وهذا ما دفع بابن باديس إلى العمل على ثلاث محاور لاحتواء مسألة تعليم المرأة.

1- مذاريع تركي عمارة، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، ط2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 2008، ص75.

2- نفسه.

3- عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج2، م 11 أول شعبان 1924، نوفمبر 1923.

4- عبد الحميد بن باديس، المنتقد، العدد 8، 20 محرم 1344هـ 20 أوت 1925.

1- مجانية التعليم بالنسبة للنساء مهما كانت وضعيتهم الاجتماعية[1].

2- حث البنات وآبائهم على التعليم في كل دروسه وتبليغ هذا الرسالة في كل رحلاته ورحلات زملائه من العلماء.

3-فتح المجال أمام النساء حتى المسنات للتعلم وسماع الدروس المسجدية وهذا ما كان يفعله في المسجد الأخضر وغيره[2].

وفي مؤتمر الجمعية الذي عقد في 1937 ناقش تسعة نقاط من بينها الثمان تخصصان تعليم المرأة (1- النظر في تعليم البنت المسلمة ووسائل تحقيقه 2-النظر في الوسيلة التي تعيد بها المرأة المسلمة سيرة سلفها من تلقي العلم)[3].

وكان ابن باديس يصر أن يكون تعليمها بلغة قومها ودينها، بل يطلع إلى أن ترتقي في مضاف درجات العلم وأن تستفيد من بعضها من البعثات العلمية، ولذلك فكر في إرسالها إلى الخارج، فقيل أنه اتصل بمدرسة دوحة الأدب السورية مراسلا رئيستها: "يسرك يا سيدتي أن تعرفي أن بالجزائر فحصة أدبية تهذيبية تستمد حياتها من العروبة والإسلام، هدفها رفع مستوى الشعب العقلي والأخلاقي، ومن مؤسسات هذه النهضة جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة، ولما علمت إدارتها بجمعيتكم المباركة بما نشرته عنها مجلة الرابطة العربية، رغبت أن ترسل بعض البنات ليتعلمن في مدرسة الجمعية فهي ترغب في حضرتكم أن تعرفوها بالسبل إلى ذلك"[4].

وفي رسالة لابن باديس للفضيل الورتيلاني حول إرسال البعثات التعليمية جاء فيها: "وأما البعثة الشامية فإنني أختار أن تكون من جمعية التربية والتعليم بقسنطينة إذ يمكن أن ترسل من تلاميذها وتلميذاتها سنة أو ثمانية، ولا مانع من

1- ابن باديس، الشهاب، ج7، م2، شوال 1949 مارس1931 ص 110-117.

2- نفسه.

3- أحمد الخطيب، مرجع سابق ن ص 208.

4- مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، دار القلم، ط2دمشق، 1999، ص 64.

أن يكون الطلب الموجه للوزارة من جمعية العلماء والبعثة من جمعية التربية والتعليم، إذ هما كشيء واحد.."[1].

2- العمل على بعث التراث العربي الإسلامي للجزائر بين الناشئة:

وهذا من أجل حفظ الشخصية الوطنية والوقوف في وجه التجنس والإدماج والتفرنس وغرس الفئة في أبناء الجزائر أن لهم تاريخا وكيانا وتراثا أرسخ من الأمم التي تدعي الحضارة، كما أن هذا السعي كان ابن باديس يهدف من ورائه إنقاذ المتجنين بالحضارة الغربية وخريجي المدارس الفرنسية، حيث كتب في مجلة الشهاب: "تعرف كثيرا من أبنائها الذين تعلموا في غير أحضاننا يتكرون - وربما عن غير سوء قصد تاريخنا ومقوماتنا ويودون لو خلعنا ذلك كله واندمجنا في غيرنا، وكما نرد عليهم في كل مناسبة تبدو منهم فيها مثل هذه البوادر السافة الخاطئة"[2].

3-البعثات الطلابية:

إذا كانت البعثات الطلابية منذ مطلع القرن تتميز بالمبادرات الفردية فإنها بدأت تأخذ شكلا منظما بالتدريج وفي مقدمتها البعثات الميزابية منذ 1914، كما درجت الجمعية على هذا التقليد منذ 1951 أي بعد أول دفعة من خريجي معهد ابن باديس حيث أرسل 26 طالبا نحو القاهرة ثم توسع الأمر ليشمل بعثات إلى سوريا والعراق والكويت والسعودية حتى بلغ عددهم سنة 1955 (109 طالبا) وطالبة[3] وبعد اندلاع الثورة، واحتياجها إلى المثقفين ساهمت في تشجيع هجرة الطلبة للأقطار العربية لتعويض المعاهد والمدارس المغلقة، وإعداد إطارات المستقبل.

1- نفسه، ص 207-208.
2- ابن باديس، الشهاب، ج10م4 نوفمبر 1937، ص405.
3- الخطيب، المرجع سابق، ص218.

4- النوادي:

كانت النوادي إحدى وسائل التعليم ونشر الوعي ولذلك حاول الجزائريون الاستفادة من قانون 1901 في نشر المدارس الحرة والنوادي، وخاصة أنه توجد شريحة لا علاقة لها بالمدرسة العربية (زوايا، كتاتيب.....) ولا هي ترتاد المساجد ولذلك كانت النوادي أحسن فضاء للاحتكاك مع هؤلاء من خلال المحاضرات والدروس وفي المناسبات، لمناقشة القضايا الاجتماعية والسياسية والدينية ولعل أهم نادي أسس خلال العشريينات نادي الترقي[1] بالعاصمة الذي كانت ترتاده النخبة بمنوعها ومجالا لنشر الأفكار الوطنية والفكرية، ويتداول على مديره شخصيات متنوعة وفي مقدمتهم ابن باديس.

5- الرحلات:

وحين أثناء الرحلات التي كان يقوم بها في القطر الجزائري كان يتصل بالعلماء والطلبة ويحث الناس على العلم والإسلام. وعلى تعليم أبنائهم وهذا من خلال الدروس التي كان عالما ينقيها في أثناء تجواله وهذا المنهج ظل ساريا عند رجال الجمعية وتلامذتها وعقل نوعا من الدعاية للتعلم والقضاء على الأمية.[2].

1-أسس في سويلية1927 وانتخب محمود بن وليش رئيسا له. وفي سنة 1940 أضيف على اسمه عنوان "الجمعيات الفرنسية للوفاق الجزائري" وربما يعود ذلك إلى ظروف الحرب العالمية الثانية ومحاولة تجاوز المضايقات.

2- ص65.

العلاقة بين الطرق الصوفية والحركة الإصلاحية الجزائرية

إن التصوف ظاهرة بمفهومها الإيجابي الأول تعني التدبر والتفكر في خلقه والذي أحسن صنع ذلك جل جلاله، وكذلك السمو بالروح وممارسة العبادة والأذكار والخلوة والزهد في ملذات الدنيا للوصول إلى تطهير النفس وتذوق الإيمان والاهتمام بالحياة الروحانية.

إلا أن تطور الأحداث التاريخية وتكاثر الطرق الصوفية وتعدد مواضيعها والأهداف التي تشعبت من ورائها جعلها تحول عن أصولها الأولى بدرجات مختلفة وهذا حاصل في العالم الإسلامي كله. وإذا كان منشأ معظم الحركات الصوفية هو المشرق الإسلامي فإن الغرب الإسلامي كان حظه من ذلك أحيانا أكثر من المشرق العربي.

ولاشك أن ظهور هذا النوع من التدين أو تطوره أو انتشاره له أسباب وظروف أحاطت بالعالم الإسلامي وفي هذا الصدد فإن الطرق الصوفية لم تكن مذاهب فقهية أو أحدى الفرق الإسلامية وإنما هي أساليب تدين وعبادة تحاول أن تضع ذلك في قالب من الروحانية والغموض والارتباط بالشيخ أو المؤسس أو الزعيم الأول لها وفي كثير من الأحيان يظل المكان محل تقديس.

ظاهرة التصوف في الجزائر

وانطلاقا من هذه المقدمة أردنا أن نرصد ظاهرة الطرق الصوفية في الجزائر في خضم الحركة التاريخية التي شهدتها الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين وعلاقتها بأهم توجه ديني والمتمثل في الحركة الإصلاحية وبالتالي الوقوف على إشكالية التماثل أو التعاكس والصراع القائم بينهما ولماذا ذلك؟

وهل كانت هذه العلاقة تحدده المبادئ أم الزعامات أم المصالح، أم هناك استغلال استعماري لهذه الوضعية وتسخيرها لما يخدمه؟ ثم لماذا هذا التحول في طبيعة الطرق الصوفية بعدما رسم بعضها المشهد الجهادي في مقاومات القرن 19 بالجزائر؟

وما هي الأدوار الإيجابية التي يقيت تؤديها في الميدان؟ وفي الأخير نخلص إلى مظاهر الصراع الحاصل بينها وبين الحركة الإصلاحية في الجزائر مع تقييم هذا الصراع في ميزان الظرف التاريخي وعالم المبادئ والقيم وقد حاولنا أن نستخدم في هذه البحث المواضيع كعتبات الأطراف المعنية وبالتالي نترك الكلمة للنص للوقوف على حيثيات الصراع ولكن في سياقه التاريخي وبالتالي جعل الرؤى والطروحات الدينية التي ميزت المرحلة تضع نفسها في الميزان التاريخي. كما وهدفنا بعض الدراسات المعاصرة لهذه الظاهرة لتوضيح الخريطة الطرقية في الجزائر وقوة أفكارها وضعفها وبالمقابل لماذا اهتمت الحركة الإصلاحية بالطرق الصوفية؟

هل لكونها منافس ديني أم عائق في الطريق أم أن الأمر يتعلق بالمبدأ؟

لعبت الزوايا دورا مهما في المغرب العربي كله والجزائر خصوصا، ويتجسد هذا في العصر الحديث كله قبل الأتراك وفي عهدهم. وفي الحقبة الاستعمارية تصارت الزوايا مؤسسات دينية واجتماعية لكل منها انتهاج طريقة معينة، وإذا كان معظمها له أصول شرقية فإن بعضها صار بالجزائر أصلا، غلب صيته على مركزها الأم (القادرية).

وقد كان تعاطي مع الطرق الصوفية في العهد العثماني على أنها جهات فاعلة وبالتالي التعامل معها شكل توافق دون تصادم أو على الأقل حفظ التوازنات معها ويمكن القول بلغة معاصرة أن الطرق الصوفية كانت تمثل الحزب السياسي الذي له جمهوره (مريديه) وفروعه وإيراداته وكذلك اتجاه الأحداث الحاصلة ولذلك كانت السلطة العثمانية أو الفرنسية تأخذ ذلك بشكل جدي وله اعتبار.

وبلغة سياسية أخرى يمكن القول أن ظاهرة الطرقية قد قللت من أثر العرش والقبيلة إذ يمكن أن تجمع عدة قبائل على أذكار أو طريقة واحدة[1] وهو مهم بالنسبة للخريطة السياسية والعلاقات القائمة بين القبائل وتحييدها عند الخول أو إقامة السلم بين أعراش معينة أو ظاهرة المكملات أو العلاقة مع السلطة الرسمية.

التوزيع الطرقي بالجزائر:

قبل ظهور الحركة الإصلاحية كان المرابطون (الطرقيون) هم الذين يسيطرون على الحياة الروحية والفكرية وحتى السياسية في المدن والأرياف بالجزائر وظل الأمر كذلك حتى مطلع الحرب العالمية الأولى حيث ظهر الإصلاح الإسلامي والسياسي وصارت هذه العبارات الجديدة تأخذ من رصيد الطرق الصوفية بل وتحاربها أحيانا.

ويمكن أن نصنف الخريطة الطرقية للجزائر من حيث غلبة التوزيع والتواجد إلى عدة مناطق منها:

1- منطقة النفوذ العلوية وتتمركز في الغرب الجزائري كمستغانم وضواحيها حيث يتواجد أغلب مريديها ومقدميها.

2- منطقة النفوذ الرحمانية في منطقة القبائل من أبناء زواوة في مختلف جهاتها (القبائل الكبرى والصغرى، تابلاط، وسفوح جرجرة، وتمتد حتى منطقة الحضنة، وكذلك بشكل أقل في قسنطينة، بسكرة، سطيف، سوق اهراق).

3- منطقة نفوذ الطيبية والدرقاوية (ذات أصول مغربية) وتركزت في منطقة وهران، تيارت، مغنية عين الصفراء.

---

1 – محمد قنانش ((الإيديولوجية السياسية للحركة الوطنية الجزائرية أو الحركة الوطنية بين عقيدة الإصلاح وروح الثورة))، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، النصف الأول من سنة 1986.

4- منطقة نفوذ التجانية وهي ذات عصبيات واسع داخل الجزائر وخارجها. وتنازعها جبهات متعددة للهيمنة عليها[1] وفي الجزائر تتمركز بالمنطقة الصحراوية كالواد والأغواط (عين ماضين وتوقرت (تماسين)[2]. وبالعالي فإن كل الجزائر العامرة بالسكان كانت تتعاطاها ظاهرة العوائد والهيمنة الطرقية. طبعا ليس كونها ظاهرة سياسية فقط ولكن تمثل حركة ولاء وتدين وتمط عبادة وأذكار وأسلوب ارتباط وتآخي.

إن هذا الانتشار هو الذي جعلها القوة الأولى في الجزائر والوقود الحقيقي للثورات في وجه فرنسا طيلة القرن 19 ولهذا فإن الاستعمار وقف على هذه الحقيقة الدينية والديمغرافية وارتباطها بالجانب السياسي والثقافي ولهذا اهتم قادة الاستعمار بالظاهرة[3] دراسة وتحليلا واحتواء أو توظيفا، ومن هؤلاء (دي نوفو شارل، بروسلار، هنري دي فيريه، لويس رين، هانوتو، لوترنو كيولاني) وذلك لتحليلها والوقوف على علاقاتها مع خارج الجزائر وخاصة مع مستعمراتها(غرب إفريقيا، وإفريقيا الشمالية والوسطى) وهذا من أجل وضع حد لتغول هذه الطرق الصوفية من أدوار إيجابية كالمحافظة على الهوية الإسلامية والحياة الروحية واللغة العربية وضمان التعليم بالكتاتيب وارتباط المجتمع في علاقاته ونزاعاته وقضائه بشيوخ الطرق أكثر من السلطة الفرنسية وهذا ما كان كامنا وراء الهبة التي مست ثورات ومقاومات القرن 19.

ويمكن القول أن دورها أو نصيبها في مواجهة المستعمر كان في هذه المرحلة مع الاحتفاظ والاستمرار في أداء الدور التعليمي إلا أن علاقتها مع الاستعمار تغيرت. فهل هذا يعود إلى طبيعة الظروف أم إلى الاستعمار وقدرته على الترويض والضغط وتغييب القوى المناهضة له؟

التحول الطرقي:

1- نقل أسرة ابراهيم نياسا حاليا في نيجيريا.
2 -Ali Merad, le reformist musulman en Algérie de 1925-1940 p.59.
3- Bulletin Mensuel de presse Indigen d'Algérie Mais d'octobre 1938 p.9.

حقيقة إن اهتمام الدراسات الاستعمارية واضحة في هذا المجال وعرفت مواطن القوة في المجتمع وهذا كان حصارها لهذا الطرق ولفروعها ومريديها والقائمين المنتمين إليها ومصادرة أملاكهم وغلق مدارسهم إضافة إلى سياسة التجهيل والعمل على كسب بعض زعماء الطرق وسلوك سياسية الترغيب والترهيب، وهذا ما جعل هذه الطرق تأنس إلى عدم المصادمة، وانزوت إلى النشاط الروحي وعدم الخوض في شؤون السياسة وهو نوع من الخصية التاريخية بعد الخسار شوكة المقاومة والحصار المطبق على الشعب الجزائري كله، وكان للمجتمع نفس السلوك بأن استأنس السكان بشيوخ الطرق الصوفية كملجأ لتسلية النفس عن الضغط الصادر من السلطة الاستعمارية في زمن آل فيه المجتمع إلى حالة يرثى لها من الجهل والأمية تجاه حتى قضاياه العقدية الدينية فضلا عن العلوم الأخرى.

وفي هذا الاتجاه يقول الدكتور سعد الله بأن الأحد يبدأ الدورة التاريخية التي تجلت في سيرورة الطرق الصوفية والتي أظهرت الطرق الصوفية ثم جمعية العلماء المسلمين ثم دورة لصالح ثورة التحرير 1954 ثم دورة الحركة الإسلامية المعاصرة وأضاف أن هذه الرؤية أقرها أوغسطين بارك أثناء دراسة للحركات الدينية في الجزائر وهذا له أصل في نظرية ابن خلدون حول دورة التاريخ[1].

طبيعة الصراع بين الحركة الاصلاحية والطرق الصوفية:

لاشك أن ميدان العمل كان مشتركا بين الحركة الإصلاحية والطرق الصوفية وطبيعي أن ينشأ الخلاف ولكن الأمر تعدى إلى ذروة الصراع والتأثير فهل هذا يعود لأمر مبدئي ديني أم خلافات شخصية سببها مساحات ومجالات التحرك والعمل والكسب الاتباع؟

1- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي 1998، ص 941.

إن تحديد طبيعة هذا الصراع يقتضي منا الجرأة في إظهار الحقيقية التاريخية بأن مرده ها يعود إلى عدة أمور:

أولا: أن الانتقاد للطرقية كان انطلاقا من اعتبار الحركة الإصلاحية للطرقية أنها تقمع يشوّون الأشخاص وممارسة الدروشة والغموض والضلال وحتى وصفت بالإلحاد على حد قول ابن باديس[1] وإن كان النقد موجها أكثر للمجانية فإن ذلك شمل كل من العيساوية والعمارية[2] وخاصة فيما يتعلق بالبدع والضلالات التي لم يسلم عليها الشارع واعتبرت ذلك دجلا وتمويها للمجتمع والغاء للتفكير السليم والعقيدة الصحيحة وصرح ابن باديس نعم إن الحملة على الطرقية وبيان ضلالتها وفضح المجانية وبيان إلحادها كل ذلك محمول عل كاهلي ومربوط به رأسي وإن كنت فيه كواحد من إخواني[3].

وهذا العمادي في الانتقاد العقائدي نظرا إليه الإبراهيمي على أنه تحرير الأمة روحانيا أولا ثم ماديا ثانيا، ويقصد بالأول الطرقية وبالثاني حكومة فرنسا[4].

ثانيا: الخلاف حول طريقة التعبد فممارسة الصوفية لشعائر العبادة والإكثار منها والأذكار وبعض الأوراد الخاصة وأحيانا الغامضة يعد ذلك من قبيل السمو بالروح وغرس فضائل النفس حتى تصفوا الروح وترق وتعأهل لمشارفة الملأ الأعلى وتكون بمقربة أفق النبوة وتصدوق العبادة الروحية[5] في حين نظر الإصلاحيون إلى أن الزهد في الحياة المادية وكثرة التعبد والسمو بالروح من خلال الذكر شيء محمود وهو هدف الإسلام ولكن على منهاج النبوة والسنة الصحيحة دون غموض أو تقديس لأن الطرقية في نظرهم صارت

1- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4 ص559.
2- نفسه.
3- نفسه، ص 540.
4- يوسف القرضاوي، مقومات الفكر الاصلاحي عند الامام محمد البشير الابراهيمي، دار الوعي ط1، 1425 هـ /2005م، ص 50.
5- نفسه، المرجع سابق.

"أقولا تدافع بقولها من لا يفقه لها معنى، فضلا عن أن تصطبغ بها نفسه. والحق في هذه النزعة أنها صبغة روحية مرفوعة في ميزان الشرع وأحكامه فإن الدين قد تكامل بتمام الوحي"[1]

ثالثا: إن طبيعة الصراع كان يكمن في الموقع من الاستعمار وبطبيعة الحال أن الدور الريادي للطرق الصوفية في القرن 19 في وجه الاستعمار جعلها تنظر لنفسها أنها المخولة لرسم واقع الجزائر في علاقتها مع الشعب وأنها مازالت موسومة بذلك إلا أن الظروف حالت دونها في ظل الاستعمار وفي نفس المنهج بفعل القهر الاستعماري والتشريد والتضييق وبالتالي فإننا نحس وكأنها عادت إلى تحت الأرض بسلوك السرية في الارتباط والابتعاد عن السياسة والثورة والاهتمام بالروحانيات والتعليم إلا أن الاستعمار استغل ذلك بل واجه الأمر بحماية وسخر كل إمكانية الفكرية والمادية لاحتواء الظاهرة الطرقية ولذلك قال أحد قادة جيوشها إن كسب شيخ طريقة صوفية أنفع لنا من تجهيز جيش كامل وقد يكونون مالايين ولو اعتمدنا في إعتصابهم على الأموال والجيوش لما أفادنا ما تفيده تلك الكلمة الواحدة من الشيخ..: [2]

صار انتقاد الطرقية من قبل الإصلاحيين أحيانا أكثر من الاستعمار وبشراسة كبيرة واعتبروا أن واقع المجتمع والأمة وسيطرة الطرقية على عقول الناس وتدينها لصالح الاستعمار أمرا أخطر[3] وعونا للمجتمع وولاء للاستعمار[4].

رابعا: كان اهتمام الطرق الصوفية في توثيق الارتباط بين مريديها وبين مختلف الزوايا التي لها نفس الطريقة وهذا الارتباط يتجاوز حدود الجزائر فنجد زاويتي تماسين وقمار استقدمت علماء من تونس كالشيخ النقاي

1- نفسه، ص 84.
2- نفسه ص 85.
3- انظر: ابو القاسم سعد الله، درجع سابق، ج، 4 ص 559.
4- نفسه، ص 540.

السالحي[1] وكذلك رد ابن سكريج أحد شيوخ التجانية في المغرب الأقصى على ابن باديس[2]. كما حضر أحد الطرقيين: عبد الحي الكتاني من المغرب الأقصى في مؤتمر جامعة الزوايا في أفريل 1938[3] وبالمقابل فإن حركة الاصلاح كانت تعمل على الاهتمام بقضية الأمة الجزائرية وبقضايا العالم العربي والإسلامي بغض النظر عن الانتماء الروحي أو المذهبي أو منهج التدين وهذا حتم عليها التعامل مع رجال الفكر والإصلاح في الإسلامي مثل أرسلان ومحمد عبده ورشيد رضا وعلماء الزيتونة والإخوان المسلمون ومحب الدين الخطيب وكذلك زعماء الحركات السياسية في العالم الإسلامي. وكانت حركة الإصلاح تهدف إلى شبكة علاقات مع هذه الشخصيات لتسخير أقلامها ومواقفها لخدمة القارة ومواجهة الاستعمار.

خامسا: كان الخلاف قائما من خلال المواقف من بعض القضايا مثل قضية قبول التوظيف والمناصب المعطاة من السلطة الاستعمارية وكذلك قضية الموقف من الحرب العالمية الثانية، ففي 1938 سعت فرنسا إلى طلب تأييد كل الهيئات والطرق الصوفية في الحرب ضد ألمانيا، بل ذهبت إلى التنسيق بين مختلف الزوايا على مستوى المغرب العربي وعقدت مؤتمرا في أفريل 1939 من أجل كسب ودها[4] في حين أن الحركة الإصلاحية كان موقفها الرافض واضحا في هذا الأمر وإنما تأرجح بين الإعلان عنه بالمكتوب أو السكوت على الرد عليه.

سادسا: كان الخلاف قائما بين الطرقيين حول كيفية التعليم الدين فقد كان الانتقاد كبيرا لمنهج الزوايا حول العملية التعليمية فكانت انتقادات كثيرة من رجال الإصلاح وعلى رأسهم الشيخ باعزيز بن عمر الذي طالب بإصلاح طرق التعليم وخاصة بمنطقة زواوة وأوكل الأمر إلى أرباب الزوايا في ضرورة

1- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج5، ص 227.
2- نفسه ص 229..
3- نفسه، ج4، ص 220
4- ابو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج4، ص 220.

إزالة التحفيظ والتلقين التقليدي والاطلاع على مناهج التعليم في معهد قسنطينة والزيتونة لأن واقع التعليم الحالي في الزوايا لا يؤهل الطالب للبحث والاستنتاج والتصرف فيما يعلم بل تجده يتلقى كل شيء بالتسليم أعمى مالا ينبغي التسليم فيه لمصادمته للعلم الصحيح فكانت الدعوة إلى إصلاح طرق التعليم وإعمال العقل[1] في فهم النصوص دون الاكتفاء بالحفظ والترديد.

مجالات العمل المشتركة:

وإذا كانت مظاهر الاختلاف والصراع أحيانا بين الحركة الإصلاحية والحركة الصوفية فإن ذلك لم ينف وجود مجالات عمل مشتركة بينهما أو وجود مساحات عمل مشتركة.أعني دون تنسيق أو تفاهم الأدوار بشكل مسبق ومن ذلك:

أن خريجي الحركة الإصلاحية في مطلع القرن معظمهم درس في كتاتيب وزوايا واقعة في دوائر نفوذ الطرق الصوفية بشكل أو بآخر.

إن تأسيس الجمعية في البداية كان مفتوحا للجميع بما في ذلك رجال الطرقية ممارسة التعليم العربي والعلوم الشرعية في كل من المدارس الإصلاحية وزوايا الطرق الصوفية رغم أنه لكل منهما منهج ورجال قائمون عليه إلا أن الهدف المحقق من العملية واحد وهو نشر التعليم ومحاربة الأمية وحفظ تراث الأمة، وبقدر ما كان لهذه العملية من تنافس في الميدان فإنه كان لها أثرا واسعا في تعليم الناشئة، وإيجاد بديل عن التعليم الفرنسي.

ولهذا تشير بعض المصادر إلى أن رجال الزوايا حاولوا تقليد الجمعية في إنشاء قانون أساسي على نمطها[2].

1- الشيخ باعزيز عمر، ((الزوايا بالزواوة))، الشهاب، ج2، المجلد 9، شوال 1351هـ، ص 75.

2- عبد الحميد بن باديس، ((الزوايا وغاياتها)) البصائر، عدد 145، ذي القعدة 1357هـ 10جانفي 1939م، ص 1.

ويبدو أن مساحة العمل والمصالح المادية وهو الخلاف كانت أكبر من أن تتوحد أو على الأقل تسير في توجه متكامل وخاصة في الشق السياسي رغم وجود بعض المحاولات من هذا القبيل كما هو الحال في محاولة التنسيق في تأسيس الهيئة العليا لإعانة فلسطين سنة 1948 وإن باءت بالفشل، أو مثل بعض المبادرات والمواقف ومن ذلك ما أجاب به ابن باديس حول موقف الجمعية من الطرق والزوايا حيث قال((في هذه الظروف التي تؤكد اتحاد طبقات الأمة بأجمعها للعمل لفائدة الأمة، ولكن الجمعية لا يمكنها بحال أن تتحد مع الزوايا التي تستعمل آلة ضد الأمة وأكبر دليل على رغبتنا في الاتحاد أني في الاجتماع الذي عقدة المؤتمر الإسلامي بمستغانم في الصائفة الماضية كان يجلس إلى جانبي أحد مشايخ الطرق وعند انتهائي من الخطابة مددت يدي مصافحا الشيخ أمام الجمهور قائلا ها أنا أصافح هذا الشيخ رغم أي مصلح وهو طرقي كعنوان على التعاون في خدمة القضية العامة))[1].

لابد من الإقرار أنه يجب الاعتراف بما أدته الزوايا من دور في كافة المغرب العربي عامة والجزائر خاصة في الفترة المعاصرة فصارت تشكل مؤسسات اجتماعية ودينية وسياسية نظرا لتعدد الأدوار التي قامت بها بل كانت تمثل ما يشبه المؤسسات الحزبية والاجتماعية الحالية[2].

ومن الطبيعي أن ظاهرة الصراع بين الحركة القديمة والجديدة شيء وارد خاصة أنهما يتحركان في نفس الجمهور والجغرافيا حيث كانت لا توجد منطقة في الجزائر إلا وفيها حضور مرابطي وعلى رأسها مقدم والذي يعتبر المرشد الزمني والروحي[3] وبالمقابل فإن حركة الإصلاح تحمل فكرة الامتداد على كامل ربوع الجزائر وبالتالي فإن نقاط التماس كثيرة.

1- محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، الدار العربية للكتاب، 1988، ص 88.
2- الإيديولوجية السياسية للحركة الوطنية الجزائرية، مقال سابق، ص 140.
3- علي مراد، مرجع سابق، ص 60.

كما أن الاستعمار استغل ذلك وأجج الصراع بتشجيع الطرقية وخاصة أن الأمر يتعلق ببعض الوظائف والهيمنة على المساجد بل انتقل الصراع إلى فروع الطرقية ذاتها حتى صار التجاني لا يصلي وراء العزوزي والقادري يقول أن الفرقين في ضلال [1].

1- أنظر:صدى الصحراء، العدد 10، السنة الأولى، 25 رجب 1344هـ، 8 فيفري 1926، ص 3.

أهمية البعد المغاربي للحركة الإصلاحية الجزائرية:

إن البعد المغاربي لدى الحركة الإصلاحية الجزائرية أوجدته الظروف وتلاحم شعوب المنطقة في حركة تاريخية لا تعيقها الحدود وبالتالي كان حمل هذا الهم المشترك يصاحبه وعي وبعد نظر، ورغم أن التعاطي مع البعد المغاربي أخذ أشكالا منظمة وغير منظمة أو في شكل مواقف تضامن أو تعاطف سواء قبل تأسيس الجمعية أو بعدها، حيث تقف على جريدة الشهاب التي خصصت ركنا قارا تحت عنوان" في الشمال الإفريقي" وكذلك نفس العنوان في البصائر، وخاصة في سلسلتها الثانية وبالتالي كان التفاعل والتعبير لكل أحداثه وقضاياه بالمواقف أو بالقلم، وعلاج مشاكله وأمراضه والتنبيه للمفاسد والمخاطر التي تحدق به.

وهذا فالجمعية لم تهتم بشؤون الجزائر فقط بل كان اهتمامها بقضايا العالم الإسلامي الذي تجاوز حجمه في صحف الجمعية الثلث وهذا انطلاقا من قناعة مفادها أنه لإنجاح للجزائر دون العالم الإسلامي وخصوصا المغرب العربي[1] ومن المقالات التي وردت في الشهاب:

"الأيام الخالدة في تاريخ المغرب الحديث"، "تونس الخضراء أيام عز وفخار هي أيام الحزب الدستوري وما أدراك ماهي"، "وللمغرب الأقصى أيام يطولة ماجدة و وشرف"[2].

ونقرأ من وراء ذلك أن المدرسة الباديسية كانت تحاول ربط علاقات عبر المغرب العربي، وكانت أقلامها بمثابة رسائل ومبعوثين ترسل الإشارات والتصريحات للإحساس بالتضامن ووحدة الامتداد الجغرافي، وأن هذا الاهتمام

1- أبو القاسم سعد الله، أفكار صاحبة، م و ك، 1988، الجزائر، ص 52.
2- عبد الرحمان شيبان، مقدمة مجلة الشهاب، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2000، ص 59.

للشهاب بالمغرب العربي جعل أحد أفرادها: العربي التبسي يقول: "جريدة الشهاب....نعمة من نعم الله على أمم شمال إفريقيا عموما والجزائر خصوصا"[1].

وقد كان مقال ابن باديس الذي نشر في الشهاب تحت عنوان "لمن أعيش؟ صدى كبير في المحيط الإصلاحي والوطني وكتب يقول: "أنه يعيش للإسلام والجزائر واعتبر الجزائر وطنه الخاص ووراء الوطن الخاص أوطان أخرى " وأقرب هذه الأوطان المغرب الأدنى والمغرب الأقصى اللذان ماهما والمغرب الأوسط إلا وطن واحد لغة وعقيدة وآدابا وأخلاقا وتاريخا ومصلحة ثم يأتي الوطن العربي والإسلامي ثم وطن الإنسانية"[2].

وقد لام ابن باديس جهل المشارقة لبلدان المغرب العربي وكتب"مضت حقبة من التاريخ كان الشرق العربي ينسى هذا المغرب وإلى عهد قريب كانت صحافة الشرق نادرا لا تذكره إلا كما تذكر قطعة من أواسط إفريقيا ومجاهلها لكن هذا المغرب العربي رغم التجاهل والتعامي من إخوانه المشارقة كان يبعث من أبنائه من رجال السيف والقلم من يذكرون به ويشيدون باسمه ويلفتون نظر إخوانه المشارقة إلى ما فيه من معادن العلم والفضيلة ومنابت للعز والرجولة ومعاقل للمروءة والإسلام"[3]. والملاحظ أن الجمعية بقدر ما عملت لصالح الجزائر والمغرب العربي على المستوى الداخلي فهي أيضا عملت على التعريف بالمغرب العربي لدى العرب والمسلمين. فكثير من الكتاب والمؤرخين يتكلمون عن زعماء الإصلاح في المشرق ودورهم ومسارهم الثقافي والإصلاحي ومواجهة الاستعمار ويذكرون جمعيات تربوية وإسلامية (جمعية الشبان

1- عبد الرحمان شيبان، مرجع سابق، ص 150.

2- محمد بلقاسم، الانجاه الوحدوي للمغرب العربي 19101934، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 19901994، ص 126.

3- مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس العلم الرباني والزعيم السياسي، د ت ط، 1411هـ، 1990م، ص 221.

المسلمين، جمعية أنصار السنة، الجمعية الشرعية...) ولكنهم يتجاهلون أو عدم إظهار جمعية العلماء بالجزائر ضمن هذا المشهد الإصلاحي الشامل رغم الهيكل التنظيمي والتعليمي والتربوي والدور الإصلاحي الذي تجاوز حدوده القطر الذي نحن بصدد إبرازه.

كما كان للورتيلاني علاقات تصال ضمن جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية التي كان ضمنها طلبة من المغرب الأقصى موجودين في القاهرة أرسلهم المكي الناصري، ومن تونس محي الدين القليبي والحبيب بورقيبة[1] وكان من مبادئ الجبهة السعي بالطرق المشروعة لتحقيق حرية واستقلال شعوب شمال أفريقيا: تونس والجزائر ومراكش[2] ويبدوا أن الورتيلاني كان العنصر النشيط فيها بحكم معرفته بالمنطقة وماضيه ونضاله وعلاقاته فيها كما نلمس ذلك في المذكرة الموجهة للجامعة العربية، وإلى الأمم المتحدة وسفير فرنسا بالقاهرة عبر رسائل مفتوحة ومعظم الرسائل الصادرة عن الجبهة كانت ممضاة من طرف محمد الخضر حسين والورتيلاني. وفي 1946 أوفدته جبهة الدفاع عن المغرب العربي إلى سوريا ولبنان والتقى فيها بالمسؤولين والصحافة شارحا قضية المغرب العربي ومعاناته مع الاستعمار.

الاهتمام بقضايا التعليم والطلبة في المغرب العربي:

اعتبرت الحركة الإصلاحية أن النهوض بالتعليم ورعاية مؤسساته أمر محوري في عملية الإصلاح ولهذا كان الاهتمام بهذا الجانب يمتد إلى كل المغرب العربي، فمن خلال قطاع التعليم يمكن تحقيق عدة أهداف: أولها نشر التعليم ومواجهة الأمية التي كرسا الاستعمار وثانيها رفع مستوى الوعي في الوسط الطلابي الذي يساهم في توجيه المجتمع نحو التهذيب وصيانة أبعاد

1- محمد بقاسم ، مرجع سابق، ص 522.
2- نفسه، ص 524.

الوطنية والهوية وتآلفها تعميق الوعي السياسي وخلق أطر نقابية لمواجهة الاستعمار.

ولذلك نجد أن الحركة الإصلاحية اهتمت بالهيئات العاملة لصالح التعليم في المغرب العربي وخاصة بجمعية بطلبة شمال إفريقيا[1]، فقد كان ضمن هذه المنظمة أعضاء من رجال الإصلاح أمثال توفيق المدني، وكان مقرها في نادي الترقي حيث يتردد الإصلاحيون[2]. وحظيت هذه الجمعية برعاية وتأييد الاتجاه الإصلاحي للروابط والقواسم المشتركة معها وخاصة ما تعلق بالجنسية واللغة والتعليم، حيث في سنة 1928 أقرت عدم قبول الطلبة المجنسين من أبناء المغرب العربي في صفوفها[3] وعللت ذلك بأنه لا يتطابق مع اسمها والمجنس في نظرها غير مسلم وفرنسي[4] وبهذا أعجبت الشهاب بهذا الطرح انطلاقا من أن الإسلام عقيدة وأحوال شخصية ونظام حياة. فمنذ بداية الثلاثينات طرحت جمعية شمال إفريقيا ضرورة تدريس اللغة العربية وتاريخ الإسلام والمغرب العربي في مدارس إفريقيا الشمالية. وكذلك خلال المؤتمر الأول بتونس في أوت 1931 وفي المؤتمر الثاني (2529 أوت 1932) بالجزائر حيث ناقشوا مسألة اللغة العربية والتاريخ أيضا، وقضية التعليم بشمال إفريقيا وتشجيعه.

وقد أعجبت جمعية العلماء بمكمل طلبة المغرب العربي لنشر الثقافة الإسلامية والروح العربية والوطنية، وحيت فضلاء تونس الذين تبرعوا بمالهم

1- هذه المنظمة التي اعتقدت في تاريخ إنشائها، حيث أعلنت اسم واعتقة الطلبة الأهالي سنة 1919 ثم اسم جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في 1926، وهناك من أرجع ذلك إلى 1927 في باريس.

2- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1992، ص105، 109.

3- رغم أنه كان ضمن قيادتها شخصيات مجنسة أمثال فرحات عباس.

4- قبل أن ذلك أدى إلى انشقاق فيها، وأسس الطلبة المجنسون: جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا (AEMAF).

أفضال الحامي أحمد الصافي والعالم الجليل الصادق العلاتلي[1]، واعتبرت أن المطبوعة التي يصدرها الطلبة تتناول قضايا أوطانهم من تعليم وتهذيب اجتماعي والتعريف بمضار الخمر والعلاقة بين البربر والإسلام وهي مواضيع لها أهمية في حياتهم[2]، وقد تعزز جسر العلاقة بين جمعية الطلبة وجمعية العلماء حين أعلنت قيادة مؤتمر الطلبة أنهم يهدفون إلى توطيد العلاقة بين طلبة المعاهد الإسلامية والمدارس والكليات العصرية وتوحيد الآراء بينهم[3] وفكرة الوحدة المغاربية. وقد لقي هذا المؤتمر الذي ترأسه فرحات عباس الدعم المعنوي من قبل الجمعية وعقد في نادي الترقي وأثناء حفل الاختتام خطب فيه العقبي، وتوفيق المدني وألقى محمد العيد آل خليفة قصيدة تحمل في طياتها الإشادة بالوحدة التاريخية المغاربية، كما ألقى هذا الوفد إلى قسنطينة وحظي باستقبال عبد الحميد بن باديس الذي ألقى كلمة أمامهم[4].

وعلقت الشهاب على ذلك "ازدانت ميرنا في 31 أوت 1932 باحتضان أبنائها وأبناء أختها الجزائر ومراكش وتونس وهذه الأسماء لمسمى واحد هو شمال إفريقيا. ذا الروابط المتحدة — الدين والإحساس الشعور"[5]. وضم هذا الوفد من تونس: الخبيب ثامر، علي البهلوان، الصادق العلوي، حسن داود، محمد الطوبي، المنجي سليم، أحمد بن ميلاد، محمد الصالح المهدي، محمد الصالح البيفر، محمد الشواشي البناني ومن المغرب حضر محمد الهادي الشرايبي (متطوع بكلية القرويين) وعبد الخالق الطريس، ومن الجزائر ابن أبي شنب سعد الدين، علي الزاوش (صيدلي في بجاية) ومصطفاوي عبد الله (طالب طب) مصطفاوي عبد الرشيد (أستاذ في باتنة).

1- حقق التعليم باحكوفة سابقا.

2- «البشرة السنوية لطلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، الشهاب، ج 5، م7، السنة 7، ص212.

3- أحمد بن ميلاد، «مؤتمر طلبة شمال إفريقيا»، الزهرة، (لم أعثر على العدد) ص44، 15 ربيع الثاني 1350، 1/09/1931، ص2.

4- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 5، مرجع سابق، ص109.

5- محمد بن العابد الجيلالي، «طلبة الشمال الإفريقي» الشهاب، مج5، ج9، ص8، 1 جمادى الأولى 1351هـ، سبتمبر1932، ص489.

وأقيم احتفال بهذه المناسبة خطب فيه كل من ابن باديس ومحمد الصالح النيفر وعبد الخالق الطريس الذي حيا قسنطينة وعلى رأسها ابن باديس[1]، وحضر الحفل أيضا أحمد بوشمال صاحب امتياز الشهاب.

وخلال المؤتمر الثالث الذي عقد في باريس[2] تابعته جريدة السنة باهتمام ونشرت برنامج المؤتمر والبيانات الصادرة عنه وخاصة ما تعلق بالتعليم[3]. وكان أبو اليقظان الذي يعد أحد الوجوه البارزة في الإصلاح يتابع النشاط الطلابي ومؤتمراته وينشر أفكارهم على صفحات جريدة الأمة ويعتبرها مساهمة في نشر العلم والفضيلة[4]، وهو نفس التقييد الذي درجت عليه جريدة الإرادة التونسية في الترويج لهذه الجمعية الطلابية والدعاية على إعانتها المالية وخاصة أثناء المؤتمر الثالث واعتبرت قراراته تصب في تعيين الروابط والألفة بين أبناء هذه الأقطار وهم في غربة العلم ليعودوا خادمة أوطانهم على نفس النهج من الوحدة والتواصل[5]. أما في المؤتمر الرابع الذي كان بتونس فقد حضره السعيد الزاهري وألقى خطابا فيه تحت عنوان: "تقرير عن حالة التعليم الإسلامي الحر بالجزائر". كما حضر مقدي زكريا[6]. والملاحظ أنه طرح خلال هذا المؤتمر جملة من التوصيات منها: مواصلة جمعية طلبة شمال إفريقيا في برنامجها التعليمي الحر وعلى الحكومة رفع حواجز المنع للمدارس الحرة، وأن تكرس الحرية الدينية بمنح الحرية لتأسيس المدارس القرآنية وفتح الكتاتيب التي أغلقها الاستعمار، وفتح

1- محمد بن العابد الجلالي، المصدر سابق، ص459، -498.
2- كان من المفروض أن يعقد في فاس، ولكن السلطات الفرنسية أعاقته.
3- محمد بن العابد الجلالي ، المصدر سابق. ص459.
4- محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص250.
5- محمد سوفر، «جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا» الإرادة،ع 70، س4، 25 ذي الحجة 1932، 10، 04، 1934. ص1.
6- كان نشاط مقدي زكرياء في هذه المرحلة يصنف في التيار الإصلاحي. قبل أن يتحول إلى حزب الشعب، وقد بقي قلمه على خطه الوطني الإصلاحي.

المساجد أمام المسلمين لنشر العلم، وحث الجزائريين على فتح المدارس والكتاتيب الحرة لتعليم أبنائهم[1] وأفحم المؤتمر أيضا كثيرا بالتعليم الإسلامي والتعليم الفانوي الحديث، وحالة الطلبة المادية والمعنوية. وبالتالي نلاحظ هذا التداخل بين جمعية العلماء، وجمعية الطلبة لما يجمع بينهم من هموم مشتركة على المستوى المغاربي فضلا عن تركيز هذه الأخيرة على تدريس التاريخ الإسلامي والعربي، وإحياء التراث، وبعث الحياة الثقافية والعلمية والتقارب بين أبناء الأمة الواحدة، وهذا كله يصب في الأهداف الحقيقية لرجال الإصلاح[2].

أما في سنة 1935 فقد كانت محطة هامة قربت بين جمعية العلماء وجمعية طلبة شمال إفريقيا وهي انعقاد المؤتمر في تلمسان وافتتاحه من قبل البشير الإبراهيمي الذي حرص على المضي في تحقيق أماني الأمة والاحتفاظ بلغة آبائهم وأجدادهم. والتقى أثناءه مع الحبيب ثامر التونسي الذي كان رئيسا للمؤتمر وكذلك مع إبراهيم الكتاني المغربي وخرج المؤتمرون بجملة من التوصيات تتقاطع من التيار الإصلاحي منها ترسيم العربية في المدارس الابتدائية، وإعداد معلمين بالعربية، وحث الشعب الجزائري على إنشاء مدارس، وإدخال العربية في الفانويات، وتدريس الأدب العربي إلى جانب اللغة الفرنسية في الجامعة. وتعليم المرأة، ومحو الأمية، وتدريس التاريخ الخاص بالمغرب العربي في جميع المراحل[3]. أما مغاربيا فأوصى المؤتمر بوضع برنامج "تربية وطنية" على مستوى المغرب العربي يشمل توحيد وتدريس تاريخ المغرب العربي في جميع المستويات والاهتمام بالمرأة وتعليمها والعودة إلى التقاليد الإسلامية لهذه البلاد، والاعتماد بمدرسي اللغة العربية[4]. ونظرا

1- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، الحركة الوطنية الجزائرية، ج ٥، مرجع سابق، ص١١١.
2- ملف منظمة طلبة شمال إفريقيا. مركز التوثيق القومي، تونس، 44. A.4.
3- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج٥، مرجع سابق، ص١١٤.
4- نفسه.

لما طرح في هذا المؤتمر من توجه لغوي وتاريخي يخدم الهوية العربية الإسلامية في المنطقة والخطابات التي كانت بالعربية بحضوره رئيس البلدية الفرنسي الذي احتج على ذلك[1]، وعلقت عليه الأوساط الفرنسية بأنه كان مؤتمرا سياسيا في توصياته وفي علاقته بالعلماء، وربما هذا الذي دفع السلطات الفرنسية عرقلة انعقاد المؤتمر السادس بفاس في السنة الموالية. فاحتجت جمعية العلماء على تعطيل المؤتمر من قبل المقيم العام بيروطون الذي أراد إخراجه من صفته الطلابية.

وبعد هذا التعطيل أعلنت البصائر أن المؤتمر سيعقد في قسنطينة من 21 إلى 27 أكتوبر1936 وأن جدول أعماله هو:

- رفع المستوى العلمي في شمال إفريقيا.
- تقوية العلاقات المختلفة بين أقطاره.
- تحقيق مشروع العاريخ المشترك وموسوعة الشمال الإفريقي.
- استقلال الأحباس الإسلامية لمصلحة النهضة الجديدة في الأقطار الثلاثة.

أما أعضاء المؤتمر فأعلن أنه يشترط فيهم أن يكونوا من المثقفين ورجال الفكر وممثلي الهيئات[2].

وفي المهجر بفرنسا حيث كان ينشط طلبة شمال إفريقيا فقد شاركهم العلماء وخاصة في المناسبات الدينية ومن ذلك تنظيمهم لحفل عيد الأضحى حيث حضره وفد من العلماء يترأسه الفضيل الورتيلاني وألقى فيه خطابا شكر فيه القائمين على هذا العمل الذي من خلاله يسمح للطلبة بأداء واجباتهم الدينية

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق، وانظر فلور (رئيس بلدية تلمسان) أن الخطاب الذي يروج لمقاصد فرنسا من مهمة التعليم لا يتصفها وأعقب استجابته بإظهار دور فرنسا في شمال إفريقيا.

2- «استجاج البصائر على تعطيل المؤتمر (طلبة شمال إفريقيا)»، البصائر، ع59، س1، 20 رجب 1355، 10/10/1936، ص3.
وقد حضر ممثل الخليفة وممثلي السلطات الإسبانية بمطوان هذا المؤتمر.

في البلاد الأجنبية، وضرورة إيجاد الوحدة التامة بين المثقفين في شمال إفريقيا سواء كانت ثقافتهم فرنسية أو عربية، ونبههم أن هذا الاتحاد المبني على التفاهم وحسن النية والتحلي بمحاسن الإسلام وما يأتي به من سعادة، لم تخطب مصالي وبورقيبة وفي الأخير شكيب أرسلان الذي أعجب بجمعية الطلبة وما يجمع به شعب المغرب العربي من تمسك بالدين والعروبة و قال حبذا لو رأيت ذلك في الشرق[1]. وبالموازاة كانت البصائر تتابع مظاهر الوحدة التي يقيمها هؤلاء الطلبة والمشاطرات الثقافية والدينية وإحياء سنة الأضحية في المهجر[2].

ويلاحظ أن هذه المنظمة الطلابية ركزت على حرية ونشر التعليم ودراسة التاريخ ووحدة المغرب العربي والقضايا الاجتماعية إلى غاية نهاية الأربعينيات ثم بدأت تتكيف مع الظروف الجديدة وتأثرت بالأحزاب التي أصبحت تميل إلى النضال القطري مما ساهم في تشكيل منظمات طلابية قطرية ويتجلى ذلك في المؤتمر الحادي عشر (22 سبتمبر 1950) وما تضمنه من أهداف ثقافية واقتصادية وسياسية واجتماعية[3]. ثم ظهرت اتحادات قطرية (اتحاد للطلبة التونسيين سنة 1953، الاتحاد الوطني للطلبة المسلمين الجزائريين).

كما اهتمت الحركة الإصلاحية الجزائرية بتطور حالة التعليم في الزيتونة والقرويين ودعت إلى تطويرهما وضرورة إجراء إصلاحات فيهما من حيث البرامج والأساليب وإعطاء الرعاية الكافية لهما من الناحية المالية والقانونية وفسح المجال أمام خريجي مثل هذه المراكز العلمية حتى تؤدي وظيفتها اتجاه أمة شمال إفريقيا.

1- بقلم كتابة الجمعية، الأطلس، ع5، س1، 10نوفمبر1935، 25، 05، 1937، ص1.
وجريدة الأطلس هي لسان حال الحركة الوطنية لتحقيق المطالب بالمغرب.
2- كانت الجمعية تضحي بخروف بمقر الجمعية ويجتمع الطلبة بمناسبة العيد. انظر الطيب سليم، "الحديث عن الشباب"، البصائر، ع100، س3، 15نوفمبر 1935، 15، 05، 1935، ص3.
3- للمزيد حول المؤتمر الحادي عشر انظر: محمد بقاسم، «وحدة المغرب العربي من خلال قرارات المؤتمر الحادي عشر لجمعية الطلبة المسلمين الشمال الإفريقية. تونس 1950"، الصادر، ع11، السداسي الأول 2000، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص260 — 277.

الاهتمام بقضايا التحرر:

أولا–المغرب الأقصى:

ففي مواجهة الاستعمار نجد أن الحركة الباديسية قبل تأسيس الجمعية اهتمت بثورة الريف بالمغرب الأقصى وقبل أن جريدة المنتقد أوقفتها الإدارة الفرنسية إثر مقالات كتبتها عن ثورة الريف وزعيمها عبد الكريم الخطابي[1].

وذكر أحمد توفيق المدني أنه نفي إلى الحدود الجزائرية إثر مقالات نشرها في 25 ماي 1925 وخاصة "مقالة" حقائق عن أحداث الريف "عاش الريف حرا مستقلا" ومن ضمن ما ذكره لقد نصحنا عبد الكريم بعدم اللجوء للسلاح وكنا نفضل أن يهتم بتنظيم بلده وتدعيم استقلاله[2]. وبنفس الموقف كان خلال إعلان الظهير البربري حيث وقف ابن باديس موقفا صريحا كاشفا الأبعاد الفرنسية في شمال إفريقيا لتمزيق وحدة الأمة في زمن احتفل فيه بالمئوية الاستعمارية بالجزائر وبعقد المؤتمر الأفخارستي بتونس (1930/11/07) ونعتقد أن رجال الإصلاح في الجزائر حاولوا حشد الرأي العام في المغرب ولفت أنظار أعلام الإصلاح إلى خطورة الوضع ومن ذلك إخبار المدني لرجال الإصلاح في المغرب بقدوم شكيب أرسلان الذي كان مهتما بهذه القضية وهذا حسب مراسلة أرسلها إلى محمد داود في 1930/07/21[3].

فالتفاعل مع قضية الظهير البربري كان انطلاقا من خطر أبعاده السياسية والثقافية على كل المغرب العربي لأن فرنسا ترمي إلى فرنسة المغرب لغويا وسياسيا وقضائيا وتتخذ لذلك وسائل التفرقة بين عنصرين كبيرين في البلاد وتكريس فكر

1- «وحدة المغرب العربي من خلال قرارات المؤتمر الحادي عشر لجمعية الطلبة المسلمين الشمال أفارقة. تونس 1950، مرجع سابق.

2- نفسه، ص 182.

3- نفسه، ص 179.

القبيلة ومصالحها والحفاظ على الأعراف وجعلها قانونا تابعا والحيلولة دون الاحتكام إلى المحاكم الشرعية والدينية التابعة للقضاء الشرعي المخزني[1].

وقد كان خطر هذه السياسة البربرية على الجزائر أيضا. فسياسة فرنسا كانت تهدف إلى تمييز هذا العنصر عن العنصر الناطق بالعربية في كافة المغرب العربي وتشجيع اللهجات على حساب العربية واعتبر الإبراهيمي ذلك تقتلا للموجود بالمعدوم. كما وطدت الجمعية علاقاتها مع الأحزاب المغربية وعلى رأسها حزب الاستقلال الذي يطرح تميز الأمة المغربية عن الفرنسية وفكرة الاستقلال السياسي والثقافي التي يتشابه فيها علال الفاسي[2] مع منهج الجمعية "استقلال الجنسية والشخصية".

ويبدو أن الموقف كان واضحا من قبل الجمعية اتجاه قضايا المغرب الأقصى وخاصة خلال الخمسينيات وتحديدا عند نفي الملك محمد الخامس حيث عصفت مقالات البصائر بالحديث عن هذا الشنيع الفرنسي وأصدرت الجمعية في هذا الباب البلاغات والبيانات المؤيدة لشرعية الملك والتمسك به واعتبرته ملكا صالحا وشدت بطولة شعواء على خصومه أو أنصار الملك المنصب أو ما أسمته بالدمية المنصبة. وخلال هذه الأزمة عملت الجمعية على مخاطبة الحكومة الفرنسية والرأي العام الفرنسي بالاحتجاج وكشف المناورات، ومن ذلك ما أصدره مكتب الجمعية بالقاهرة أن أعمال فرنسا وتصرفاتها مع السلطان أثار غضب العالم الإسلامي كله على فرنسا وحركت فيهم روح الانتقام لأن كل ما تفعله حكوماتكم

1- علال القاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط6، المؤسسة علال القاسي، 2008، ص 164.

2- علال القاسي: (1907-1974) سياسي وأديب مغربي أسس حزب الاستقلال، واشتهر بمواقفه الوطنية ومقاومة الاستعمارية الإسباني والفرنسي، لقد فرنسا إلى المغرب مدة، ثم انتقل إلى القاهرة وعمل مع الأمير عبد الكريم الخطابي في مكتب المغرب العربي ثم انتقل إلى أمريكا مدافعا عن حقوق المغرب أمام الأمم المتحدة. عرف بمنهجه الإصلاحي وبعد الاستقلال اشتغل بالتدريس والتأليف، وتولى وزارة الشؤون الإسلامية. من آثاره: روح القوانين، النقد الذاتي.

عند السلطان يعد تعديا شنيعا، ونبه فرنسا إلى أنها مارست عملا معاديا ضد سلطة دينية ومعاقضا مع اتفاقيات الحماية الجائرة ذاتها، وأن هذه الأعمال ليست في مصلحة فرنسا وسمعتها في العالم، ويجب عليها ألا تتحرّج وراء شرذمة من أصحاب المصالح الشخصية في المستعمرات[1]. كما واصلت جهدها على الملك المنصب بعدم شرعيته وعرضت هذه القضية على لجنة الفتوى فأبدت رأيها من الوجهة الدينية ببطلان الملك المنصب. ودعت المغاربة إلى الالتفاف حول محمد الخامس الذي وصفته بالتوفيق لوطنه وصاحب الاهتمام باللغة العربية والموروث الحضاري كما جاء على لسان الإبراهيمي "تعرف عن جلالة السلطان محمد بن يوسف كل ما يجب أن يعرفه عالم مسلم حر التفكير... فالسيجة التي انتهت إليها الدراسة، وأطمأنّ له الوجدان والعيان في هذا الملك العظيم حقا هي أنه مسلم صحيح الإسلام مؤمن مين الإيمان سقي العقيدة والتعبد... مجدد مصلح في الدين والدنيا واسع الاطلاع على أحوال زمنه ... يمارس من الأجانب هولا واحدا ومن الأقارب أهوالا، يعمل لشعبه دائما ويعمل لنفسه قليلا لعين يرجع إلى شعبه، هذه الخلال هي سر عظمته عندنا وهي سر حبنا إياه و إعجابنا به وانتصارنا له و لو أبي حكمت هذا الحكم قبل أن اجتمع به في الرحلة الأخيرة إلى باريس لكان فيه شوب من التقليد"[2]، وأثناء عودة الملك أرسلت الجمعية وفدا قمثله وحضي باستقبال كبير.

ثانيا – تونـــــس:

لقد كان للمدرسة الباديسية ارتباطا كبيرا بقضايا تونس وهذا يعود للبعثات الطلابية الأولى التي توجهت إلى تونس وعلى رأسهم ابن باديس ومنهم من انخرط في الحياة السياسية التونسية، ومنهم من صار قلما بارزا في الصحف التونسية مثل: الإبراهيمي والطيب العقبي وأحمد توفيق المدني (63 مقالا) ومحمد مبارك الميلي

1- مكتب جمعية العلماء بالقاهرة، "برقيات استنجاد"، البصائر، العدد 240، السنة 6، 15 محرم 1370هـ، 25 سبتمبر، 1950م، ص: 1. وذكر ذلك الشيخ الإبراهيمي في آثاره، ج4، ص 89. وأصدرت الرسالة توقيع الإبراهيمي والورتيلاني من مكتب الجمعية بالقاهرة.
2- الإبراهيمي، الآثار ، ج2، ط 1975 ص 670-671.

وأحمد حماني والشيخ النعيمي والفضيل الورتيلاني وأشعار محمد العيد آل خليفة[1] كما كان زيارة ابن باديس لتونس سنة 1936 دورا هاما في ربط العلاقات فضلا عن تفقد الطلبة الجزائريين. وقد أقيم له استقبالا حارا من قبل طلبة الزيتونة والعلماء ورجال الصحافة وأقيمت له مأدبة من طرف جمعية الجلة الزيتونية وهذا يدل على أن تلميذ جامع الزيتونة صار عالما مأثلا في الإصلاح، وخلال هذا القصرة دعا إلى إصلاح برامج الزيتونة حتى تواكب العصر وتلبي حاجة الأمة[2]. وهذا إحساسا منه بأن الزيتونة تمثل مؤسسة علمية يهمل منها طلاب المغرب العربي كلهم فتحري به أن يهتم بها ويدعو إلى إصلاحها ولذلك كرر الزيارة لتونس في السنة الموالية 1937 وجاء على لسانه في هذه الزيارة أنه طلب منه أن يكون الكلام عن الجزائر ولكنه قال أنا أحب أن يكون الحديث عن عموم المغرب العربي لأنني أؤمن بأن هذا الشمال الإفريقي لا يهيض إلا بعضامه مع بعضه بعضا لكن إذا تحدثت عن الجزائر فإنني أتحدث عن جزء من كل وأذكر عن الأخ ما يسر إخوانه. وفضلا عن الإعجاب بشخصيته أن زيارة ابن باديس سنة 1937 لها هدف أكبر هو الاحتفاء بعودة عبد العزيز الثعالبي من منفاه بالمشرق العربي وكانت هذه الزيارة تحمل طابع الوفد الرسمي من قبل الجمعية تقديرا لهذا الرجل الذي فجر من وطنه ضلما وعدوانا بل صار هذا النفي له عنوان التضحية والبطولة في سبيل الوطنية والعروبة والإسلام ووحدة شمال إفريقيا ونعتقد أن العلاقات القديمة بين رجال الإصلاح في الجزائر والحزب الدستوري منذ نشأته إلى غاية هذه المرحلة وما صاحبها من انخراط في صفوفه والإشادة به ودعمه معنويا وماديا إضافة إلى موقف الثعالبي ومنهجه جعل الجمعية في الجزائر تعطي للرجل قيمته بل نلاحظ أنها كانت تنحاز إليه في صراعه مع الحزب الدستوري الجديد حين انشق في 1934 وخاصة أن الحزب الدستوري بزعامة الثعالبي يمثلون الثقافة

1- محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988 ص 240.

2- محمد الصالح الجابري ، مرجع سابق، ص 51، 52.

العربية الإسلامية في تكوينهم وبالتالي فإن هذه الزيارة كانت دعما للثعالبي على كل المستويات[1] وقد عبر ابن باديس عن عودة الثعالبي "عاد الثعالبي فاهتزت فرحا إفريقيا الشمالية كلها وتونس وطنه والجزائر مسقط رأسه ووطن أسلافه ورأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في قدومه اعتزاز للإصلاح الاجتماعي من ناحية الفكر والعلم والإخلاص والسلوك في الحياة، وهذا ما تعمل له الجمعية فأبرقت قبطة وقمرا الأمة التونسية الشقيقة به...."[2].

ونعتقد أن الرجلين كان لهما اتصال وتوافق حول كيفية النهوض بوضع المغرب العربي. وقد أثارت الصحافة الاستعمارية ضجة حول هذه الزيارة واعتبرتها نوعا من التنسيق والتحرك بهدف توحيد حركات المغرب العربي [3]، وهذا الاعداد والارتباط العلمي والعاطفي مع رجال تونس جعل هؤلاء أيضا يترددون على الجزائر كالثعالبي (1893)، وعلى البيقر الذي زار معهد ابن باديس وبادل رجال الجمعية نفس الشعور(حق للشعب التونسي أن يعز بأخيه الشعب الجزائري لما عهد من سبل العلم ورفع من شان ذويه في هذه الربوع التي هي إحدى أجزاء المغرب العربي وطن الجميع"[4].

وبنفس القياس أيضا تفاعلت الجمعية مع محنة نفي المنصف بأي حيث عرفته البصائر على أنه رجل الوطنية ولم يخضع للإدارة الاستعمارية وهذا ما عرض المنصف إلى النفي ومات بفرنسا، وتأثرت له جمعية العلماء ورثته على لسان الإبراهيمي "لو مات بأية بقعة من أرض الجزائر كانت هي تونس نضرة واخضرارا ولاكتسبت الجزائر بجميع أقطارها شرفا ممن مات فيها الشرف بها.... ولكنه مات

1- محمد الصالح الجابري، مرجع سابق، ص 59.

2- نفسه، ص 91.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط، 1 دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998 ص600.

4- بدون كاتب، "الاحتفال بدار طلبة "معهد بن باديس"، الشار، العدد 49، السنة الثالثة، 14 ربيع الأول 1357هـ، 12 نوفمبر 1938، ص 2.

" يبور" في دار غير داره وفي وطن غير وطنه الذي لقي الأذى في سبيله... ومازالت الأوطان محتاجة إلى هذا النوع السامي من الهمم فإن كانت في الغربة زادت جمالا فإن كانت نبيحة للظلم زادت جمالا فإن كانت في سبيل الوطن كانت جلالا وجمالا، فإن صحبها سلب العز والملك كانت حلية وكمالا كل ذلك اجتمع في موت المنصف"...."[1]. وقالت البصائر أنه فضل موت العزة على مواقف الهوان وخذلان الوطن، وكانت هذه عادة الجمعية في التعامل مع زعماء الحركة الوطنية في الانتصار لهم كما حدث مع بورقيبة والحطابي والسنوسي، وقد أبدت البصائر التقيد بالقصائد والكتابات ورأت فيه مثال الوطنية والعز وأن فقدانه مس كل شمال إفريقيا. وقد أبن أحمد سحنون التقيد بأبيات منها :

أتونس خطبك الشمـــال قلوة بربك لا تأسفـــي.
وجرح الجزائر يشفـــــه تأسس إذ كل جرح شفي[2].

ونلاحظ أن صحافة الجمعية (البصائر) كانت تتبع الحراك السياسي في تونس وعارضت بشدة الإصلاحات الفرنسية في تونس وقال أن سياسية المشاركة التي تبناها الحزب الدستوري التونسي الجديد هي أمر شكلي وأن الحزب تحول من حزب معارض يطالب بالاستقلال التام حسب ميثاقه إلىحزب تعاون حكومي يشارك في الوزارة ويعمل ضمن إطار الحماية مكتفيا بمطلب الاستقلال الداخلي[3]، وتم مقارنة ما يجري في تونس بما يحدث في المغرب الأقصى. وحيث البصائر موقف المؤتمر الإسلامي

1- الإبراهيمي، "دامعة على المنصف"، عدد 49، البصائر، السنة الثانية، 2 ذي القعدة 1367 هـ، سبتمبر 1948، ص 1.
2- احمد سحنون، "المنصف"، البصائر،عدد 51، السنة 2، 24 ذي القعدة 1367هـ، 27 سبتمبر 1949، ص 2.
3- امير السياسة العالمية"، البصائر، عدد 124، السنة 4، ص 4، 5..

بكراتشي وكذلك موقف عبد الكريم الخطابي اللذان عارضا سياسة بورقيبة" الكفاح داخل أجهزة الحكم[1].

كما حرصت الجمعية على التضامن مع القضية التونسية وخاصة حين قدمت القضية إلى أروقة مجلس الأمن فكان أن دعت إلى يوم تضامني للتيارات السياسية في الجزائر في إطار الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها وعقد اجتماع بالعاصمة تصدره أحمد توفيق المدني (جانفي1952) تضامنا معتونس[2].

ورغم ذلك الخلاف الفكري مع بورقيبة وصراعه مع الفعالي حول قيادة الدستور وما انجر عنه أو معارضة الجمعية لسياسة بورقيبة حول المشاركة في الحكم وسياسة التدرج لم يمنع الجمعية من الوقوف إلى جانبه في وجه المستعمر حين تم اعتقاله إثر أحداث بنزرت حينئذ وجهت الجبهة الجزائرية عدة رسائل: إلى الهيئات الفرنسية، وأخرى لهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وتقل الجمعية في هذه الرسالة الشيخ العربي التبسي وطالبت بإطلاق سراح المعتقلين ومحتجة على سياسة القمع الاستعمارية[3]. كما وجه الإبراهيمي والورتيلاني رسائل خاصة بهما إلى سفير الحكومة الفرنسية بالقاهرة جاء فيها "باسم الشعوب التي تجمعها العروبة ويظلها الإسلام في المغرب العربي....نرفع احتجاجنا الصارخ واستنكارنا العميق للمعاملة القاسية التي يعامل بها الزعيم الحبيب بورقيبة لا لشيء إلا أنه يطالب بحقوق بلاده وتعد هذه المعاملة

1- في الشمال الإفريقي البصائر، العدد 101، السنة 4، 10 رجب 1370 هـ 18 أفريل 1951 ص 5.

2- بدون كاتب، "تونس المجاهدة"، البصائر، العدد، 122 السنة 7، 15 ذي القعدة 1370هـ، 15سبتمبر 1950، ص 15.

3- "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واسعارها، "البصائر، عدد 122، 05 جمادي الأول 1371هـ، 01 فيفري 1952، ص 5.

فعلا بطيئا إن أباحمد قوانينكم الجائرة فسمعاقبكم عليه قوانين الله العادلة"[1].

ولنفس الغرض أدلى الورتيلاني عبر صوت القاهرة بأن الإصلاحات التي تروج لها فرنسا والاتفاقيات المعروضة لا تشكل تطورا جديدا في العقلية الفرنسية وأن المطلوب هو: إطلاق سراح جميع المسجونين والمعتقلين السياسيين وفي مقدمتهم زعيم البلاد التونسية بورقيبة ثم الوزراء المنفيين المشردين أمثال: صالح بن يوسف، ومحمد بدرة، وحرية الصحافة والعفو العام على المتهمين السياسيين. وأن يكون العرض مشروطا بالقبول وألا تكلل جهود التونسيين بالفشل. وخاصة إذا علمنا أن وزير شؤون تونس قد رفع عدد القوات بعد تصريح منديس فرانس من 17 ألف إلى 50 ألف في تونس. وهذا يتناقض مع التصريحات الجوفاء، وربط الورتيلاني هذه المسألة بما يجري في سائر المغرب العربي مؤكدا للفرنسيين بأن بلاد المغرب العربي واحدة والمعتدي عليها واحد فلا يغفل قضية الملك المخلوع في مراكش، ويتجاهل قضية الجزائر فبدون الاستجابة لهذه النقاط مجتمعة يستبعد أي تطور في العقلية الفرنسية ومسؤوليها[2]. وعند اندلاع العمل المسلح في تونس وطرح قضية الاستقلال الداخلي نظرت إليه البصائر بريبة على غرار سياسة المشاركة في الحكم وأن الاتفاقات المراد عقدها تجعل تونس فاقدة لكل تحفيل خارجي وتبقيها في كنف الاستعمار وأيدت منهج الزعيم صالح بن يوسف وأنصاره الذين عارضوا هذه الاتفاقيات وما جاء فيها "فما كادت تطأ أقدام الزعيم الكبير أرض الوطن حتى رفع الصوت عاليا بمقاومة

1- "مساعي جمعية العلماء في قضية بورقيبة"، البصائر،ع279، السنة 7، 15 ذي القعدة 1373 هـ، 15 جويلية 1954، ص 5.

2- الفضيل الورتيلاني، "سياسة فرنسا الاستعمارية" البصائر، العدد 284، 10 محرم 1374هـ، 10 سبتمبر 1954، ص: 5.

هذه الاتفاقات التي قال عنها أنها رجعت بعونس إلى الوراء وهذا أعلن الحزب الدستوري الجديد أنه فصل الأستاذ بن يوسف عن أمانته العامة"[1].

ثالثا–ليبيا:

ولم تكن القضية الليبية غائبة عن زعماء الحركة الإصلاحية الجزائرية منذ احتلالها سنة 1911 حيث تفاعلوا مع مقاومة عمر المختار وكان ابن باديس قد وجه نقدا لاذعا للذين تعاونوا مع المستعمر الإيطالي[2]، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وانهزام إيطاليا وتولي الإدارة الفرنسية والبريطانية الأمور هناك حرص الإبراهيمي الليبيين على مواصلة كفاحهم لنيل استقلالهم وخاصة أن هذه المرحلة كانت حرجة إذ صارت ليبيا محل مساومة وتقسيم بين قوى استعمارية فكان طمع الإنجليز في برقة وإيطاليا تريد الرجوع إلى طرابلس وفرنسا ترغب في منطقة فزان، وحذرت الجمعية من سياسة التمزيق للوطن الواحد واعتبرت تنصيب محمد إدريس السنوسي على برقة وحدها يعني تكريس التجزئة ويشبه ذلك وضع الملك عبد الله في الأردن وعلاقته بالإنجليز[3]. وحين بعد صدور القرار الأممي في 21 نوفمبر 1949 القاضي بوحدة ليبيا وتحديد موعد أول جانفي 1952 لنيل ليبيا استقلالها الكامل تساءلت الجمعية من خلال البصائر لماذا هذا التماطل، وحذرت من الألاعيب الغربية وقد تكون مناورة لإبعاد الاتحاد السوفياتي وتحييده من القضية.وسعي إيطاليا وفرنسا وبريطانيا لاقتسام ليبيا إلى مناطق نفوذ، واعتبرت ليبيا جسرا يربط طرفي الوطن العربي وعليه تفويت الفرصة عليهم، وكتب الإبراهيمي: "إن لكم إخوانا يشاركونكم

1- "من السياسة العالية"، البصائر، العدد 102، السنة 3، 21 جمادي الثاني 1370هـ، 5 أفريل 1950، ص4.

2- حاول الاستعمار الإيطالي تسخير بعض رجال الدين وباسم قاضي محكمة طرابلس الشرعية وأذاعوا بيان يبررون جرائم إيطاليا وأنها تحترم الدين الإسلامي أنظر: مجلة البحوث التاريخية، ع2، السنة الأولى جوان 1984، كلية الفاتح ليبيا، ص 202.

3- أبو محمد، "في الشمال الإفريقي" البصائر، العدد 87، السنة 3، رمضان 1368هـ، 15 جويلية 1949، ص 5.

المرارة والامتحان وأنكم في موضع قدوة لشعوب ترجو ما ترجون وتعمل لما تعملون، فاحذروا أن تكونوا قدوة في الهزيمة ومثالا لخيبة الأمل ...أنا نعيذكم بشرف الرجولة أن تكون فيكم سيوف اليمن وجمرالات تونس[1] فطالك لا تصلح للضرب وهذه لاتغمز في الحرب"[2].

والملاحظ أن هذه المرحلة شهدت اتصالات ومراسلات وكتابات صحفية تحذر الشعب الليبي مما يحاك في الخفاء وتنبهت الجمعية محمد إدريس السنوسي والهيئات الحزبية إلى خطر هذا العراقيل في إعلان الاستقلال وإلى خطر المعاهدات وما جرته من مآسي للبلدان العربية. ومن مكتب القاهرة وجه الورتيلاني والإبراهيمي نداء للسنوسي جاء فيها: "وإخوانكم في المغرب العربي يحتجون بشدة على هذا الارتباط المشؤوم لأنه قاطع لأوصال الوطن العربي وقاض على ما يعلقونه من آمال على استقلال ليبيا، فباسم الجزائريين كلهم نطالبكم باستخدام نفوذكم لإبطال هذه المعاهدة المخزية أعانكم الله"[3]، وظل التأكيد على أن هذه المعاهدات هي استعمار جديد.

وقد كان لاستقلال ليبيا الأثر البالغ في أوساط الشعب الجزائري وفي مقدمته رجال الجمعية حيث:أرسل البشير الإبراهيمي برقية إلى الملك إدريس السنوسي يهنئه باستقلال ليبيا في 24 ديسمبر 1951 نصها: "جالالة الملك إدريس السنوسي ملك ليبيا بنغازي جمعية العلماء المسلمين المعربة عن إحساسات الأمة الجزائرية تعلن مشاركتها للشعب الليبي في ابتهاجه بتحقيق

1- العالة عادة في اليمن حمل السيوف وليست للحرب، كما أن قرنسا في تونس كانت تسمي كل من يحمل لقب أمير جمرالا.

2- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج2، ط 01، ش و ن ت، الجزائر ن 1981، ص 402، 403. ونشرته البصائر أيضا، عدد 110، (1950).

3- باسم مكتب جمعية العلماء بالقاهرة "جلالة الملك إدريس السنوسي ليبيا"، البصائر، العدد 240، المصدر سابق ص 5 انظر أيضا: الآثار، ج 4، ص 90.

استقلاله وترفع إلى جلالتكم قلبيها الأخوية راجية تتويج هذا الاستقلال بالوحدة الشاملة والتقدم المطرد تحت رعايتكم الحكيمة "[1].

الإصلاح العقائدي والفكري:

إن الدارس لكلمة الإصلاح العقائدي من قبل حركة ابن باديس يبادر إلى ذهنه مباشرة الصراع مع الطرقية ومحاربة البدع والخرافات هذا صحيح.ولكن في حقيقة الأمر أن الجمعية كان اهتمامها بالإنسان كل متكامل ماديا ومعنويا فجعلته هو الهدف في كل تحركاتها أو كما أوضح الدكتور سعد الله بأنها خاطبت عقله بالعلم والإصلاح والوطنية وخاطبت عاطفته بالدين والخطابة والتاريخ وبالتالي فالإصلاح في مفهومها هو صلاح في التفكير وسلامة المنهج في العقيدة والتعبد والعلاقة مع الغير.وانطلاقا من هذا التوجه تحددت العلاقة مع التيار الديني في الجزائر وكامل المغرب العربي والتي أخذت محورين:

المحور الأول: هو التعاون والنصح وتبادل الرأي مع أهل العلم في قضايا الأمة وهذا سواء مع المؤسسات العلمية الدينية كالزيتونة أو القرويين أو من خلال العلاقات والاتصال مع رجال الإصلاح في بلدان المغرب العربي كما كان الحال مع الثعالبي أو محمد العربي العلوي أو إبراهيم الكتاني، وغيرهم، وفي هذا السياق كان الحديث عن محاربة الاستعمار والإشادة بمآثر الرجال وتعليم المرأة ومحاربة الجمود والعمل على نشر العلم والوعي.

المحور الثاني: هو الإصلاح العقائدي الاجتماعي.المتمثل في إصلاح ذلك النسيج الديني الاجتماعي للطرق الصوفية (أو الطرقية بالأحرى). والذي ميز هذه المرحلة هو ذلك الصراع بين رجال السلفية الإصلاحية والطرقية فبعد ما كانت بعض هذه الطرق هي المحرك للثورات الشعبية صار كثير منها مدجن للاستعمار ويمارس الدروشة والخرافة وهناك من وضع ذلك في صياغ الدورة

1- الإبراهيمي، "تضامنا مع الشعب الليبي"، البصائر، 179، السنة 4، 9 ربيع الثاني 1371هـ، 7 جانفي 1952، ص 10.

التاريخية التي أظهرت الطرق الصوفية ثم جمعية العلماء ثم دورة لصالح ثورة التحرير 1954 ثم دورة للحركة الإسلامية المعاصرة[1].

وقد كانت الحملة شعواء على البيجانية بشكل أكثر من غيرها لما لها من امتداد عبر الجزائر والمغرب الأقصى وفي هذا الصدد أكد ابن باديس "أن الحملة على الطرقية وفضح البيجانية وبيان إخادها كل ذلك محمول على كاهلي ومربوط به رأسي"[2]. ونظر الإبراهيمي لنقد الطرقية على أنه تحرير للأمة روحيا وماديا من الطرقية ومن فرنسا[3].

وقد أصبح الصراع بين الطرقين في المنابر والصحف واستهلك جهدا كبيرا من الجهتين وفي الواقع أنه في بعض المحطات والفترات أن التيار الإصلاحي صار ينتقد الطرقية أكثر من الاستعمار واعتبرها أمرا خطيرا وتنويما للمجتمع وولاء للاستعمار[4] وخاصة أن الارتباط الطرقي وامتداده كان عابرا لأقطار المغرب العربي، فتابعت الجمعية قدوم الشيخ التلمساني السائحي (البيجاني) إلى قمار وتماسين بالجزائر والذي قيل أنه قدم للتدريس بهذه الزاوية ولكنه كان مأثرا بفكر النهضة والإصلاح[5]، كماتابعت الجمعية باهتمام قدوم الطرقي عبد الحي الكتاني المغربي للجزائر سنة 1928[6].

كما هاجم البيجاني أحمد بن سكيرج من المغرب الأقصى ابن باديس[7]، بالتالي فهذا الصراع الذي خاضته الحركة الإصلاحية الجزائرية على مستوى

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، مرجع سابق، ص 541.
2- نفسه، ص 540.
3- يوسف القرضاوي، مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الوعي ط 1، 1428 هـ، 2007م، ص 88.
4- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4 مرجع سابق ، ص 559.
5- نفسه ج 5 ، ص 227.
6- نفسه، ج 4، ص 550.
7- نفسه، ص 559، 540.

مغاربي وإسلامي اعتبرته إصلاح للمعتقد وتحرير للعقل ومواجهة للمستعمر. وتفويتا للفرصة عليه، ومن جهة أخرى حاولت ثم الشمل من خلال فتح المجال أمام رجال الطرقية أثناء تأسيس الجمعية.

وفي الأخير فإنه من خلال هذا البحث المتواضع حول المدرسة الباديسية ونظرتها إلى القضايا المغاربية فإنه يمكننا الوصول إلى جملة من النقاط أو الاستنتاجات يمكن حصرها فيمايلي:

1-أنه إذ كان ينظر على أن الحركة الإصلاحية الجزائرية تستلهم أفكارها ومواقفها بما يجري في الشرق العربي فإنه يجب الاعتراف بأن المدرسة الباديسية صارت تشع هي الأخرى بأفكارها السياسية والإصلاحية والفكرية على محيطها المغاربي بل والعربي .

2- أن المدرسة الباديسية وباعتراف الآخرين في المغرب العربي والمشرق العربي صارت قطبا ومعلمًا في الإصلاح بنظرة شمولية، وبقراءة خاصة ومميزة، وصارت تُصدر الإصلاح التعليمي والعقدي والثقافي إلى تونس والمغرب الأقصى وليبيا.

3- أن المدرسة الباديسية قبل وبعد تأسيس الجمعية عبر مراحلها المختلفة وبواسطة رجالها وأقطابها مارست الإصلاح وحاولت أن تعطيه البعد المغاربي سواء في شكله الشعوري العاطفي العبوي من باب الانتماء واللغوية والجغرافيا، أو من حيث الارتباط في الواقع والمصير وتوحيد الرؤية لمواجهة المستعمر الواحد انطلاقا من توحيد جبهة المقاومة الفكرية والثقافية والسياسية.

كما أن هذا البعد المغاربي لدى المدرسة الباديسية قد انتقل من الشعور والعاطفة إلى السلوك والمواقف الفعلية والمبادرات الميدانية وحشد الرأي العام والمناصرة والمراسلة للهيئات والاتصال وربط العلاقات مع أقطاب الإصلاح والسياسة والزعامات المختلفة وأن اختلفت الرؤى والمناهج.

4- أن الرؤية المغاربية في المنظور الإصلاحي تعددت مبادئها وجوانبها ففي الميدان السياسي شملت كل أقطار المغرب العربي (المغرب، تونس، ليبيا) وتتبعت مراحله وأزماته وقضاياه الحساسة للتعبير عن حضورها ومواقفها دعما أو نصحا أو تحذيرا.

وكذلك في الميدان العقائدي الديني حيث اعتبرت النهضة والتمسك بالدين يجب أن يصاحبه نقاء في المعتقد ومحاربة الدجل والطرقية المبتدعة والمدجنة في كافة أقطار المغرب العربي ولذلك هاجمت بعض الطرق في سلوكها أو مواقفها أو نشاطاتها سواء في الجزائر أو المغرب أو تونس أو ليبيا واعتبرت أن هذه الظاهرة عابرة للأقطار بضررها ولذلك يجب محاربتها.

وفي الجانب التعليمي دعت الجمعية إلى إصلاح المناهج التعليمية حتى في أقدم المؤسسات المغاربية كالقرويين والزيتونة، وضرورة مواكبتها لمتطلبات العصر وحاجة الأمة وقدمت لذلك نموذجا من خلال مدارس الجمعية ومناهجها وبرامجها، وصار زعيمها ابن باديس القائد الفكري الحقيقي للسلفية الإصلاحية في المغرب العربي.

الحركة الإصلاحية الجزائرية وحركة التحرر العربي

مقدمة:

تميز الواقع الجزائري في القرن العشرين بالظروف الاستعمارية الحالكة ولكن ذلك لم يحل دون تطلع النخبة الإصلاحية الجزائرية إلى التفاعل مع القضايا العربية والمساهمة في حركة التحرر العربي بالقلم والمراسلة والمال وتعريف المجتمع الجزائري بما يجري في الساحة العربية، كما نشير إلى ظاهرتين جديرتين بالانتباه في التاريخ الجزائري الحديث حول نشاط الشخصيات الجزائرية الإصلاحية خارج الجزائر أولهما أن هذه الشخصيات كانت كثيرة العدد سواء هاجرت حديثا (القرن العشرين) أو ذات أصول جزائرية. وما يميزها أنها تموقعت في الأوساط العربية وحازت مقاما سياسيا أو إصلاحيا يحظى بالاحترام وخاصة في المشرق العربي وتونس، والكثير منها أقام هناك وصار جزء من النسيج الاجتماعي والإصلاحي لهذه البلدان، ولعب دورا مهما في الأوساط السياسية والاجتماعية والثقافية بها.

والثاني: أن هذه الشخصيات الجزائرية انتقلت إلى خارج الجزائر في ظرف الاستعمار لطلب العلم أو التعريف بالقضية الجزائرية وكشف اجرائم الاستعمارية بها ولكن تعدى نشاط هؤلاء إلى أداء دور عربي من خلال تبني دور الدفاع عن البلدان العربية من ظلم الاستعمار ونفوذه والدعوة إلى إصلاح الأوضاع هذه البلدان وهذا انطلاقا من أن نهضة هذه البلدان هي قوة متكاملة وليست مجزأة، وقد استخدمت هذا الغرض عدة وسائل منها الصحافة، والعرائض والمراسلات الموجهة للجامعة العربية وبعض الزعماء والملوك العرب، وأحيانا أخرى إلى سفراء الدول الاستعمارية أو الأمم المتحدة، وشكلت هذه المساهمات كلها زخما سياسيا ودعما إعلاميا ساعد على النهضة الفكرية والوعي السياسي التحرري العربي وهذا باعتراف معظم زعماء العالم العربي،

ولذلك ظل الاستعمار يلاحق هذه الشخصيات الجزائرية في الداخل والخارج ويتتبع نشاطهم من خلال سفاراته وقنصلياته ويعمل على تضييق الخناق عليهم، وهكذا كان المنفى من بلد لآخر، ومن خلال هذا البحث المواضيع أردنا أن نبرز الدور الجزائري الذي لعبه هؤلاء لصالح حركة التحرر العربي رغم الظروف الاستعمارية الحالكة، كما لأن معظم الكتابات التي وجدت تركز على الدعم العربي لقضية الجزائر في حين يغيب عن القارئ العربي المساهمة الجزائرية في قضية وتحرر هذه الأمة.

دورها في قضية فلسطين:

إن اهتمام الحركة الإصلاحية بالقضية الفلسطينية كان منذ ظهور المشكلة ولكنه ازداد بعد تقسيم 1947، ويعود هذا الاهتمام إلى مبدأين الأول أنه بلد عربي مسلم وأول القبلتين والثاني معاداة الاستعمار واغتصاب حق الشعوب. وكان حدث التقسيم لفلسطين وفق قرار الأمم المتحدة الجائر وقعا ثقيلا عبر عنه الإبراهيمي "إن وباء الظانون ظن الخير بالضميرين الأوربي والأمريكي مما يستحقون من خيبة تعقبها حسرة"[1]، وحمل بريطانيا هذه الجريمة قائلا: "إن الإنجليز هم أول الشر ووسطه وآخره"[2]، وكان الإبراهيمي مشخصا للمشروع الإنجليزي في تقسيم البلاد العربية وإثارة الفتن بينها والحرص على تأمين إسرائيل. وعلى العرب أن يردوا على ذلك باجتماعهم على رأي واحد ومن إرادة ذاتية على مصلحة العرب العامة وليست مصالح الأشخاص وأن الوحدة العربية لا تأتي ثمارها بهذا الصدد إلا إذا كانت شاملة بين الساسة والحكام والشعوب على هدف واحد.

1- الإبراهيمي، "فلسطين" البصائر، العدد 21، س 04، 1 ربيع الأول 1867 ن 20 فيفري 1948، ص 1.

2- الإبراهيمي، "الإنجليز سلقة الشر المقرعة"، البصائر، العدد 24، 19 ربيع الثاني 1967، 01 مارس 1948، ص 1.

وربط الإبراهيمي بين الانتماء للعروبة والانتصار لقضية فلسطين وقال أنه يعتز بعروبته لدرجة الغلو ويعتد بها إلى درجة التعصب وله بعروبته شرف في فلسطين وإذا لم يؤد واجبه اتجاهها ولم يوف بالعهد وسم بالعقوق لوطنه الأكبر ووصم بالخيانة لدينه الجامع[1].

وشمل هذا الانتصار العضوي والشعوري زعماء مختلف رجال الإصلاح منهم أحمد سحنون، وعبد الكريم العقون والسائحي ومحمد العيد خليفة الذي استشعر الموقف بعد التقسيم في شعر بليغ جاء فيه :

فلسطين العزيزة لا تراعـــي فعين الله راعدة تراعـــــي
وحولك من بني عدنـــان شديد الباس من كل البقاع
وإذا استصرخته للحرب لبى وخف إليك من كل البقاع
يجود بكل مرتخص وغـــال ليدفع عنك غارات الضياع
بليت بأم صهاينة جباعـــا فسحقا للصهاينة الجبـــاع
ستكشف عنهم الهجاء سترا وترميهم بكل فتى شجـــاع[2]

كما كتب موسى الأحمدي:

فلسطين ناديكم للجهـــاد قلبوا الدنا يا حماة البـــــلاد
وهبوا جميعا سراعـــــا إلى حمى يعرب وانفروا للطراد
وعدوا النفوس إليها فـــدى فعلكم بين العربي ارض البعاد[3]

الدعم السياسي: وتمثل هذا الدعم السياسي من خلال النداءات الموجهة لمختلف الجهات، وفي مقدمتها الشعب الفلسطيني والعربي على أن الشعب الجزائري يقف مع إخوانه بالممكن المتاح والتحذير من مغبة تفويت هذه المؤامرة الاستعمارية، وكان نادي الترقي فضاء للتعبير عن هذه المواقف

1- حميدي أبوبكر الصديق، القضايا العربية من خلال جريدة البصائر، رسالة ماجستير، 1994، الجزائر، ص 83.
2- عبد الله العركيبي قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، م.و. لة. الجزائر ص 51.
3- عبد الله العركيبي قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص 55.

من خلال محاضرات كل من أبي بكر بن مصطفى الزاهري، والعقبي، ومحمد حسن الورتيلاني، وغيرهم، والأهم من ذلك هو تأسيس لجنة الدفاع عن فلسطين منذ 1947.

وحاول العقبي أن تكون هذه الهيئة فرصة لتجميع جهود الجزائريين وتوحيد مواقفهم والتي تحولت فيما بعد إلى الهيئة العليا لإغاثة فلسطين.

ومن جهة أخرى تمت مراسلة العقبي للأمين العام للجامعة العربية عزام باشا[1]، وكذلك المفتي العام لفلسطين محمد أمين الحسيني، والسيد فوزي القاوقجي رئيس هيئة الدفاع عن فلسطين، وهذه الجهات هي رأى فيها العقبي أنها المعنية والمخلة لفلسطين والعرب وأخطرها بمضامين الشعب الجزائري ورموزه السياسية والإصلاحية مع القضية الفلسطينية.

ومن جهة أخرى راسلت هيئة الأمم المتحدة وفرنسا حول الموضوع لإظهار مواقفهم السلبي والظالم المكرس على الشعب الفلسطيني.[2] ووجه انتقادا للموقف الأمريكي الجائر بعدائه للشعب الفلسطيني، ونفس اللوم للإتحاد السوفياتي الذي يناور ويحاول أن يلعب ورقة مزدوجة فهو يؤيد قيام إسرائيل على أرض فلسطينية ومن جهة أخرى يظهر أنه يحارب الاستعمار. فهل هذا الاحتلال يخرج عن دائرة الاستعمار؟[3]

ولا يمكن أن نتجاوز في هذا الشهد موقف الشيخ الطيب العقبي الذي جمع بين الانتصار العنوي والمبادرات العملية لإنقاذ فلسطين، فكتب لبيك فلسطين قما أنت لأهلك ولكتلك للعرب كلهم وللمسلمين أجمعين وقال إنها مؤامرة من

1- أول أمين عام للجامعة العربية (1945-1952).
2- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، م. و. ك، الجزائر 1983، ص 559-555.
3- أبو عمار، "سر السياسة العالمية"، البصائر، ع52، س 2، 8 ذي الحجة 1367، 11 أكتوبر 1948، ص3.

الإنجليز الذين استشرى ظلمهم بالبلاد العربية وتزكية من هيئة قالوا أنها تضم الشعوب المتمدنة.

وعموما أن هذه الأقلام قد استشعرت خطورة الموقف ونقلته إلى النخبة من خلال الصحافة وإلى العامة من خلال المحاضرة والنقاءات والدروس المسجدية، وحاولت أن تعبئ المجتمع الجزائري وتعرفه بمجريات الأحداث وخاصة بعد إعلان إسرائيل (15 ماي 1948)، وكان التجاوب واسعا مع هذا التحسيس من قبل الجزائريين وهم أعرف الشعوب بويلات الاستعمار. حيث خصصت شعب الجمعية ومدارسها بالحضور إلى محاضرات وندوات حول هذا الغرض، وظلت البصائر مبيرا مستمرا لعرض تطورات القضية، وشحذ الهمم لصالحها. ولعل رئيس الجمعية كان أحسن معبر عن هذه الحالة "أيها العرب حرام أن تنعموا وإخوانكم يؤساء وحرام أن تطعموا وإخوانكم جياع وحرام أن تطمئن بكم المضاجع وإخوانكم يفرشون الغبراء"[1] ونعتقد أن أحسن اعتراف بما قامت به هذه الهيئة هو ما جاء على لسان الهيئة العربية العليا والتي يرأسها مفتي فلسطين الأكبر "...وبعد فقد بلغنا أنباء الجهود المباركة التي بذلتها جمعية العلماء...لنصرة قضية فلسطين...فباسم فلسطين المجاهدةنقدم إلى فضيلتكم وإلى أصحاب الفضيلة العلماء...أخلص الشكر..." [2].

ومن جهة أخرى كان انتقاد البصائر واضحا لدخول العرب في حرب بقيادة غير موحدة وهو ما عاد على العرب بخسارة المعركة في الجولة الأولى لحرب 1948.

1- الإبراهيمي، كيف تشكلت الهيئة العليا لإغاثة فلسطين"، البصائر،ع58، س 2، 5 ذي الحجة 1367، 19 أكتوبر 1948، ص 1.

2- الهيئة العربية العليا "رسالة من مفتي فلسطين الأكبر"البصائر، عدد 55، السنة، 5 ذي الحجة 1367هـ، 11 أكتوبر1948م ص 1.

وكان الاتفاق جريئا للهدنة التي عقدت بين العرب وإسرائيل لأنها أعطت فرصة هذه الأخيرة لمستعيد أنفاسها وتعزوه بالسلاح[1] وورد على لسان البصائر أن تشكيل حكومة فلسطينية[2] في هذا الظرف يجسد الخلاف العربي وما يحوم حوله من أطماع الملك عبد الله في شرق فلسطين واكتفاء حكومة فلسطين في النقب وأن إعلان دولة فلسطينية حيالية في هذا الظرف يعتبر تحديا وإثارة لمشاعر الملك عبد الله وقرارا ليس من الحكمة في ظل المعركة، وهذا ما دفع الملك عبد الله أنه أصبح لا يعترف بقرارات الجامعة العربية ولا يتعاون مع السوريين والمصريين في الحرب، وقام بعقد مؤتمر في أكتوبر 1948، وآخر في ديسمبر 1948 في أريحا الذي ألغر مبايعة الملك عبد الله ملكا على فلسطين وعدم الاعتراف بحكومة فلسطين [3].

تأسيس الهيأة العليا لإغاثة فلسطين: كانت هذه الهيئة الإطار الأبرز في هذه المرحلة من خلال حراكها السياسي، وكونها قربت بين تيارات الحركة الوطنية حول قضية مشتركة. وقد شارك في تأسيس هذه الهيئة عدة شخصيات من الاتجاه الإصلاحي والبياتين والانتصاريين، وإذا تضاربت الآراء حول هذه الهيئة فيتضح أن صاحب المبادرة والساعي لها هو الطيب العقبي وضمت كل من إبراهيم بيوض (وعصاني في البداية) وقرحات عباس والإبراهيمي [4].

ورغم تراجع اسم عصاني عن هذه الهيئة بسبب خلافات داخلية حول رئاسمها فإنه بقي فيها أحد مزعة كمعقل لحركة الانتصار[5] لكن لم يستمر طويلا. ويتجلى أن الإبراهيمي كان يسعى إلى جمع الجزائريين حول هذه القضية والتمسك بالوحدة الوطنية والعربية، كما كان العقبي أكثر سعيا وحرصا في

1- أبو محمد "سر السياسة العالمية" البصائر، عدد 48، ص 4.
2- على رأسها حلمي باشا.
3- أبو محمد "سر السياسة العالمية" البصائر، عدد 51، ص 5.
4- الإبراهيمي، "كيف تشكلت الهيئة..." مصدر سابق، ص 1.
5- نفسه.

التوفيق بين مختلف الأطراف، ولكنه كان يعرف أنه لا يمكن لهذه الهيئة أن تنجح دون الجمعية ورئيسها الإبراهيمي لسمعتها وانتشارها عبر الوطن[1] ومن جهة أخرى شن حملة على حملة مصالي الذي لم يقبل دون رئاسته لهذه الهيئة ورغم هذه العراقيل فقد تشكلت فروع في المدن وهيئة عليا من أربعة شخصيات وكتب الإبراهيمي: "وقد تشكلت الهيأة العليا من أربعة على الصورة الآتية ولعل التاريخ الذي عيناه مرارا يتقدم مما هذه المرة فيلجئنا إلى تنشر كل شيء بشواهد هذه وشهوده، وأيامه ولياليه وهذا تركيب الهيأة العليا"

- محمد البشير الإبراهيمي رئيسا
- عباس فرحاتالكاتب العام
- الطيب العقبيأمينا عاما
- إبراهيم بيوضمالية[2]

الدعم المالي: عقب تشكيل الهيأة العليا شكلت لجنة تنفيذية وفروع تابعة لها في المدن الجزائرية لأداء وظيفتها، وأهم نشاط أوكل إليها هو تعبئة الجماهير، وجمع الأموال، كان وضع الجزائر حرجا بسبب الاستعمار والمحتفظات الأمنية، ولذلك كان هناك نوع من الكتمان حول الأموال التي جمعت من الجزائريين والكيفية التي تم بها توصيل هذه الأموال، ضف إلى ذلك حالة الجزائريين الفقيرة التي لم تسمح بجمع أموال طائلة، ولكنها عبرت عن عزم وجهد القل في أحلك الظروف.

ويتضح أن هذه الأموال قد نقلت على دفعات مختلفة فذكر توفيق المدني أن اللجنة أرسلت أربعة ملايين فرنك للمجاهد الفلسطيني ويضيف أنه أوفد شخصيا لباريس ومعه ثلاث ملايين سلمها للسيد أحمد تروت سفير مصر بباريس[3].

وهناك مصادر أخرى تشير أن العقبي أخذ معه أموالا لفلسطين وصاحبه عباس الفركي، وبن حورة، وإن اختلفت الروايات حول حجم الأموال المنقولة

4- نفسه... مصدر سابق.
2- نفسه.
3- أحمد توفيق المدني، ص 559.

والطرق الموصلة والفترة الزمنية إلى كثيرا ما دارت بين 1948 و1950 فإن الشاهد في العملية هو الخطة التي شملت الجزائر والدور الذي لعبه جمعية العلماء في جميع المبرعات مقارنة ببقية الجمعيات[1].

نشاط الورتيلاني في جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية:

تميز نشاط الورتيلاني في مصر بالنشاط الدؤوب ونسج العلاقات المختلفة، فشارك في تأسيس جمعية الفدائية مع الشيخ محمد الخضر حسين، وربط علاقات مع الإخوان المسلمين مستغلا صحافتهم ومنابرهم لمناشدة العرب بأن ثلاثين مليونا من إخوانهم يستصرخونهم في شمال إفريقيا من مصر إلى الدار البيضاء[2].

وعند تأسيس جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية سنة 1944 كان الورتيلاني أمينها العام والعنصر النشيط فيها ومعظم المراسلات كانت تمضى من قبل رئيس الجبهة والورتيلاني. ومن خلال هذا المنبر وجه رسالة للجامعة العربية لتخصيص حيزا لبلدان شمال إفريقيا في مناقشات الجامعة العربية ولخالفا والدعاية لقضايا هذه البلدان العادلة في وجه الاستعمار.

ووجه رسالة أخرى للأمم المتحدة، مذكرا إياها بأن السلام العالمي لا يتحقق دون أن تنصف شعوب شمال إفريقيا[3]. ورسائل أخرى للملك السعودي، والرئيس السوري، واللبناني لأخذ هذا الجزء من الوطن العربي بعين

1- ساهمت بقية التيارات في الجمع ولكن بصورة أقل وبالإشارة فإن الإبراهيمي عاتب الجزائريين لأنهم جمعوا المال في الجزائر وفي فرنسا باسمه وقال أنهم جمعوا على ثلثيا وتقمصا أضعاف ما جمعوا لفلسطين، وقال أنها ليست المرة الأولى التي ارتكبوا فيها هذه الخطيئة. أنظر: الإبراهيمي، "كيف تشكلت..."البصائر، ع 58، المصدر سابق، ص 02.

2- فؤاد عجوبر، أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، ط 1، 1428، 2007، دار الخلدونية، الجزائر ص49، 50.

3- محمد ميرالدين، مذكرات الشيخ محمد ميرالدين، ج2، ص 280.

الاعتبار، وكان هناك نداء إلى ترومان للنظر في حقوق الإنسان في شمال إفريقيا لإقامة السلم الذي كافحت من أجله الولايات المتحدة[1].

وقد كان لفورتيلاي رحلات من القاهرة إلى وسوريا ولبنان، وتقابل مع رئيس الحكومة ورئيس الجمهورية السورية، وألقى عدة محاضرات وكلها تدور حول تحرير شمال إفريقيا وطالب بالدعم المعنوي والسياسي[2] وخصصت الزيارة ببرقية وجهت للجامعة العربية ووزير فرنسا المقوض بالقاهرة تظهر فيها استنكار السياسة الفرنسية في شمال إفريقيا[3]. وقد ساعد الورتيلاني على أداء وظيفته الدعائية والسياسية نصائح أقطار المغرب العربي علاقاته القوية مع الإخوان المسلمين وصحفهم وانفتاحه على مختلف رجال الإصلاح والسياسة.

الورتيلاني واليمن: إن انتقال الورتيلاني لليمن كانت وراءه عدة أهداف يأتي في مقدمتها إصلاح الأوضاع المتردية في اليمن التي اتخذها الجمود والخضوع للقوة الأجنبي وهو ما يشكل حالة من الإرهاص في إحدى زوايا الوطن العربي وخاصة أن الورتيلاني كان يخوض معركة الإصلاح بصفة عامة دون الاقتصار على قطر معين، وإذا علمنا أن هذه المرحلة كانت في ظروف كثرت فيها الضغوط عليه من قبل النظام المصري من جهة، وتصيد الإدارة الفرنسية له معتبرة إياه العدو الأكبر لفرنسا هناك لأنه يشهر بها أمام الرأي العام العالمي والعربي على ممارساتها في المغرب العربي ولذلك نجد أن ملاحقتها كانت بدقة ومستمرة في كل محطاته وتتسق مع سفارتها في كل المشرق العربي وهذا من خلال تقاريرها.

---

1 -A.O.M, F.D.A, 91/4128, parlementaire, Note sur le front de défense de l'Afrique du nord, D°: N 0 COFFE le 26/05/1945..

2- الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، ، ط4، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص 229.

3- A.M.A.E, Afrique levant 1944-1959, Algérie 19444-1952, D 436964, k38-2, questions politiques , FOUDIL WARTILANI, document n 183 Télégramme n 224, le 05/07/1947.

وقد كانت جرأة الورتيلاني الكبيرة التي صارح بها الإمام يحي حميد الدين باليمن ومحاولة حمله على النهوض باليمن،[1] والتفاعل مع قضايا الوطن العربي وتزع القيمة الأجنبية هو ماجعل على الورتيلاني مصاعب كثيرة فيما بعد، وقرأت فرنسا أنه فشل في مهمته في اليمن لأنه لم ينجح في تحريك اليمن لصالح شمال إفريقيا ولا إقناع مسؤولي اليمن بالإصلاح[2] أو التدخل لدى السلطات الفرنسية برفع مظالمها في المستعمرات العربية[3] وفي هذه الظروف حاولت فرنسا الضغط والإشاعة على الورتيلاني بعدم تمكينه من دخول البلاد العربية وهذا من خلال مراسلتها لممثليها في عدن والجزائر والقاهرة[4]، وقالت أن الحكومة المصرية أبلغت عدن بعدم رغبتها في دخول الورتيلاني إلى أراضيها [5]، واعتدت تخوفات فرنسا من هذه الشخصية إلى درجة إشعار حكوماتها في الصومال من احتمال دخول الورتيلاني إلى أراضيها رغم أن السلطات هناك يستحيل أن تعطيه الموافقة، وظل التنسيق على درجة عالية بين مختلف القنصليات الفرنسية في الشرق العربي من أجل محاصرة تحركاته[6]. مع إقرارها بصعوبة منعه من النزول في إحدى المدن العربية القريبة.

1- A.M.A.E, Afrique levant 1944-1959, Algérie 19444-1952, D 436964, k38-2, questions politiques, FOUDIL WARTILANI, DN° 186.

2 -A.M.A.E, Afrique levant 1944-1959, Algérie 19444-1952, D 436964, k38-2, questions politiques, FOUDIL WARTILANI, DN° 189.

3-A.M.A.E, Afrique levant 1944-1959, Algérie 19444-1952, D 436964, k38-2, questions politiques, FOUDIL WARTILANI, DN° 188.

4- A.M.A.E, Afrique levant 1944-1959, Algérie 19444-1952, D 436964, k38-2, questions politiques , FOUDIL WARTILANI, Télégramme, le Caire, le 27 mars 1948, D: N°248.

5- A.M.A.E, Afrique levant 1944-1959, Algérie 19444-1952, D436964, k38-2, questions politiques , FOUDIL WARTILANI, Télégramme, Aden le 25 mars 1948, D: N 243.

6- A.M.A.E, Afrique levant 1944-1959, Algérie 19444-1952, D 436964, k38-2, questions politiques , correspondance du, Ministère de la France d'outre-mer ou Ministre des affaires Etrangères. D N° 267.

وبعد خروجه من اليمن كلفت السلطات الفرنسية من اعتقالاتها مع قنصليها في جدة لمتابعة تحركاته بهدف دخول بلد عربي وتوصلت أنه أخذ تأشيرة لدخول لبنان من قنصليها بجدة ولاحظت أن الورتيلاني يحمل جواز سفر فرنسي وآخر عادي[1] باسم تاجر سوري يسمى عبد الرحيم السفرجلاني ويرغب في دخول لبنان[2] التي وافقت على ذلك من خلال قنصليها في جدة.[3] وتعليقا على هذه الملحمة التي مر بها الورتيلاني منذ خروجه من مصر ثم من اليمن وظل على متن سفينة لمدة شهرين هو الحصار الذي ضرب عليه من قبل فرنسا من خلال مستعمراتها أو الضغط على الأنظمة العربية عبر قنصلياتها لأنها تعتبره أخطر شخصية جزائرية تحشد العداء ضد فرنسا في المشرق العربي.

وفي المشرق العربي أيدت الجمعية الشعب المصري لمراجعة معاهدة 1936 وطلبت منه موقفا حازما، وقام مكتب الجمعية بالقاهرة بتبليغ هذا التأييد للحكومة المصرية كما حيت الشعب المصري على رفضه الدخول في رابطة الشعوب الإنجليزية (المستعمرات الإنجليزية)، ومن جهة أخرى استطاع الإبراهيمي أن يعبئ الشعوب العربية في فرنسا إثر حوادث العمليات الفدائية ضد الإنجليز التي أسفرت عن عدد هائل من الشهداء، فقام الإبراهيمي بإقامة صلاة الغائب في مسجد باريس بطلب من وزير خارجية مصر (محمد صلاح الدين) وحضرها الوفود العربية والعمال.[4]

---

1 - A.M.A.E, Afrique levant 1944-1959, Algérie 19444-1952, D 436964, k38-2, questions politiques , correspondance du, Ministère de la France d'outre-mer ou Ministre des affaires Etrangères. D N° 237.

2- A.M.A.E, Afrique levant 1944-1959, Algérie 19444-1952, D 436964, k38-2, questions politiques , correspondance du, Ministère de la France d'outre-mer ou Ministre des affaires Etrangères. D N° 25.

3- A.M.A.E, Afrique levant 1944-1959, Algérie 19444-1952, D 436964, k38-2, questions politiques , correspondance du, Ministère de la France d'outre-mer ou Ministre des affaires Etrangères. D N° 257.

4- بدون كاتب، البصائر، ع 164، س 4، 19 شوال 1370، 25جويلية1951، ص 4.

وأيدت البصائر الثورة المصرية واعتبرتها عملا ضد ملك مستبد وإزالة حكومة لا علاقة لها مع الشعب، ودعت إلى إقامة حكم ديمقراطي تكون فيه السيادة للأمة ويعضده مجلس منتخب حر[1].

وحول السودان: فقد حاربت الجمعية الاستعمار الإنجليزي في السودان الذي كرس مظاهر التخلف والتفرقة بينه وقالت أنه منذ مطلع الأربعينيات عمل على عزل مناطق الجنوب الذي تسكنه أغلبية زنجية غير مسلمة وتركها خارج الإدارة السودانية ومنعا من الاتصال لحاجة في نفسها.ذلك القسم الذي قادت فرقه العسكرية فيما بعد حوادث دامية ضد الجيش السوداني[2].

وقبل الاستقلال المصري ظلت الجمعية تؤيد الرؤية المصرية لتوحيد منطقة النيل ويكون للسودان استقلاله الداخلي وضمان دستوره اخر مع التبعية للتاج المصري. أما بعد الاستقلال المصري فقد لامت رئيس الحكومة السودانية إسماعيل الأزهري على نزعته بعدم الاتحاد مع مصر ولكن ظلت تدعم حقه في التحرر وتوج هذا بإرسال جمعية العلماء برقية تهنئ فيها الشعب السوداني على استقلاله الذي يعد عونا للشعوب التي لا تزال تكافح، ونظم محمد العيد شعرا جاء فيه.

1- "منبر السياسة العالمية"، البصائر، ع 199، س 05، 11 ذي الحجة 1371، سبتمبر 1952، ص 4.

2- "منبر السياسة العالمية"، البصائر،ع201، س 05، 10 محرم 1372، 28 سبتمبر 1952، ص 4.

ثقافة الحوار لدى الحركة الإصلاحية الجزائرية

مقدمة

أن دراسة تراث المجتمعات بما احتوى عليه من أفكار وسلوكات إنما يعبر عن ارتباط الإنسان بالطبيعة والمجتمع والظروف الخاصة به، ومن خلال ذلك نقف على التفكير العميق للنخبة والساسة، ومستوى الإبداع الفكري السليم والمتعلق بمنظومة القيم التي تتسع للآخرين. ويبقى ميزان المحضر مرتبطا بسمو أفكار هذه القيم وترجمتها في أرض الواقع. فعلى الإنسان أن يكون مفكرا، مبدعا أصيلا في إبداعه معبرا عن حق يمكن لأي فرد آخر أن يدركه، ولذلك عبر الفيلسوف الأمريكي رالف والدو أمرسن (1882-1803) عن أبعاد هذا التصور بأن الفرد واحد من الناس ليس في حقيقة أمره فردا مستقلا قائما بذاته بل هو ممثل للإنسانية كلها، أن الإنسانية كلها حقيقة واحدة متصلة شاملة وإن تشعبت رؤية العين، كأصابع اليد الواحد تشعبت لكنها مع ذلك أصابع يد واحدة، فسعادة الإنسان في فكره وعمله مرهونة بإدراكه لهذه الحقيقة العليا وهي أنه حين يفكر وحين يعمل لا بالأصالة عن نفسه فقط، بل بالنيابة عن الإنسانية كلها أيضا"[1]. لأن المهمة واحدة والهدف واحد والحياة واحدة والعالم واحد وإن أخذ كل فرد منها نصيب وقد ذهب هذا المفكر (أمرسن) إلى أنه من السخافة الاستمرارية على رأي وعدم الجرأة على النطق بما يناقضه وهو قزع يخشاه صغار الساسة.

إن هذا التفكير يدفعنا إلى البحث عن الحقيقة وعن الأصلح من الأشياء، ولا يكون هذا إلا في ظل فكر مستمر قابل للحوار ونعتقد أن هذا الأمر هو الذي غاب عن ذهن الاستعمار وساسته فاختل لديه التوازن وغاب عنه الحوار

1- الدكتور: زكي نجيب، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، دون تاريخ طبع، ص 45.

وحضرت الهيمنة والتسلط، ولعل إحدى أركان الإمبراطوريات الاستعمارية الحديثة هي فرنسا التي احتلت الجزء الغربي من العالم العربي. ومشكلة الاستعمار عامة وفرنسا تحديدا أنها أرادت أن تبني حضارة لشعبها على حساب شعوب أخرى وخيل لها أن القوة والتفوق العلمي والتقني كفيل باستمرار هيمنتها ويحقق الرقي لشعبها ولكن يبدوا أن منظومة القيم كانت غائبة في ذهنها وهذا ما أدخل أمتها والشعوب المستعمرة معا في أزمة ومعضلة طال أمدها وإذا كانت فرنسا في عهد الأنوار اللامعة للثورة الفرنسية فهل كانت هذه الأفكار موجهة للفرنسيين فقط أم باقي الشعوب أيضا، ثم هل كانت جسور التواصل مع الشعوب المحتلة مبنية على قيم وحوار مناسب ومبادئ الثورة الفرنسية والزخم الهائل من منظومة قوانينها؟ وهل تجسد ذلك في اتفاقياتها وعهودها أم لا؟

ضمن هذه الجدلية أردنا تسجيل ثقافة الحوار لدى الحركة الإصلاحية الجزائرية ومدى توظيفها في السجال الفكري واليداني مع الاستعمارالفرنسي بالجزائر.

الحوار مع المستعمر:

إذا كان مجيء الاستعمار إلى شمال إفريقيا قد رافقه حَمْلة ألوية الحرية والمساواة والعدل المنبثقة من ثورة 1789 في زمن كان العالم الإسلامي كان يتملك فيه رصيدا فكريا هائلا ولم ينخدع بهذه الشعارات ولكنه رد ذخ للقوة والسلاح وعرف حقيقة الاستعمار أكثر من خلال سلوكاته. وقد لجأ الاستعمار إلى تكوين نخبة مفرنسة أو حاول التواصل مع المثقفين عامة بلغة الحضارة والتقدم ومحاربة التعصب والتعلق بالنظام والقانون. لكن هل استطاع استيعاب هذه الشريحة؟ وهل وجدت هذه المنظومة من القيم طريقا إلى قناعات وأفكار المجتمع والمثقفين خصوصا؟

حقا أن التعامل مع القيم الفرنسية لم يأت إلا مع ظهور نخبة مفرنسة وكذلك معربة أحيانا وهذا في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 ضمن حركة الشباب الجزائري، ولا يسعنا هنا الحديث عن الاتجاه الإدماجي المفرنس وتحريره

في التعلق بالثورة الفرنسية ومحاولة إقامة حوار فكري وديمقراطي مع الساسة والمثقفين الفرنسيين، ولذلك تقتصر على تجربة الاتجاه الإصلاحي في خطابه الحضاري الموجه للاستعمار أملا في الحصول على هامش من الحقوق والحرية وطلبه من الاستعمار أن يكون في مستوى الالتزامات المقطوعة للجزائريين ووضعهم على محك الاحتكام لقيم الثورة الفرنسية والمحضر المعلقة، وكان في مقدمة ذلك الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر الذي كان يفرق بين الإدارة الاستعمارية وفرنسا الجمهورية حيث يقول أن المندوب المسلم المنتخب بعد مجيئه وفشله يعيده بأنظاره الآن لفرنسا الوطن الأم[1]، وينظر لفرنسا على أنها وطن أم كمعرو بول تتحكم في المستعمرات.

وخلال العشريات والثلاثينيات من القرن الماضي برزت شخصية ابن باديس التي مثلت الوجه المتقدم للحركة الإصلاحية ويبدو أن هذا الأخير كان محددا لهدفه من حيث تميز الهوية الحضارية ولكنه تفنن في تطبيق مقولته أن الظروف تكيفنا ولا تعاقدنا".

حيث تعامل بليونة ولباقة سياسة عالية مع فرنسا حرصا على حماية المشروع وهي مؤسسة الجمعية فيما بعد (1951). ففي الوقت الذي كان يبجل مشروعه الحضاري بين أفراد شعبه كان يوجه خطابا ممحضرا لفرنسا وضرورة تدارك أخطائها في المستعمرة كاشفا البطش والعسف والضايقة بالجزائر وموضحا أن هذا لا يمثل فرنسا الدولة الديمقراطية، هو يعلم أن ذلك تحت توجيهات وعلم الساسة بفرنسا ولكن يحاول وضع صورة التمايز بين ما هو في فرنسا الحقيقية وما يمارسه من معمرين ومسعوطين متطرفين استغلاليين حيث تغيب لديهم القيم الإنسانية ومظاهر المحضر وهي رسالة من ابن باديس لساسة ومفكري فرنسا.

1- محفوظ قداش، الأمير خالد، وثائق وشهادات لدراسة الحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1987 ص 42.

وقد مر ابن باديس بتطور في خطابه نحو فرنسا محاولا جرها إلى ساحة العقل والقيم وضروب الحضارة فيطرح شعار الحق فوق كل احد وفي موضوع آخر يقول "إنما نريد الحكم لفرنسا بالروح الفرنسوية وروح الإخوة والعدالة والمساواة ونفر من كل من يخالف هذه الروح"[1]. وهو يريد أن يحاصر غلاة المعمرين وتطرفهم معسائلا عن غياب أبعاد الجمهورية ووضع حد لغلوائهم.

ويبدو أن هذه المرحلة حصل عليها شبه إجماع بين مختلف التيارات حيبها بأن فرنسا غير قادرة ولا توجد لديها إرادة للتوفيق بين مبادئ وقيم تعتقن بها وما يمارسه الفرنسيون في أرض الجزائر حيث يقول فرحات عباس حيبها إذا كانت فرنسا هي التي ابتدعت الثقافة الديمقراطية فإنها لم تستطيع أن تعرضها على أوربيي الجزائر[2] ولذلك فسر البعض أن الثورة الفرنسية ماهي حدث داخلي وظاهرة فرنسية وليست بتراع بين بلدان أو شعوب مجايرة[3].

إلا أن تمادي السياسة الفرنسية على نفس المنوال والهوة الحاصلة بين شعاراتها الحضارية وممارستها، لم ما كان معلقا من آمال على الجبهة الشعبية دون جدوى جمع جمعية العلماء وخاصة بعد المؤتمر الإسلامي تتقل إلى مرحلة ثانية وتعبر عن يأسها من أي إصلاح "والجزائر تتخدع وتطمع...ويمكن أن يتجلى لها سراب الغرور فتقلع عن الانخداع.."[4].

وهذا ما جعله يصعد من لهجته تجاه فرنسا وصار لا يعلق الكثير من الأمل على فرنسا كما تعود حين كان يطالبها باسم عدالتها ومبادئها وشعاراتها

1- الشهاب: 8 أفريل 1926.

2- علي تابليت، "كرسات عباس رجل دولة" أعمال الندوة الوطنية: الرهانات الوطنية وتأثير المتغيرات الدولية في المغرب العربي، المغرب، ص 51-61.

3- نفسه.

4- أحمد صاري، "ابن باديس بين سراب فرنسا الديمقراطية وحقيقة فرنسا الاستعمارية"، أعمال ندوة، الرهانات الوطنية وتأثير المتغيرات في المغرب العربي "جامعة المول. إسماعيل، المكناس، المغرب ص ص125 -142.

الديمقراطية [1] وفي خضم ظروف الضغط والتضييق الفرنسي على الجمعية يقول أنا لست عدوا للفرد من الأفراد ولا حزب ولا جنس ولا دولة من الدول أنا مسلم، فالإسلامي يتمنى أن أكون عدوا جنس من الأجناس وإنما أنا عدو الظلم والاستبداد وعدو الجهل والجمود من أي فرد أو من أي جنس، أقاوم الظالم ولو كان قريبا مسلما وأنصر المظلوم ولو كان بعيدا غير مسلم"[2] فابن باديس أراد من خلال هذه السيرة السياسية أن يتحاور مع سامة فرنسا ومفكريها ومنورى وأتباع الثورة الفرنسية وناشري الحضارة على حد تعبيرهم وهذا الحوار أساسه مخاطبة العقل والضمير والتفكير بالماضي المليء بالقيم والشعارات السامية وهذا هو السلاح الحاج للضعيف أمام جبروت الاستعمار. وربما هذا الوضع لازال في عالمنا اليوم في هيمنة غلاة الغرب وأصحاب المصالح على العالم الإسلامي.

كما كان ابن باديس يأمل من وراء هذا الأسلوب أن يخفف على الأقل من استغلال المستوطنين وتطرفهم من خلال إيجاد ولو أقراد يناصرونه ضد خصومه.

تجربة الحوار الداخلية:

لقد خاض رجال الإصلاح وفي مقدمتهم ابن باديس تجربة هامة في مجال الحوار الداخلي وهو الأول من خلال نسج علاقات وجسور تعاون مع مختلف التيارات الوطنية لإيجاد أجواء حوار وربما كانت أحسن تجربة لذلك ما كان في المؤتمر الإسلامي سنة 1936 حيث جلس إلى جانب الإدماجي والشيوعي ومد يده إلى كل تيار أو شخصية[3] وفي ذلك قدرة على التعاطي مع الآخر بل هناك من اعتبر العلماء بالجزائر يؤدون دور السياسي الوسطي المحوري[4].

1- أحمد صاري، مرجع سابق، ص42

2- نفسه، ص42.

3- انظر الشيخ البشير مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر د، ت ط، ص 555 وانظر أيضا:

4 - Anne Ray Coldzeiguer, origine de la guerre d'Algérie – 1940-1945 ed,casha, Alger ,2002,p187.

وهذه التجربة في الحوار أسست إلى محطات أخرى قادمة في الحركة الوطنية وساهمت في إنجاحها مثل الحركة البيانية سنة 1943 ثم مختلف المحطات التي كان فيها تعاون مع الشخصيات الوطنية وخاصة مع فرحات عباس.

بناء العقل المحاور:

إن المدرسة الإصلاحية خاضت تجربة نموذجية في التعليم والتهذيب فتجاوزت عدد مدارسها في مراحل معينة 170 مدرسة ولها ثمارا كثيرة في هذا الميدان حتى قال أنور الجندي في شخص ابن باديس "هو الذي يمشي المدارس والمعاهد في طول البلاد وعرضها ثم هو الذي يمضي يومه كاملا في حلقة الدرس.....وإذا خرج من المعهد ذهب رأسا إلى إدارة الشهاب يكتب ويحرر ويراسل البصائر.."[1].

كما قال الدكتور سعد الله حول جمعية العلماء" حسبنا هنا أن ننبه إلى أن جمعية العلماء اهتمت بالإنسان فجعلته هو الهدف في كل تحركاتها خاطبت عقله بالعلم والإصلاح والوطنية وخاطبت عاطفته بالدين والخطابة والتاريخ.[2]

إن هذا الكلام لا نهدف من ورائه الحديث عن التعليم ولكن عن منهج التأسيس لبناء الفرد عقليا وفكريا وتهذيبه[3] حتى يتم تربية ملكة التفكير السليم لدى الإنسان ولعل اجتماع ما كان يكتبه ابن باديس وما كان يمارسه رجال الإصلاح عامة في مجال السياسة والحوار مع مختلف الأطراف يخدم هذا التوجه. ضف إلى ذلك مفعول المدارس يشكل في مجموعة منهجا لبناء عقل مفكر محاور فالصواب طريق تربوي لمخرج إنسان سليم المنطق والتفكير، والحوار هو طريق تنمية الملكة السليمة وحب الحقيقة منذ الصغر وفي معرض حديثه عن عوامل

1- مازن صلاح المطيقاني، مرجع سابق ص 105.
2- نفسه، ص 109.
3 - آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج4، ط1، 1405هـ/1985، دار البعث، مازن صلاح المطيقاني، مرجع سابق ص 47.

النهضة التي محورها الإنسان فقد اشترط أن تراعي أربعة أشياء في الإنسان ويعنى بها وبموجبها هي: الفكر والغرائز والعقائد والأعمال ووضح كيف تقاوم الظاهر الشريرة في هذه الغرائز وتنمي مظاهر الخير[1] وقد قيل أن قطبين موجودين في الإنسان هي حب الخير والجمال وبغض الشر والقبح والإنسان يكيف نقده للأشياء بناء على ذلك وعلى هيئات التربية والتوجيه تنمية هذه الملكة، ويمكن أن نضع قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في صميم غرس الروح النقدية لدى الأفراد منذ الصغر فهي أحسن وسيلة للوصول لهذا الهدف لأنها ترسخ القيم الأخلاقية وتجعله يخضع الأحداث والأفكار لها ويصبح أكثر إحساسا بمسؤولية عن أفكاره ومواقفه.[2]

فهذا المنهج الإصلاحي التربوي التعليمي من قبل الجمعية المتزج بالمحاضرات والصحافة والمرحال والحوار يمشي جنبا بجنباوز بفكره حدود القرية والأنا إلى قابلية التواصل مع الآخر ومعرفته وكذلك تبني أفكار سليمة والفكر السليم هو الذي يقبل أن يحترم بين جنسه من أي حضارة أو عرق أو ديانة ويبتعد عن الصدامية والهيمنة والاستبداد الذي وقع فيه الاستعمار.

اللغة أداة حوار مع الآخر:

رغم أن الإصلاحيين كانوا في غالبيتهم معربين فإنهم كانوا مقتنعين بأن أحادية اللغة لا تجلب لهم معرفة الآخر أو التعامل معه ورغم أن الفرنسية لغة العدو، فأنهم لم يظهروا بأنهم خصوم اللغة الفرنسية، فعلا يتكرون تعليم الفرنسية لوحدها ولكن لا يمانعون في ازدواجية التعليم ولذلك راحوا يعلنون صراحة الانفتاح على الثقافة الأخرى وهذا مما عبر عنه ابن باديس سنة 1926 توجد في هذه البلاد لغتان شقيقتان على شاكلة الأخوة والوحدة[3] الضرورية

1- الآثار، ج 4، ص 45.

2- عبد الحميد جباري، تربية روح الإبداع "التضامن، ذو الحجة 1415 جوان 1995.ص ص 46، 47.

3- علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامي في الجزائر، دار الحكمة، ط1 د ت ط، ص 84.

لأولئك الذين ينطقون بها.... أنها العربية والفرنسية وفي مقام آخر" يعلم قراؤنا بأننا لم نكف عن الإعلان في كل مناسبة بأن التعليم العربي والفرنسي ضرورة حيوية بالنسبة إلى الجزائريين ولهذا سندعم كل جهد ومبادرة لصالح هذا التعليم لمصلحة الجاليين"[1]، وللعقبي أيضا نفس المواقف في هذا الصدد ولهذا كان هذا التوجه قائما لدى رجال الإصلاح من باب معرفة اللغة ومعرفة الآخر والتواصل مع الحضارة الحديثة وكان لا يفوت الشهاب فرصة إلا وتدعو إلى التعاطي مع العلوم الدنيوية وهذا طبعا باللغة الأجنبية فضلا عن اللغة العربية ولهذا كانوا يطالبون فرنسا بتعليم أبنائهم في المدارس الحديثة الفرنسية والعربية.

التسامح والبعد الإنساني:

يقال أن الحركة الإصلاحية الجزائرية تأثرت بشكل كبير بما يجري في المشرق العربي وتياراتها المختلفة وخاصة محمد عبده ورشيد رضا بما حملوا من نزعة التسامح والإنسانية والانفتاح على العالم الحديث، حقيقة قد يكون في ذلك شيء من الصحة فضلا عن طبيعة الإسلام الذي يفرضهذا المبدأ(التسامح مع الإنسانية) ولكن هذا التعايش كان يمكن أن يكون في الحالات الطبيعية، أما حال الجزائر حينها فكانت النظرة للمعمرين على أنهم مسلطين بالقوة ورغم ذلك فالعداء لهم ليس من باب الجنس أو الدين (مسيحيين أو يهود) وإنما من باب الاغتصاب للأرض ودار الإسلام (الوطن) وبنفس القياس في التعامل مع الديانة المسيحية بالجزائر فإن رجال الإصلاح يكنون لها الاحترام ولكن لارتباطها بشبهة العلاقة مع الاستعمار فإن تزكيتها بشكل مطلق وصريح هي تزكية للاستعمار والمستوطنين، كما أن نشاطهم التبشيري كثيرا ما كان يزعج رجال الإصلاح وخاصة في منطقة القبائل[2] ورغم ذلك فأن ابن باديس كان يقول أن الأديان جميعا تستحق الاحترام[3] وفي مقام آخر أن خدمة البشرية

1- نفسه.
2- نفسه ص55، 56.
3- نفسه.

بصنوفها العرقي والجغرافي والثقافي والفكري هي ما نروم ونبغي"[1]. وهذا المنهج كان ابن باديس يحاول ترجمته بالقدوة الحسنة لأتباعه وغرس روح التسامح فيهم.

وهذا التكوين الحضاري جعل ابن باديس له بعدا إنسانيا في منهجه الفكري حيث يقول "إن خدمة الإنسانية في جميع شعوبها والخدب عليها في جميع أوطانها، احترامها في جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها، هو ماتقصده ونرمي إليه ونعمل على تربيتها وتربية من إلينا عليه.[2] وقد انطلق ابن باديس في هذا من روح الإسلام "كلكم لآدم وآدم من تراب "في نشر المحبة والتسامح بين البشر وقوام ذلك العدل والإنصاف والاحترام وقد دون ذلك في جريدة الشهاب "... أنا زارع محبة ولكن على أساس الإنصاف والعدل والاحترام، مع كل أحد من أي جنس كان ومن أي دين، فاعملوا للأخوة مع من يعمل للأخوة. فبذلك تكون الأخوة صادقة"[3].

إن الرؤية المتدرجة عند ابن باديس من الوطن إلى بلاد العروبة فالدائرة الإسلامية فالإنسانية جعل لديه نظرة متكاملة إذا ما ساد الحب حيث أصدر في أول عدد من صحيفته المنتقد"... إننا نحب الإنسانية ونعتبرها كلا ونحب وطنا ونعتبره منها جزءا ونحب من يحب الإنسانية ويخدمها ونبغض مبغضها ويظلمها وبالأحرى، نحب من يحب وطنا ويخدمه، ونبغض من يبغضه ويظلمه"[4].

ومن خلال ما سبق ذكره فإن المحضر في مفهوم الحركة الإصلاحية هو ممارسة وأن الشعارات والقيم لا تقبلها الشعوب إلا إذا وجدت طريقا إلى التطبيق، وهذا الخطاب كان موجها للاستعمار بالدرجة الأولى وهذا الأخير

1- علي مراد، المرجع سابق، ص ص55، 56.
2- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985، ص 104.
3- نفسه، ص 103.
4- نفسه. وانظر أيضا المنتقد ع 1، أوت 1949.

بتجاهله للقيم وضروب الحوار والاحترام المتبادل أفرز الصدام بين أصحاب الحقوق أي الشعوب المستعمرة وأصحاب اللغة المزدوجة: الشعارات والقوة.

كما أن ثقافة الحوار هي عملية بناء تربوي بالتعلم، واكتساب اللغة وبناء العقل المفكر المبدع، وقبول الآخر شريك الوطن أو الإنسانية.

المحور الرابع

حول الثورة التحريرية

محمد الصالح الصديق والثورة التحريرية

وقفة مع دراسة هذه الشخصية:

محمد الصالح الصديق من مواليد 19ديسمبر 1925 في قرية أبي زار، بدائرة العزازقة حاليا ولايزال على قيد الحياة وقد تناولنا هذه الشخصية لما خلفه من إرادة قوية في تحدي الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية الموجودة خلال الفترة الاستعمارية. والتي تزامنت مع مرحلة تكوين شخصيته وطنيا وعلميا وفكريا.

بل كانت له بصمات مستمرة بالقلم والممارسة في العمل الوطني خلال الثورة وما بعدها، فرغم الاضطهاد الاستعماري والحاجة المادية الماسة فلم يكن ذلك حائلا دون أهدافه في مواصلة الدراسة أو الانتقال إلى تونس أو الانخراط في العمل الثوري الوطني وتحدي الصعاب.

إن الكتابة عن الأحياء لها وجهين: الأول أنها عامل مؤثر بالسلب أو الإيجاب في تناول أعماله ومواقفه وما يلحق ذلك من مدح أو ذم. والثاني: هي فرصته تكريم لإظهار هذه الأعمال والمواقف في حياتهم وهي أدنى تكريم يقدم له في حياته، كما يمكن إثراء الموضوع المتناول من خلال إثارته وترك الأقلام تزيد إيضاحا سواء من قبل المعني أو غيره.

ولكن الذي شدني للكتابة عن هذا الرجل هي الإرادة القوية والهمم الكبير والإقبال اللامتناهي على الكتابة، فهذا القلم السيال الذي لم ينقطع مدة نعومة

أظافره إلى اليوم حتى صار لوحده مكتبة قائمة بذاتها تجاوزت المائة كتاب[1].
وهو الذي قال... وسنظل مادام فينا عرق ينبض بالحياة، نجاهد بالكلمة الصادقة، مستمدين القوة والمعونة من الله تعالى، ولن يخيب الله أبدا من استعان به واعتمد عليه[2].

وبالتالي فإنه جدير بالذكر بالدراسة والاهتمام واستعراض مسيرة هذا المثقف مع القلم والكتابة والأحداث الوطنية، وما هي الكوامن التي وفرت له هذه الطاقة الخلاقة من الجهد والكتابة والأفكار؟ إننا أيضا نحتاج إلى قراءة في كتاباته وأفكاره ومدى تماهيها مع التطور الاجتماعي والسياسي والثقافي للجزائر مع أنه ليس في مقدور أمثالنا من يقيم مثل هؤلاء، فنحن وقفنا خجول أمام ثقل مكتبته ولكنه، من باب إظهار هذه الطاقة العجيبة التي لم تسحق أمام العواصف السياسية والظروف الصعبة التي غالبا ما استحكمت بها الكثير.

إنه من الشخصيات القلائل التي أعادت القراءة في القول الذي يسري عن المغاربة والجزائريين بأنهم لا يكتبون وأن قلمهم جاف وحذرين في الكتابة وإصدار الأحكام[3].

كما أنه بالموازاة لم يقصر في المساهمة في العمل الوطني سواء قبل الثورة أو أثناءها، فهو الوجه الآخر من صورة المثقف الجزائري الذي وازن بين التطير بأفكاره ومحاكاة التطور السياسي والاجتماعي لوطنه وخاصة خلال المرحلة الحرجة (الثورة) كما أنه يعود من جديد إلى الدور المنوط به في عالم الأفكار والكتابة والتأريخ للأحداث، وتقديم الشهادات التي عاشها داخل الوطن

1- ففي مقابلة شخصية معه في سنة 2009 كان له من الكتب (101 كتاب) وقد ينهي أنه وصل إلى (104 كتاب).
2- محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، ج 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 16.
3- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء، القسم الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص 44.

وخارجه في محاولة لإكمال مسيرته الأولى وتكوين الذاكرة الوطنية من خلال هذه الكتابات التي تنوعت بين الأدب والشعر والمذكرات والتاريخ والمواقف...وهذا العمل الجبار كان يجري في عمومه بعيدا عن الأضواء وحب الظهور وطلب التموقع الوظيفي أو الكسب.

المشارب الثقافية والعلمية:

لقد نشأ هذا الرجل في بيئة علمية محافظة، توارثت العلم والتدريس، ولذلك فيمكن القول أنه الحافظ ابن الحافظ بن الحافظ للقرآن الكريم[1]، فهذه النشأة في وسط ديني محافظ معلم كان دافعا له على أن يكون الشعلة الوضاءة في العائلة وإضافة فيها واستمرار لها ويبدوا أن والده محمد البشير[2] الذي لم يكمل دراسته بتونس وعرف قيمة هذه الحاضرة العلمية أراد أن لا يحرم ابنه من أن ينهل منها فشجعه وكلف نفسه على إيفاده إلى تونس للدراسة في الزيتونة حتى يزداد علما ويختلط مع جهابذة الإصلاح.

وبالتالي فهذا البيت في عائلة متفقهة ومجاهدة[3] له أثر بالغ في تكوين محمد الصالح الصديق، فتوفرت له البيئة المناسبة المشجعة على العلم، وتواقة لإصلاح الأوضاع، وتألم لحال الوطن تحت كنف الاستعمار وبالتالي فهي تحمل العائلة هموم الإصلاح والنهضة بالوطن والعمل له بما يناسب وكل مرحلة فتارة بالتدريس وغرس الهوية الوطنية، وأخرى بالجهاد في وجه العدو، وأخرى بالقلم والكتابة ويشحذ الهمم وهي صفاة قلما تجتمع في شخص،

1- أحمد الصالح الصديق بن محمد البشير بن محمد السعيد وكلهم من حفظة القرآن ومارسوا الإمامة والتدريس للعلوم الشرعية والعربية بمنطقة القبائل الكبرى.
2- ابن مواليد 1888 بقرية اسكرين وتوفي في 1968.
3- كان جده الشريف الاقليسي (من جهة أمه) فقيها وعصاميا، وشقيقه الطيب من أبطال ثورة المقراني والشيخ الحداد، وتوفي بسجن الحراش على أيدي الاستعمار.

كما أن ظروف النهضة التي كانت تعيشها الجزائر كان محمد الصالح وعائلته على صلة بها، فأبوه كان من المواظبين لمصفح الشهاب والبصائر ومعجبا بأفكارهما. وبالتالي فإن الفكر الإصلاحي هو الذي احتضن الرجل منذ سن مبكرة، وجعله يطلع على مختلف الصحف الإصلاحية[1] وهي تدل على التعلق بأفكار النهضة والتطور بأفكار جديدة، والاطلاع على ما يدور في العالم الإسلامي ورواد الإصلاح.

كما أن والده الذي حرص على تحفيظه القرآن الكريم وهو في سن التاسعة من عمره، وفي هذه السنة بالذات أخذه معه للعاصمة والتقى مع توفيق المدني والطيب العقبي، وعبد الحميد بن باديس[2]، وما أبدوه من إعجاب به، كل هذه العالم التي غرست في ذهن الشاب رافعت من همته في سن مبكرة وتعلقه بالعلم، والكتابة والاصلاح وأراد أن يكون مثلهم، وخاصة أنه امتلك من المؤهلات الشخصية ما يساعده على ذلك، من قوة الحفظ والتلقي وشغفه المزايد للعلم والكتابة وحفظه للقرآن الكريم، وربما هذه الأمور كلها والذاكرة القوية هي التي ساعدته على كتابة الكثير من الكتب المتعلقة بذكرات حياته وعن علاقاته، وهذا بعد أمد كبير[3].

كان انتقاله في سن مبكرة (خمسة عشرة سنة) إلى زاوية عبد الرحمن البلوي ليدرس على أيدي مشايخ لهم صيتهم وعلى رأسهم الشيخ أرزقي الشرفاوي[4] الذي تخرج من مصر، فتلقى عليه علوم اللغة العربية والفقه وهما ساعده على ذلك حفظه السبق لحون اللغة والفقه قبل مجيئه للزاوية، ولذلك أظهر قدرة فائقة بين نظرائه وحظي بإجازات في سن مبكرة وهو ما حمله إلى

1- محمد الصالح الصديق، رسالة في أعماق الثورة مع العقيد أعزوزن (بربروش) دار الحومة، الجزائر، ص 19.
2- كان هذا على إثر رحلة لنادي الترقي برفقة والده.
3- ومن أمثلة ذلك: شخصيات فكرية وأدبية، رسائل مع الزمان، رسالة في أعماق الثورة...
4- أرزقي الشرفاوي، تحصل على شهادة العالمية من الأزهر وهو صهر محمد البشير. للمزيد انظر: محمد الصالح الصديق رسائل مع الزمان، ص 150.

التطلع نحو مزيد من العلم، فأراد التوجه إلى تونس وهي المحطة التي اكتمل فيها تحصيله وبدأت تظهر فيها إبداعاته الأدبية والفكرية، ويختلط فيها برواد النهضة، وأفكار الحركة الوطنية، وانتقل من مرحلة التلقي إلى التأثر، المتج، متأثرا بالظروف الجديدة التي ألمت بالجزائر بعد الحرب العالمية الثانية فكان متفاعلا معها بالقلم والجوارح والسلوك.

الزيتونة وتفتق المواهب وبداية العطاء الفكري والوطني:

قبل الحديث عن علاقة الشيخ محمد الصالح الصديق بالزيتونة لابد من وضع السياق الذي ربط بين المثقف الجزائري والزيتونة التي كانت قبلة لطالبي العلم في الجزائر، ويمكن أن نقسم هذه الهجرة الطلابية إلى أربعة مراحل:

1- 1876-1912 وحدها أحد الدارسين للموضوع بمرحلة المخاض وابتدأت بعمر بن مبارك من تبسة وبلغ عدد طلبتها العشرات.

2- 1912-1940 وأطلق عليها بمرحلة الصحوة وضمت ما يفوق764 طالبا.

3- 1941-1956 وهي مرحلة الأوج والتي كان العطاء العلمي فيها كبيرا وتجاوز عدد الشهادات 81 شهادة الأهلية و31 شهادة التحصيل وضمن هذه المرحلة تمت تبعية معهد ابن باديس للزيتونة، كما كان الأستاذ محمد الصالح ضمن هذه الكوكبة من الطلبة.

4- بعد1956 وأطلق عليها مرحلة الحصاد وضمت 560 طالبا حصل منهم 150 على شهادة التحصيل و201 على الأهلية و06 على العالمية[1].

وقد أودنا هذه الإحصائيات والمراحل للوقوف على مكانة الزيتونة في التكوين العام للنخبة الجزائرية والأعداد الهائلة التي تخرجت منها، والجدير بالذكر أن معظم هذه النقلة المتعلمة قد رجع للجزائر وكانت له مساهم فعالة

1- وهي ملاحظة مداخلة قدمها الباحث العوسي سبيب الطالب في الملتقى الدولي حول العلاقات بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس سنة 2018 بجامعة الوادي.

في الحياة التعليمية والفكرية والثقافية بالجزائر وانخرط جلها في العمل الثوري بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ومنهم من تولى العمل السياسي والدعاية والدبلوماسية، وكان حظ مصرجمنا في هذا الجانب

وصل محمد الصالح الصديق إلى الزيتونة في 28 أوت 1946 بعد طول أمل وانتظار من أجل الرخصة الفرنسية لكنه لم يحصل عليها، وسجن في الطريق (تبسة) وتلقى معاناة كبيرة التهمت به في جامع الزيتونة الذي كان يغص بالطلبة الجزائريين الذين قارب عددهم في نهاية الأربعينيات 1200 طالب.

وكان التحاقه بالزيتونة في السنة الدراسية 1946-1947 بدخوله للسنة الثالثة مباشرة بعد امتحان بالكفاءة وفي هذه المرحلة تتلمذ على أيدي مشايخ أجلاء أمثال الجريدي، أحمد حسين، مختار الوزير، محمد بوشربية[1].

وفي هذه المرحلة الدراسية أظهر تفوقه على أقرانه حتى نال شهادة التحصيل والأهلية سنة 1951، وخلال دراسته أنجز تأليف كتاب أدباء التحصيل 1951 وهو في أربعة أجزاء[2]، وهذا العمل هو فاتحة سير جارف من المؤلفات. وقد قال فيه زميله وصديقه عبد الرحمان شيبان "وهب الله للأخ الأستاذ الفاضل محمد الصالح الصديق فكرا فسيحا ولسانا فصيحا وقلما حصيفا وإرادة فعالة في ميادين شتى لا تمل ولا تكل فتعدد مساعيه وأثمرت جهوده"[3]

الإنتاج العلمي لمحمد الصالح الصديق:

يعد محمد الصالح الصديق كما أشرنا في البداية ظاهرة متميزة في الكتابة التي بدأها في الزيتونة ولازالت لم تنته إلى اليوم. وتميزت أعماله بفكر موسوعي ومعارف جمة، وهي موزعة على عدة فنون يمكن تصنيفها إلى:

1- رجاء الصديق، أضواء كاشفة على محطات بارزة من حياة الأديب الأستاذ محمد الصالح الصديق، تصدير عبد الرحمان شيبان، وتقديم أحمد بن نعمان، دار الأمة 2007، ص 165، وهذا الكتاب كله هو تشخيص لي كهدية في يمه.

2- نفسه.

3- نفسه.

أ –كتب تتعلق بالأعلام والعلماء والشخصيات وهي تربوا عن 14 كتابا.
ب –كتب تتعلق بالأدب والحياة والخواطر وعددها حوالي 50 كتابا.
ج –كتب تتعلق بالدين (الأخلاق والعبادات، الإيمان، السير، روائع الإسلام، التفسير، العقيدة، الاجتهاد والتجديد، ...) وتجاوز عددها 56 كتابا.
د –كتب تتعلق بالثورة الجزائرية، أعلام المغرب العربي، وتجاوزت العشرين كتابا.
و– الآلاف من المقالات التي نشرت في الصحف والمجلات داخل الوطن وخارجه مثل شهاب إلى اليوم (مجلة الطالب الزيتوني، وحي الشباب، (تونس) وفي الجزائر كتب في الأصالة، الثقافة، أول نوفمبر، النصر، البصائر، العصر، الشروق، ونشر في صحف ليبية أيضا: طرابلس الغرب، الطليعة، الليبي، الميدان، الرائد، فزان ومجلة الإذاعة[1].

نضاله الفكري والاصلاحي:

إن التكوين الذي تلقاه في صغره وجرائد الإصلاح التي كانت تعمر البيت، ووالده الذي كان على خلطة بعلماء الإصلاح ورجال حزب الشعب، وما تشبع به من روح وطنية وأفكار خلال تواجده بتونس ولذلك لما عاد للوطن كان المجدي الأكبر أمامه هو نقل هذه المعرفة والفكر إلى أبناء وطنه مؤكدا أن طلب العلم هو أوجب الفرائض.

وعرف أن شعبه يحتاج إليه كثيرا في هذه المرحلة لرفع ظلمة الأمية، وغرس العقيدة والأفكار الوطنية ومحاربة الدجل الطرقي، وأن التعليم في هذه المرحلة هو واجب الوقت فكانت له جهود جبارة في إصلاح مناهج الزاوية البلولية وتحديث وتنويع دروس العلم، واستحداث المحاضرات العامة لغرس الوطنية،

1- محمد الصالح الصديق، رحلتي مع الزمان، المصدر سابق، ص 452.

وتوضيح المفاهيم الغامضة، وتنوير الرأي العام وتهذيب الأخلاق، والشعور بالعزة، والانتماء العربي الإسلامي[1].

وبعث الأمل والحياة في الناشئة أمام طغيان الاستعمار، وكان يعتبر أن هذا العمل هو صميم الجهاد في هذه المرحلة، فبعث في المنطقة الحيوية وتعاون مع غيره في المجاز هذا المشروع التعليمي رغم الصاعب الجمة ولكنه تكيف مع الظروف، ونظرا لكون والده كان على علاقة بمناضلي حزب الشعب، فكان محمد الصالح الصديق على صلة بهم أيضا، ويحضرون مجالسه ليحدثهم عن الفكر الإسلامي، وعن التحرر، وعن تاريخ الجزائر، وكان دائما يبدي إعجابه بما تقدمه جمعية العلماء، وحزب الشعب، وكانوا كثيري التردد عليه وطرح الأسئلة عليه، وفي لقاء له مع عمار أوعمران قال له إن الحرية لا توهب، بل تؤخذ بقوة الإيمان والكفاح والاستعداد والسلاح[2].

وظل عمل محمد الصالح الصديق يحمل في الزاوية ولكنه أيضا يلقن الوطنية وشرعية الكفاح والإعداد المادي والمعنوي، ونشر الوعي، ويشير أنه جمعته عدة لقاءات مع قادة الحركة الوطنية وعلى رأسهم عمر أوعمران، وعمار بن عودة[3]، اللذان حادثاه في قضية رفع السلاح في وجه المحل كما ذكرت سابقا.

الرحلة الكبرى من العلم إلى العمل الثوري:

إن الحديث عن النخبة المثقفة هو ذاته بحث في علم السياسة وعلم الاجتماع والتطور السوسيولوجي لأنه يربط بين تطور النخبة وظاهرة التغير

1- نفسه، ص 800.

2- محمد الصالح الصديق، رحلتي مع الزمان، المصدر سابق، ص 808.

3- عمار بن عودة، ابن مواليد 1925 بعنابة، انخرط في الكشافة، ثم حزب الشعب، ثم المنظمة الخاصة سنة 1947، وفر من السجن سنة 1947، وهو من أعضاء لجنة 22 المفجرة للثورة مارس عدة نشاطات في تونس، وليبيا ضمن الثورة وشارك في مفاوضات إيكيان، انظر: مقلاتي عبد الله، قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط1، منشورات بلوتو، الجزائر 2009، ص 107، 108.

الاجتماعي والسياسي وهناك من قال: أن تطور النخبة السياسية والعلمية في الجزائر كان أحد العوامل الرئيسية التي أوجدت ظاهرة الثورة وما انعكست به على المنطقة كلها،[1] كما أن النخبة المثقفة التي شاركت في الثورة كانت لها مساهمة في مسار الأجيال للمجتمع الجزائري من خلال السلطة التي صنعت توجهات الدولة والمجتمع أو التكوين الثقافي والفكري والتربية المستمرة لأبناء المجتمع، ونعتقد أن محمد الصالح الصديق ممن كانت له مساهمة في هذا المسار الأخير بشكل واضح.

إنها الرحلة التي تشكل الانتقال من عالم الدرس والقلم والمحاضرة والتنظير إلى عالم التنظيم والترحال واليقظة والسلاح، إنها تبدو صعبة وغريبة، ولكن المتمعن في التكوين الشخصي له فإنه ليس من ذوي الدعة والرفة ورغد العيش بل عانى من قساوة الحياة والجوع والغربة، واصطلاء الفكر والاغتراب عن الوطن بفعل ممارسات المستعمر ولذلك كان متجاوبا منذ الوهلة الأولى مع اندلاع الثورة فهيأ نفسه على مزيد من الاحتشوشان والصعاب والمخاطر واستقر على أن واجب التدريس قد تحول إلى واجب الجهاد. فكانت له رحلة جديدة مع الثورة بسقط رأسه ومكان عمله ثم انتقاله عبر وهران وباريس إلى تونس وليبيا وظل في جبهات التنظيم والدعاية والوساطة والدبلوماسية حتى الاستقلال، فكان له البلاء الحسن لأن علمه وسعة صدره وصبره أهله لذلك.

إنها فعلا رحلة المثقف إلى الثورة، وهي ظاهرة عامة لدى الثورات ولكن أن ينتقل مدرس وكاتب إلى جبهة السلاح والتنظيم والدبلوماسية العسكرية دون مراحل فذلك الأصعب، كما أن الثورة الجزائرية اخترطت فيها جميع فئات المجتمع في لحظة تحول تاريخي وفرضت على الجميع أن يمكون في الميدان وكل في المهمة التي أوكلت إليه، كما أن المخاض الذي كانت الحركة الوطنية تحوضه من أحزاب وإصلاح وتعليم وتوعية كان الرافد الذي هيأ الظروف والنفوس

1- عامر مصباح، البيوغ العزير، أضواء كاشفة على محطات بارزة من سيرة الأديب الأستاذ محمد الصالح الصديق، مرجع سابق، ص 210.

كي تتجاوب مع الثورة كل من موقعه، ولعل معرجها كان أقرب الناس إلى هذا الأمر ولذلك كان زعماء الحركة الوطنية يترددون عليه بل ويقاتحونه في هذا الموضوع وكان تحميسهم صائبا، باخراطه في العنفوان الثوري.

الانخراط في العمل الثوري:

لقد كانت علاقاته جد مبكرة مع البيار الذي يحضر للثورة ثم تولى قيادتها بالمنطقة، ومنهم عمر أوعمران كما ذكرنا سابقا، ومحمد أعزورن كذلك. وبالموازاة يواصل نشاطه الإصلاحي ويحث على الدعوة والجهاد في كل فرصة تسمح له، وكان والده على اتصال بهذه الشخصيات ومنهم محمد أعزورن الذي التقى به محمد الصالح الصديق عند والده في 30 أكتوبر 1954 وكان الحديث عن الثورة، وسأل معرجها عن تاريخها فأجابه الأول أنها آتية وأن حالها مثل قيام الساعة، وكان رد محمد الصالح: لقيام الساعة علامات.[1] ويدل هذا أن الجميع كانوا على تداعم بأن موعد الثورة قد حان، وأن محمد الصالح كان على استعداد لأداء دوره، وكان من أولى المهام التي تولاها. القيام بمهمة جمع السلاح والمال: وداامت هذه المهمة من بداية الثورة إلى سنة 1956 وسهل له هذا العمل علاقاته مع السكان وأخلاقه ومصداقيته، فيقنع الناس بالعطاء المالي أو تقديم السلاح، وفي نفس الوقت يواصل مهمته التعليمية ويقدم الدروس للمجاهدين[2] حاثا إياهم على الثبات، والوحدة وتقديم روائع التاريخ الإسلامي في الجهاد، وقيمة الجاهد عند ربه، شارحا لهم آيات الجهاد والاعداد والثبات ووعد الجنة، وكانت زاويته (عبد الرحمن اليلولي). مكانا للتدريس وحث على الجهاد، ومركزا للقاء قادة الثورة، وتخرج من هذه الزاوية أكثر من ألف طالب من الخراط في الثورة كل حسب موقعه، من مناطق مختلفة من الوطن.

1- محمد الصالح الصديق، رحلة في أعماق الثورة، مصدر سابق، ص 56.
2- محمد الصالح الصديق، السراج المنير، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 294.

ولم يكتف بجهده الخاص بل حمل نفسه على إقناع النخبة المثقفة ممن يعرفهم بشرعية الثورة، أو مفاتحتهم بالحديث عن الثورة ليعرف مواقفهم، ومدى قابليتهم الانخراط فيها ومن هؤلاء باعزيز بن عمر، الشيخ أحمد حسين[1]، إبراهيم بوسحاقي[2]، ومحمد الأخضر السائحي[3]. ومحمد كعو. وفي هذا المضمار وعن طريقة عمله يقول أن القيادة الثورية للولاية الثالثة التي كان على رأسها كريم بلقاسم، ومحمدي السعيد، ومحمد اعزوزن أرسلته إلى العاصمة بعد سنة أشهر للاتصال ببعض المثقفين ومعرفة مواقفهم وقابليتهم للعمل مع الثورة وخاصة الذين يتحدرون من منطقة القبائل. ويذكر أنه كان يعتمد على جس النبض لمحدثه أولا حسب تعليمات القيادة من خلال ذكر الثورة بالنقد والطعن لمعرفة رد الفعل[4]. حتى لا تكون مغامرة غير محسوبة، فإذا وجد تجاوبا مع الثورة تفتح الموضوع. وبهذه الطريقة انظم الكثير ممن ذكرناهم أو لم نذكر للثورة ، ونعتقد أنها كانت طريقة ناجحة في استدراج النخبة المثقفة من خلال توظيف عناصرها الفاعلة والتي تتمتع بمصداقية وجعلها تندمج في الثورة بشكل يؤمن حمايتها ويجنب الثورة الكثير من المزالق.

إلا أن كثرة تحركاته ومراقبة السلطات الفرنسية فاستطقته عدة مرات وحمل هذا الاشتغال لقيادة الثورة طالبا منهم الالتحاق بالجبل، ولكن قرار القيادة وعلى رأسهم كريم بلقاسم، كان بالخروج من الوطن عبر باريس نحو تونس، وأعطيت له بطاقة شخص آخر ليسهل تحركاته[5].

1- محمد الصالح الصديق، رسليق مع الزمان، مصدر سابق، ص 101، 102.
2- نفسه، ص 000
3- من مواليد 1918بقرت، والذي اشتهر بأشعاره.
4- محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل ، مرجع سابق، ص 191.
5- قيل أنه استعمل بطاقة هوية لشخص عميل فعلته الثورة.

وكانت هذه الرحلة عبر وهران ثم باريس حيث كانت قيادة الثورة هيئات له كل الظروف للإقامة ثم الانتقال نحو تونس وكانت رحلة تحفها المخاطر الكثيرة[1].

تونس حاضنة العلم والجهاد:

كانت قيادة الثورة في تونس وعلى رأسها علي محساس استقبلت محمد الصالح الصديق[2] وعينه مع فريق تحرير جريدة المقاوم مع عبد الرحمان شيبان، وعبد الله شريط، وإبراهيم مزهودي والنص الفرنسي من طرف عبد الرزاق شنوف، والدكتور فرانس فانون[3]، وكانت فرصت جديدة له ليجعل قلمه السيال يذهب عطاء وكانت جريدة المقاومة الحقل المخصب له فكانت تونس ثانية مكانا له ولكنه في خضم العمل السياسي والفوري وبين ثلة من أبناء منطقته ووطنه وزملائه القدامى في الزيتونة. مستحضرا كل ما في جعبته لأداء رسالة الجهاد بالقلم والتوجيه، وظل على هذا المنوال لمدة سنة كاملة ليحال إلى مهمة أخرى.

المثقف يتحول إلى المرشد السياسي في الجبهة الأمامية بغزان الليبية:

ارتأت قيادة الثورة أن توجه فيلقا عسكريا إلى الجنوب الغربي الليبي (فزان) لشن هجومات عسكرية على فرنسا داخل الجزائر بقيادة الرائد "أيدير" والمرشد السياسي محمد الصالح الصديق على رأس قوة عسكرية قوامها 600 جندي[4].

وظل يؤدي هذه المهمة من محاضرات، ورفع للمعنويات ورفع للتقارير للقيادة في تونس لمدة خمسة أشهر، وفي نفس الوقت لم يفارقه قلم الكتابة والتأليف ورغم الخلاف مع ليبيا نظرا للضغط الذي مارسه فرنسا على ليبيا من أجل إيقاف العمليات العسكرية على فرنسا من أجل إيقاف العمليات العسكرية على فرنسا

1- علي بن هاشم، رائد العلم والجهاد والتضحية، أضواء كاشفة على محطات بارزة من سيرة الأديب الأستاذ، محمد الصالح الصديق، مرجع سابق، ص 192، 193.
2- قيل أن الذي التقاه عند نزوله بمونس أبو محمد المشريف.
3- علي بن هاشم، مرجع سابق، ص 193.
4- علي بن هاشم، المرجع السابق، ص 194 وهناك من ذكر 100 جندي.

فإن مرجعها استطاع مع زملائه إقناع الوفد الليبي بقيادة العميد عبد الرحمان بادي المصراتي على استمرار التعاون الليبي الجزائري والبقاء في منطقة غزان.

المحطة الكبرى لمسيرته في الثورة بليبيا:

بعد أن عاد من غزان إلى العاصمة تونس طلبت منه قيادة الثورة التوجه إلى طرابلس في جانفي1958[1] في مهمة مسؤول الدعاية والإعلام لدى مكتب الثورة التحريرية بطرابلس وقد اختير لهذه المهمة لما رأوه فيه من قلم سيال، وخطيب مفوه، وحرص على المعلومة ودقتها وتوثيقها والالتزام على المهمة الموكلة إليه والرجل المقتدر بالوقت الذي يملك قوة اللغة والذوق الفني وكيف لا وهو الأديب البارع منذ نعومة أظافره وزاده صقلا في العقل والفكر حب الوطن والعلم. فكان توجيهه لهذه المهمة نعم الاختيار. فقد أبلى واجتهد في القيام بالمسؤوليات المنوطة به من خلال الدعاية المستمرة لصالح الثورة: المقالات الحادة على مختلف الجرائد، الحصص المسموعة في صوت الجزائر بإذاعة ليبيا، الاتصال إلى العواصم العربية والاتصال بزعمائها، الدعاية والتحسيس بضرورة التضامن مع الثورة الجزائرية من جميع المال والسلاح[2].

وقيل أن العقيد أوعمران عمار صاحبه إلى مكان عمله بليبيا وقد أعجب به الصحافي الليبي الذي هو الآخر سخر قلمه لصالح الثورة الجزائرية الطاهر نعاس الذي كان على صلة قوية بالأستاذ محمد الصالح الصديق وقال عنه "كان معنا في ليبيا يناضل بالكلمة، ويعرف بواقع المعركة الجهادية بالجزائر، ويشرح أهداف هذا الجهاد... عرفته شعلة من النشاط والحركة... ورأيته وسط إخوته الجزائريين والليبيين مثلا حيا للعمل الهادف والآمال الطموحة والرؤى المشرقة الرائعة... كانت كل الظروف من حولهم تهبط من الهمم وتوهي من العزائم،

1- نفسه، ص 194.
2- علي بن فانم، المرجع السابق ص 194.

لكنهم كانوا فوق كل الظروف الرديئة وفوق كل الأوضاع الفاسدة، ولا يرون بديلا للحق ولا مساومة على الاستقلال والحرية"[1].

وفي ليبيا كانت له جولة وصوله في العطاء لجهادي الفكري والقلمي متمثلا في عدة أوجه.

1- العمل الإذاعي: الذي كان يؤديه في صوت الجزائر[2] ثلاث مرات في الأسبوع ولمدة نصف ساعة راقيا للمهم، وفاضحا للسياسة الاستعمارية ومعارضا انتصارات جيش التحرير، وشارحا مراحل الجهاد للشعب الجزائري الذي لم يستسلم لمد الاحتلال، ورادا على كل تظليل استعماري.

2- اللقاءات العامة والندوات: لقد حاول تعبئة الرأي العام الليبي وكذلك السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي المقيم بطرابلس من خلال الندوات والأيام الدراسية التي أقامها، وعادة ما تكون في المركز الثقافي المصري بطرابلس، وكان لها مفعولها في دعم الثورة ماديا ومعنويا وقد جمع هذه الأعمال في كتابي: "من وحي الثورة الجزائرية" و" الجزائر بين الماضي والحاضر" وهذا يدل على أن هذا الجهد كان مضنيا وطويلا، وكان يشارك الشعب الليبي في احتفالاته أيضا ممثلا لجبهة التحرير الوطني مثل احتفال يوم النصر بمصراته"[3].

3- اللقاء مع الشخصيات والدبلوماسيين: سواء الليبية منها أمثال الهادي المشرقي، ومحمود صبحي، ويوسف هادي الذي تكلم عنه في أكثر من مناسبة ربطته به، وسعد الشريف، وناصف مختار، وهذه الشخصيات لها وزنها في ليبيا

1- الطاهر لعباس، اليسوع القياض، الأستاذ محمد الصالح الصديق، أضواء كاشفة، مرجع سابق، ص 201.

2- محمد الصالح الصديق، الشعب الليبي الشقيف في جهاد الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 140.

3- قيل أن الذي دشن صوت الجزائر هو محمد الصالح الصديق وليس الدكتور لين دبافين كما أدلى بذلك نور عبد القادر.

فكانت له عونا ماديا وفكريا وسياسيا لحساب قضية الجزائر. كما كانت له لقاءات مع بعض الدبلوماسيين العرب مثل السفراء، وكذلك سفير روسيا.

وقد قال عنه محمد الطاهر آيت علجيت أن أحلاله القرآنية جعلت منه لطيف المعشر خفيف الظل كريم النفس، عذب الحديث مما جعله محط الأنظار حينما كان مسؤولا عن الدعاية أثناء الثورة الجزائرية بليبيا، فكان مكتبه يغص بمختلف الطبقات، أناس عاديين وأدباء وعلماء وحكوميين ودبلوماسيين ومسلمين وغير مسلمين ولا يخرج أحد من عنده إلا وهو منشرح الصدر[1].

4- العمل الصحفي: إنه العمل الجبار الذي لا يكل ولا يمل منه وهو الكتابة فهو مهيم بها، فكانت مقالاته لا تنقطع عن جرائد الطليعة، وطرابلس الغرب وظل على هذا المنوال حين نهاية الثورة.

5- التأليف: أثناء إقامته في ليبيا جادت قريحته وقلمه بأربعة كتب أثرى بها المكتبة العربية وهي على التوالي: صور من البطولة، عميروش، من قلب اللهب، الجزائر الماضي والحاضر[2].

6- المساهمة في رعاية الأيتام الجزائريات

وهذا من خلال المركز الذي أقامته الثورة في ليبيا لرعاية بنات الشهداء وكان السيد مادي يوسف قد تكفل بهذه المهمة سنة 1958 وقبل أن عددهن بلغ الثمانين بنت، ومن حين لآخر كانت هدايا الملك السنوسي تَردُ إلى هذا المركز وكان محمد الصالح الصديق ضمن المسقين في هذه الأمور وفي إحدى المرات في ظل غياب رئيس الوفد الجزائري أحمد بودة كان الملك الليبي قد طلب بين فتاتا جزائرية رمزا للرعاية واحتضان أبناء الجزائر، فوافقه محمد الصالح الصديق على ذلك وهو في حيرة من أمره من موقف القيادة، ولكن حسب

1- محمد الطاهر صلجت، أضواء كاشفة على محطات بارزة من حياة الأديب الأستاذ محمد الصالح الصديق، مرجع سابق، ص 217.
2- إسماعيل مهنة، أضواء كاشفة، مرجع سابق، ص 50.

روايته أنها باركت الأمر واعتبرته تصرفا حكيما، وساهم في استمرار الدعم الليبي للثورة وأعجب كريم بلقاسم شخصيا بهذا الموقف[1].

7- خلق روح التواصل بين الشعبين الليبي والجزائري ولم يقتصر هذا على القيادات الرسمية ولكنه خلق أجواء عامة ساهمت في تمسك الشعب الليبي بالدعم للجزائر بكل القوى المتاحة، المال، وجلب السلاح، وربما البلد الأكثر الذي كانت بلاده مفتوحة للتنقل وجلب السلاح والمال دون حرج رغم الضغوط الممارسة. كما تجلى في موقف الملك ادريس السنوسي الداعم باستمرار وقد قال أثناء لقائه مع لبن دباغين وأحمد توفيق المدني في 1956 أن جهاد الجزائر هو جهاد الشعب الليبي وأنه جهاد إسلامي ومن تخلف عنه فقد خان الله ورسوله وأن الأمر يعني الشعب الليبي وحكومته[2].

كما كان لرئيس الحكومة الليبية مصطفى بن حليم موقف غير مفرده تجاه الثورة الجزائرية وفتح أراضيه أمام تدفق السلاح وعبور الشخصيات القيادية للثورة وأعطى الأوامر لقادة الجيش بتسهيل ذلك، وأدلى أنه في خدمة كل طلبات الثورة أو الوسط لشراء السلاح أو أي مسعى دبلوماسي. وفعلا فقد كانت ليبيا أرضا ومطارات وموانئ مفتوحة أمام خدمة الثورة وقادتها ومكانا لعقد جلسات ولقاءات لقادة الثورة أو مجلسها الوطني[3].

وظل الأسعاد محمد الصالح بليبيا لغاية الاستقلال وقيل أنه تأسف لنتائج مؤتمر طرابلس، كما طلبت منه القيادة البقاء هناك لمواصلة عمله الإعلامي والتواصل مع الليبيين لما له من علاقات مع زعماء ليبيا ومثقفيها، فمكث هناك منه أشهر ودخل الجزائر في 1963.

1- كان اسم هذه البنت حقيبة وأطلق عليها الملك اسم سلمى وكبرت وزوجها الملك.
2- رحيلة هادر، الثورة الجزائرية والمغرب العربي، المصادر، ع 01، 1419 /1999، ص104.
3- رحيلة هادر، المرجع سابق، ص 105..

دور الجنوب الجزائري
في الدعم العسكري للثورة

مقدمة

شكل الجنوب الجزائري حلقة هامة في تأمين السلاح عند اندلاع الثورة وكان الظهير القوي بعتاده ومقاتليه وأعيانه لها، وقدم الدعم المالي والعيني للثورة وكان للجنوب ردة فعل قوية اتجاه مشروع فصل الصحراء من خلال إنشاء مراكز الاتصال على طول الحدود الجنوبية والجنوبية الشرقية والغربية والمساهمة في مهاجمة المنشآت النفطية والقواعد العسكرية الفرنسية، وخنق مراكز تموين على حدود مالي والنيجر. مما وسع الدائرة على الاستعمار عسكريا، وأوجد بدائل للتموين بالسلاح، وأعطى البعد الوطني للثورة وفي نفس الوقت أربك الاستعمار في التوفيق بين تطويق الثورة ومشاريعه الاقتصادية.

وكثير من الكتابات التي ركزت على الشمال أثناء الثورة التحريرية وهو أمر بديهي وواقعي. ولكن من تمام الصورة الكاملة للثورة التحريرية لابد من إظهار موقع الجنوب منها، وتصور المخاطر المترتبة عن أي نشاط ثوري في منطقة صحراوية صعبة المسالك متباعدة المناطق العمرانية مكشوفة للعدو مع صعوبة التنسيق ومحدودية الإمكانيات. ومن خلال هذا العمل نود أن نبرز بعض الجوانب من المهمة من مساهمة الجنوب وخاصة حضور منطقة الجنوب في الدعم المعنوي والمادي الفوري قبل 1954، إضافة إلى الدعم اللوجيستي، وأعباء التنسيق مع الخارج والمساهمة القيادية للجنوب في الثورة.

ونعتقد أن الإحاطة بهذه النقاط يتطلب منا استنطاق عدد من المصادر التي أشارت للموضوع والوقوف على الكثير من أعمال القيادات الميدانية في الثورة، واستنطاق بعض الأوراق الأرشيفية واستغلال بعض الشهادات المعاصرة.

دور العلماء ومثقفي وأعيان الجنوب في الثورة:

بحيث أن عدد العلماء والمثقفين الذين ينتمون إلى منطقة هيقة من الجنوب الشرقي والمنطقة الوسطى للجنوب (بسكرة، أمدوكال، وادي سوف، المسيلة، الجلفة غرداية، الأغواط) والذين شاركوا في العمل الثوري وانخرطوا فيه بشكل أو بآخر حسب أحد الذين شاركوا في الثورة وكتبوا عليها فيما بعد بلغ عددهم إحصا 502 عالما ومثقف[1].

ونعتقد أن هذا العدد يعبر عن جانب مهم من توظيف الثورة لأهل العلم والمثقفين في إعطاء الدفع المعنوي والمادي والتعبوي للثورة، فهؤلاء كان منهم الضابط والكاتب والإعلامي والمنسق والإداري... وبالتالي هم الهيكل العسكري والسياسي للثورة.فضلا على أنه من خلال هؤلاء تم تعبئة المجتمع بكل قواه المادية والمعنوية للانخراط في العمل الثوري ، وخاصة أن طبيعة المجتمع الجنوبي المحافظ كان يعتمد العلماء هم كبار القوم في الحل والعقد والنزاع، والاحتكام إليهم في قضاياهم الدينية والدنيوية.

وكان لمشايخ المنطقة دور فعال في وأد المشروع الفرنسي القاضي بفصل الصحراء وإبقاء الثورة وهي في أحلك مراحلها. وكانت أكبر محاولة لفرنسا في هذا الباب تكليف العميل الشيخ حمزة بوبكر رئيس المجلس العام بعمالة الواحات الاتصال بشيوخ المنطقة منذ 1959 في كل من ورقلة والعاصمة لإقناعهم بجدوى فصل الصحراء ولكن شيوخ وأعيان الصحراء أعرضوا عن المشروع والإغراءات ومن ذلك أن الشيخ بيوض اتصل بالقائد العيد بورقلة الذي يصفه بالوطنية وقمعه لمعارضة مشروع فصل الصحراء، كما قام الشيخ أحمد العيجاني بطرقت بذلك، وكان هذا التحرك في 1960 وهو ظرف حرج بالنسبة للثورة والإصرار والجهد الذي يبذله العميل حمزة بوبكر مع مجالس العمالة في ورقلة والنواب والشيوخ.

1- الهادي أحمد تمام دروز، من تراث الولاية السادسة التاريخية، ط 01، دار الهومة، 2006. ص، ص 45، 72.

وبالتالي كان لنشاط الشيخ بيوض وأفعاله دور في الاصطفاف الديني والشعبي واعيان المنطقة والمشايخ ورجال الطرقية كالميجانية، وكان لهم موقفا قويا وجريئا في الاجتماع الذي عقده حمزة بوبكر في خريف 1960ببورقلة[1].

انخراط منطقة الجنوب في العمل الثوري:

لقد كانت منطقة الجنوب حاضرة منذ اندلاع الثورة تحت قيادة المنطقة الأولى تحت مسمى ناحية الصحراء، وإذا كانت هذه المساحة الواسعة في غالبها تابعة للمنطقة الأولى قبل الصومام واعتمد خلالها المسؤولين التمهيد للكفاح وخلق اتصالات ميدانية فاعلة. ومن ذلك تكليف القائد زيان عاشور للمجاهد عبد الرحمان بلهادي ليقوم باتصالات مع مجاهدين في منطقة آفلو وتكوين قاعدة لجيش التحرير هناك سنة 1955، كما تمت اتصالات بين بن بوعيد وسي زيان في مارس 1956 لإجراء اتصالات تمتد إلى الجنوب، وهذا الأخير كان له دور في خلق خلايا ثورية واتصالات في كثير من المناطق مثل وادي ميزاب والشعانبة، وعين صالح. وبالموازاة كان المجاهد الطالب العربي يجري اتصالات بالجنوب الشرقي عبر واد سوف وجانات، وأخرى يقوم بها القائد سي الحواس والتي شملت بسكرة ووادي ريغ، وورقلة وغرداية[2].

وبعد مؤتمر الصومام حيث وصارت منطقة الجنوب الولاية السادسة إلا أن الظروف التي نجمت عن معركة الجزائر وخروج معظم أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ وصعوبة التحرك والتموين بحكم الطبيعة المكشوفة والواسعة جعل المنطقة تعاطأ في هيكلتها وبالتالي بقيت تعرف بالمنطقة القائمة من الولاية

1- كان أحمد الميجاني قد قابل الموقف بقوله أن الأمر مطير ولا يضمن الأمان من تطورات القضية، وأمل بيوض أن الأمر يتعلق برأي الأمة ومصيرها وليس من صلاحيات المجلس الذي هو مختص في القضايا الاقتصادية والمالية.

2- سلسلة الملفيات، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ثورة أول نوفمبر 1954 ص 84.

الأول[1] وخلالها ركزت القيادة على التنسيق الفوري في أقصى الجنوب الجزائري ومن الذين تكلفوا بهذا العمل محمد بجغابة وعزيان عبدل وكانت مهم جهود في تدعيم وإرساء التنظيم الفوري سياسيا وعسكريا في نواحي المنيعة وميزاب ووعين صالح وتامدراست، وكان الاعتماد على رجال المنطقة في كسب ثقة الناس بحكم القرابة ومعرفة السكان في جميع السلاح والمال والعبئة الشعبية. وإن واجههم صعوبات كبرى في نواحي تامدراست وعين صالح بحكم المساحة الشاسعة وقبضة العدو لكل داخل أو خارج ولذلك كان الدخول إليها عن طريق التجار والأسر التي لها علاقات في غرداية أو المنيعة وعليلي .

وفي مرحلة لاحقة أرسل سي الحواس ثلة جديدة من الرجال أمثال محمد رويبة والرويني الغويني، وحامدي عثمان، وإبراهيم حليلو. وتدريجيا تم تكوين خلايا عسكرية وبالخصوص في عليلي التي تكونت بها كتيبة[2]. وظلت هذه المناطق تقوم بمداوشة العدو، والقيام بعمليات مباغتة، وجمع المعلومات الاستخباراتية عن العدو.

وبعد استقرار الأوضاع لدى لجنة التنسيق والتنفيذ في أوائل 1958 أعيد بعث العمل باسم الولاية السادسة وأسندت القيادة فيها إلى الصاغ الثاني أحمد بن عبد الرزاق الملقب سي الحواس لما أثبته من جدارة في الميدان خلال السنوات السابقة على كل المستويات ويساعده في مجلس الولاية عمر إدريس، والطيب الجغلالي، ومحمد العربي بعزيز وظل سي الحواس على رأس الولاية حتى تم استشهاده بمنية عميروش في جبل ثامر بيوسعادة بعد اجتماع قادة الولايات الشهير وتكليفهما بمهمة الاتصال بقيادة الثورة في الخارج وتبليغها بعض انشغالات قادة الولايات في الداخل.

1- سلسلة الملفات، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، مرجع سابق، ص. 75.
2- نفسه، ص 85.

جلب السلاح:

تعتقد أن الجنوب الجزائري أدى وظيفة التسليح في الثورة بشكل ريادي وهذا من خلال الأرصدة التي وفرتها هذه المنطقة من السلاح منذ فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وتحديدا عند تأسيس المنظمة الخاصة وإلى غاية اندلاع الثورة كما استمر هذا الدور بأشكال مختلفة.

وقد ساعدها على ذلك الحدود الجغرافية الطويلة التي تربطها بالدول المجاورة وخاصة: ليبيا وتونس وخبرة القوافل التجارية في معرفة المسالك والطرق المؤدية لهذه البلدان والعلاقات التي تربطهم بتجار هذه المناطق، مما أهلهم للقيام بمهمة النقل والاتصال بتجار السلاح والعارفين به وأسعاره ومسالك توصيله. وبحكم أن المنطقة الحيوية في هذا المحيط هي وادي سوف فقد أدت الدور الفصلي في تجميع السلاح من تونس وليبيا وتحويله إلى وادي سوف ومن ثم الأوراس وكل ربوع الجزائر.

وقد ساعد أهل سوف على أداء هذا الدور: الموقع الجغرافي، والمهنية التجارية لسكان المنطقة التي تجاوزت الجزائر إلى البلدان المجاورة، واحتلاك أدوات التجارة من مال وحسب الغامرة وحسن إدارة العلاقات و الانخراط المبكر في الحراك الوطني بكل ضرورته، وبالتالي سهل على قادة العمل الثوري المبكر من استغلال هذا العنصر في توظيف التجار السواقة في توفير السلاح بمختلف الطرق من داخل البلاد وخارجها بل والعمل على نقلها داخل أرجاء البلاد رغم المخاطر المحدقة بهم.

ومنذ الحرب العالمية ونزول الحلفاء بسوف للانطلاق نحو مهاجمة دول المحور في تونس وليبيا، إضافة إلى الأسلحة التي كانت منتشرة في ليبيا بعد استقلالها وذات الصنع الإيطالي وبالتالي وجد من يمارس تجارة الأسلحة حتى

صاروا أثرياء منها[1] ولذلك لما قامت المنظمة الخاصة سنة 1947 توجهت للبيئة العامية بجلب السلاح.

وقد كان محمد بلوزداد مسؤولا حزبيا بالشرق الجزائري قبل تأسيس المنظمة وعلى صلة بالسيد أحمد ميلودي الحاصل والتاجر بوادي سوف وقام بزيارة له هناك. وعند تأسيس المنظمة التقى به بالعاصمة سنة 1947 بغرض جلب السلاح وأوكلت مهمة توصيل الأموال على يد المكلف تنظيميا محمد عصماني بوادي سوف. ولأهمية الأمر تطلب قدوم بن مهيدي وبوضياف وبن بولعيد للمنطقة لترتيب توريد السلاح[2].

وقد تعددت زيارات بن مهيدي لسوف لهذا الغرض وخاصة نزوله عند المسمى ميهي البشير، ومن الذين عرفوا بقيادة القوافل لنقل السلاح من ليبيا وتونس السيد ميهي محمد بلحاج، والملاحظ أن القيمة المالية للشحنات كانت بالغضه وتتجاوز ميزانية المنظمة[3] وعند تجميع هذه الأسلحة بسوف في مخابئ بغيطان النخيل يتم شحنها إلى الأوراس ومن القائمين بهذه العملية عبد القادر العمودي، واين موسى البشير، وامبهي البشير، وكان النقل بواسطة القوافل بالجمال ثم تحول عن طريق الحافلات والشاحنات بعد اكتشاف الأسلوب الأول من قبل السلطات الفرنسية[4].

والواضح أيضا أن المعنيين بالسلاح كان أيضا من طرابلس وتونس مباشرة إلى بسكرة والأوراس، وكانت الدفعة الأولى من السلاح التي وصلت من سوف

1- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 05، ط 01، دار الغرب الاسلامي، 1990، ص 108.

2- علي قنايزية، "الدور الاستراتيجي لوادي سوف في تجميع السلاح للثورة التحريرية"، مجلة البحوث والدراسات، المركز الجامعي بالوادي، ع 09، 1431هـ، 2010، ص 47.

3- تسلم محمد عصماني سنة 1947 مليوني فرنك، ووفق أوامر 1948 نصف مليون فرنك. نفس المرجع ن ص 47.

4- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 05، ص 107.

إلى الأوراس 800 قطعة من مجموع ما وصل الأوراس 600 قطعة في المرحلة الأولى، وكان جزء من السلاح يتجه من سوف إلى الجنوب الغربي: غرداية وعليلي.

ومن أنواع الأسلحة التي كانت تجلب للمنطقة السوفية من ليبيا وتونس: الخماسي الألماني الإنجليزي، والسماق الإيطالي، والرشاش الإيطالي والإنجليزي، والسدس الأوتوماتيكي الأمريكي، والذخيرة الحربية، والمناظير العسكرية، والمفجرات[1].

المساهمة العسكرية للرد على مشروع فصل الصحراء:

لقد مارست فرنسا أساليب عسكرية عديدة منها:مضاعفة عدد الفيالق العسكرية التي وصلت إلى ألف جندي في حدود 1958، واختيار منطقة رقان للتجارب النووية، وأنشاء المناطق المحرمة بالطبيعة وعليلي على مساحة 6000 كلم مربع، وإعلان الطوارئ، وأنشاء وحدات الخيالة والمهاري، والكثار من المظليين والطائرات الكاشفة وتجنيد البدو، وإيجاد سد عسكري من المراقبة بين المغرب والجزائر، والإكثار من القواعد العسكرية وحتى تسميم الآبار، ومنع الاتصال بين جيش التحرير والمواطنين من خلال رخصة التنقل، وتأمين مناطق البترول وتدعيم الحدود في الجنوب الشرقي بالمدفعية ومراكز المراقبة، وتجنيد البدو العملاء[2].

ولذلك تعاملت الثورة مع هذا الوضع الجديد وكان لأبناء الصحراء الدور الفصلي في تقويض مشروع الصحراء الفرنسي ومن ذلك القيام بعمليات تخريب لمنشآت البترول في 17 اوت 1957، والهجوم على القوافل الفرنسية التي تقود المعدات البترولية والفنيين بجميعون في نوفمبر 1957[3]، وعلى حافلات النقط بالقرب من الحدود الليبية الجزائرية في سبتمبر من نفس السنة، كما نظم جيش

1- علي قنايزية، مرجع سابق، ص 48، 50.

2- سلسلة الملفيات، مرجع سابق، ص 50، 55.

3- للعلم أن فرنسا أنشأت المطمة المالية المشتركة للمناطق الصحراوية والتي فتحت فيها باب الإستثمار للخواص الفرنسيين والأجانب ومساهمة الدولة الفرنسية حتى وصل هذه الأسهم إلى مليون سهم.

التحرير سلسلة من العمليات العسكرية على مراكز الشرطة بالأغواط ومداخل استخراج الغاز، وتعطيل أشغال إنجاز أنبوبي نقل الغاز إلى بجاية ووهران[1].

وكذلك تسف أنبوب البترول الذي يربط بين حاسي مسعود وسكيكدة عدة مرات وهو ما دفع بالحكومة الفرنسية حسب علي كافي إلى نقله عبر تونس وتصديره عبر ميناء السفيرة[2].

كما استهدفت الولدات الكهربائية لعزل الجيش الفرنسي عن مراكز القيادة في شمال الصحراء. وبالعالي أربك جيش التحرير الاحتلال بين بسط نفوذه وبين تأمين المنشآت الاقتصادية وحماية الشركات البترولية وعمالها.

الدعم المالي والعيني للثورة:

ونقصد بذلك ما يقدم من أموال كضرائب ومستحقات وتبرعات للثورة من اشتراكات وزكاة وضرائب حربية وعطايا مالية وهي خاضعة للتنظيم الثوري المعمول به وطنيا ومقسمة حسب الحالات والمقادير وفق سجلات القوائم الإسمية والممتلكات. وهي دورية سواء كانت شهرية أو سنوية، وترفع في شكل تقارير للهيئات القيادية العليا.

وكذلك الأمور العينية من الحبوب كالقمح والشعير والتمار وخاصة التمور، والغنم، والماعز والإبل، والبراميل والقرب، والأدوية والألبسة والمؤونة[3]. وغالبا ما شكلت هذه الهبات العينية العصب القوي في تموين الجيش واستمرار أدائه العسكري باعتبارها احتياجات يومية وفي تواصل مع السكان الذين عرفوا بكرمهم وسخائهم رغم الفاقة والحاجة وسوء الظروف المعيشية.

1- نفس المرجع، ص 50.

2- العالي الغربي، "السياسة الفرنسية لفصل الصحراء وردود الفعل الوطنية"، سلسلة الملتقيات، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ثورة أول نوفمبر 1954 ص ص 50-55.

3- الهادي أحمد تمام مروان، المصدر سابق ص 105.

الدعم الشعبي:

وفي مجال الدعم الشعبي للثورة وخاصة في المرحلة الحرجة بعد اكتشاف البترول 1956، والعمل على قصل الصحراء كان خروج السكان في الكثير من المدن والقرى والمداشر للمظاهر مناديين بالوحدة الوطنية ومن أهم هذه المظاهرات تلك التي حدثت في غرداية في 1960 ومدينة تقرت سنة 1961 التي رفع فيها المواطنون العلم الوطني في المساجد وعلى صومعة الجامع الكبير والتي لجأ حاكم الإقليم إلى تزعمها بواسطة الفليكوبتر، وكذلك مظاهرات فيفري 1962بورقلة ومظاهرات الطلبات في 18 مارس 1962 التي راح ضحيتها 18 شهيدا[1] كما أن العبئة كانت قوية قبل الاستفتاء على مصير الجزائر في 05جويلية وذلك بتحريك المظاهرات التي مست كل شرائح المجتمع وفي معظم الصحراء مصحوبة بهجمات جيش التحرير على المراكز العسكرية الفرنسية ونصب الكمائن لدوريات الجيش الفرنسي[2].

وفي ظل احتدام المعركة الثورية وقضية الصحراء انشرت اللجان الشعبية[3] المنصوية تحت جيش التحرير لأداء دور العبئة والتوعية وجمع الاشتراكات والتبرعات، والقيام ببعض الأعمال العسكرية ضد الاحتلال لتنقض عليه مشروع القصل، وبالموازاة أرسل سي الحواس وتحت إشراف قادة الجنوب محمد بن مسعود بلقاسي قايد مشونش، والقائد محمد إدريس.وتكفل العمل بالتفاف المواطنين حول الثورة والوحدة الوطنية، وتجنيد الفئات من المجاهدين، ومقاطعة العدو في مشاريعه.وبالتاليعزز العمل العسكري بموسيع النشاط الديني والسياسي وهو ما جعل السلطات الفرنسية على حشد المزيد من المظليين والفيلق الأجنبي وفيالق الكومندوس ومظليين في كل من ورقلة وتمراست وتقرت وتيزاناوين وبرج باجي مختار، أملا في محاصرة أي نشاط ثوري.

1- عبد الحميد بجاح، مرجع سابق، ص 200.
2- نفسه، ص 200.
3- نفسه، ص 229.

وفي هذا الأعمال المكملة للنشاط العسكري فقد كان للسكان مساهمة ميدانية ولوجيستية تمثلت في تجنيد اللجان الشعبية لجمع المعلومات حول تحركات العدو واخونة، وتأمين الاجتماعات، ونشر الدعاية الثورية بين المواطنين وتنظيم الحراسة لقوافل المجاهدين وقوافل السلاح، وحفر الخنادق لمخازن السلاح والذخيرة وهذه الأعمال كلها تحت تنظيم ثوري محكم شمل معظم المناطق والمدن الحساسة مثل ورقلة، غرداية، بريان، وادي ريغ، عين صالح، تمراست، الشعانبة، مليلي، المبعة، وأشرف على هذا العمل عدة بعثات ضمت كل من: محمد جغابة، ومزيان صندل، ورابح عجمان، وابراهيم حليلو، ومحمد الرويمة، وعثمان حامد[1].

مناوشة الاستعمار عبر الصحراء الشرقية انطلاقا لقزان الليبية:

كانت هناك قوات جزائرية مرابطة في تونس وعلى الحدود الجزائرية وارتأت قيادة الثورة هناك أن توجه قبلتها عسكريا إلى الجنوب الغربي الليبي (فزان) لشن هجومات عسكرية على فرنسا داخل الجزائر بقيادة الرائد "أيدير" والمرشد السياسي محمد الصالح الصديق على رأس قوة عسكرية قوامها 600جندي.[2] وظل كل من إيدير" والمرشد السياسي محمد الصالح الصديق على رأس هذه القوة العسكرية والسياسية وإن كان فعلها محدودا لكنها كانت تشوش على الاستعمار وتفرق توزيع قواه السياسية والعسكرية، وكان الدور الكبير الذي قامت به تمثل في الحاضرات، ورفع للمعنويات ورفع التقارير للقيادة في تونس لمدة خمسة أشهر، ولكن الأهم من ذلك رفع مستوى الجاهزية لدى الفيلق العسكري وخاصة بعد الركود الكبير الذي شهده في تونس شمالا، ونظرا لخطورة الوضع على فرنسا فإنها ضغطت كثيرا على ليبيا من أجل إيقاف العمليات العسكرية على الجنوب الجزائري، ولكن الوفد الجزائري أقنع الضابط

1- عبد الحميد بجاج، المرجع سابق، ص 84.
2- علي بن عامر، المرجع السابق، 194 والعدالة من ذاكر 150 جنديا.

النبي عبد الرحمان بادي المصراتي على استمرار التعاون الليبي الجزائري والبقاء في منطقة فزان وظلوا يؤدون هذه المهمة لمدة قاربت النصف السنة.

الجبهة الجنوبية الغربية الجزائرية:

وفي الجنوب الغربي الجزائري كان التنظيم العسكري للثورة يعتمد على خبرة السكان المحليين في تنظيم المنطقة إلى قصور ومراكز آبار، وألفى لهم الشيخ محمد بن لكبير بضرورة الجهاد ضد المحتل و وفي 1956 كونت لجنة خماسية يترأسها عبد العزيز أقاسم تعمل على تنظيم العروش والقبائل الموجودة في العرق الغربي الكبير في نسيج الثورة و على رأس كل قصر أو بئر ماء مسؤول يتولى مهام الاتصال وجمع المال والسلاح كما نصب على كل مركز مسؤول.

وهذه الخطة تمت هيكلة المنطقة من خلال أهلها والعارفين بشؤون دروبها وضمان التموين وتوفير الماء لظروف الصحراء الصعبة والمكشوفة تم تحدي الطبيعة القاسية وتحكم العدو. ثم كان الانطلاق في ميدان المعارك الخاطفة وفي مقدمتها معركة حاسي صاكة في 15 أكتوبر 1957 التي أشرف عليها الهاشمي محمد وتم قتل 08 جنود فرنسيين، وأثناء هذه العملية تم الاتصال بالمجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي في منطقة أوقروت القريبة من تيميمون بقيادة لبيم الشيخ ومحمادي العيد والالتحاق بجيش التحرير[1].

كما كانت معركة حاسي تاسفاة، في 06 نوفمبر 1957 التي كبدت العدو خسائر في الأرواح والمعدات وأخراء المختصين في البترول، ومعركة حاسي غميو في 21 نوفمبر 1957 التي قادها بن ضرابر فوضيل ضد الظابين الفرنسيين وكبدوهم خسائر كبيرة وإن استشهد فيها 42 شهيدا ولذلك عمل العقيد بيجاو على تعزيز المنطقة عسكريا ووضع لها الفرقة الأولى والرابعة مراقبة

1- محمد سوتية، "تيميمون ومعاركها العرق الغربي"، المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ع 20، 2009، ص ص 688-689

حركية الثورة في العرق الغربي الكبير[1]. وبدون شك أن التنسيق كان كبيرا بين الولايتين الخامسة والسادسة وخاصة في التصدي للحركات المناوئة للثورة.

المراكز الجنوبية لدعم الثورة:

وهي التي تمركز على الحدود المالية الجزائرية وخاصة بعد استقلال مالي سنة 1960 حيث أنشئت قاعدة قاو GAOU التي تبعد عن كيدال بحوالي 420 كلم ومهمتها التدريب على القتال وعلى أنواع الأسلحة وكيفية تنفيذ الحرب الخاطفة واستعمال الألغام والمتفجرات، واستعمال وسائل الاتصال إضافة إلى تكوين المدرسين والمرشدين والمحافظين السياسيين، ثم أنشأ مركز كيدال تاسيلي[2].

ولعبت هذه المراكز دورا هاما في نقل الأسلحة القادمة من الجنوب والتي تقطع مسافات كبيرة وممرات صعبة وخطرة بحكم وقوعها تحت المراقبة الفرنسية، حيث تنقل من المواني الإسبانية والبرتغالية والمغربية وصولا إلى كوناكري بغينيا ثم تنقل برا إلى باماكو في أصعب الظروف والمراقبة ومنها إلى قاعدة قاو على بعد 1600 كلم والتي تستغرق أسبوعا كاملا.

وأحيانا كانت الشحنات تأتي جوا من بعض الدول العربية مع البضائع والركاب، أو من اسبانيا والمغرب دون علم مسؤولي الطيران، وأحيانا تحمل من غينيا إلى باماكو على متن طائرات صغيرة خاصة دون علم الطيار الروسي وتنوعت هذه الأسلحة ما بين الخفيفة والنصف ثقيلة ومن الأسواق السوداء المتعددة ومن مصنع مصنوع[3].

1- محمد سوتية، مرجع سابق، ص 242.
2- محمد قنطاري، "استراتيجية السياسة الفرنسية في محاولة فصل الصحراء الجزائرية"، سلسلة الملتقيات، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، مرجع سابق، ص 178.
3- محمد قنطاري، مرجع سابق، ص179.

وكان أهم دور تتكفل به هذه الجبهة هو تزويد القيادة بالمعلومات الاستخبارية عن تحركات العدو ونشاط الشركات البترولية والمنقبة عن المعادن والمياه لتعريضها للتخريب، ويقع على عاتق الناعلين المحليين المعنيين بالغذاء ونقل الذخيرة بين جهات المنطقة كالمقار والحدود المالية والنيجيرية. وساعدها حركة القوافل التجارية التي لها رحلتين في الشهر بين مالي والجزائر، واستطاعت الثورة توظيف مختلف القبائل والعشائر في مسار الثورة مثل: الطوارق، والرقيبات، والأشراف، والشعانبة، والزنوج.

وقد فكرت القيادة الثورية في التعويض عن الحصار المفروض على الجنوب وإعطاء للمركزية المسير والقدرة على التحكم في مواجهة العدو بخلق ولاية سابعة بأقصى الجنوب وتضم المناطق التالية: تمدوف وعلى رأسها قمور أحمد، ومنطقة نواحي أدرار ويقودها موقق بشير، ونواحي المقار وعليها خليفة بلحاج. ولكن المشروع توقف بسبب الدخول في المفاوضات[1].

وكانت الولاية الخامسة قد ارسلت وفدا سنة 1960 ضم قراتز قانون والرائد فرحات الطيب الملقب زكريا لزيارة مالي والنيجر لدراسة الوضع وتعريب منطقة أقصى الجنوب وبعدها كفل الأمر بتكليف مجموعة من المسؤولين للتوجه لمنطقة الحدود المالية والنيجيرية للإشراف على قيادة العمل هناك وهم عبد العزيز بوتفليقة، وعبد الله بلهوشات ومحمد الشريف مساعدية وأحمد دراية، والعيساني، وموفق البشير نور الدين[2].

1- نفسه، ص 155.
2- محمد قنطاري، مرجع سابق، ص 156.

البعد العسكري ومنهجية التخطيط لدى زيغود يوسف

مقدمة

تعتقد أن زيغود يوسف يتعدى كونه من مفجري الثورة الأوائل إلى مرتبة المساهمة في تطوير آليات الثورة، وأحد العقول الهندسة لها فاكتسب منهجا عسكريا وتفكيرا ثوريا جمع بين رجل الميدان العسكري من حيث الانضباط والحسم والمبادرة وتوزيع الأدوار وبين قوة التفكير في تحليل الذهنية الاستعمارية واستغلال البيئة الاجتماعية. وهذا ما مكنه من لعب أدوار مفصلية في تطوير الثورة وهي في المهد وتجاوزها لعقبات صعبة وقد ساعده على ذلك كونه عارفا بالمنطقة وسكانها ومدى قدرة القادة الثوريين على تفاعل كل واحد منهم والبيئة المناسبة له في تفجير طاقاته وتسخير المحيط الاجتماعي لصالح الثورة.

والجدير بالذكر أنه من معالم اهتمالك زيغود يوسف لمنهج عسكري ورأيه واضحة هو فكرة توسيع الدائرة العسكرية على العدو والتنظيم المحكم في نشاطه العسكري، وتوزيعه للأدوار والمهام بما يوافق وأهمية كل قائد ومنطقة.وإجمالا يمكن بلورة التفكير العسكري في النقاط التالية:

- تجاوز الذاتية والخلافات القيادية والتركيز على الفعل العسكري ضد العدو.
- الحس الأمني وروح اليقظة لدى زيغود يوسف
- القدرة على تعبئة السكان ماديا ومعنويا لصالح الثورة.
- المبادرة بالفعل العسكري وتوسيع الدائرة على الجيش الفرنسي.
- تجاوز الحدود الجغرافية المسؤول عنها وتكريسه للبعد الوطني.
- البعد العسكري ومنهجية التخطيط.
- توسيع دائرة الاستشارة والعلاقات.

1 تجاوز الحدود الجغرافية المسؤول عنها وتكريسه للبعد الوطني:

يعتبر زيغود يوسف من المناضلين في حركة الانتصار ومن العارفين بدروب السياسة ومدروب الوطنية وكان على رأس القائمة ببلدية كندي محمدو في انتخابات

1947 بإيعاز من الحزب وحين فاز في مقدمة 07 أعضاء جزائريين وأجنبية أوربية وأرى كيف تسخر كل الموارد لخدمة الجالية الأوربية وعمق التمييز العنصري ازداد قناعة بالتوجه الثوري وضرورة الخطوات الكفيلة بإنجاحه.ولذلك اختير من طرف بوضياف على رأس الخلية الخاصة بالمنظمة السرية بمنطقته.

لقد كانت المهمة العالية التي تحملي بها أفضل زيغوت يوسف عالية قبل اندلاع الثورة في ظل اتصال ضمن خلايا بالمنظمة السرية، وهو الذي اعتقل بعد تفشي أمر المنظمة في 22 مارس 1950 ودخل السجن بعباية وامتطاع الفرار منه سنة 1950.

وفي 02 جوان 1951 قرر الحزب إلحاق الفارين من السجن بمنطقة الأوراس (زيغود، بن عودة كمال، بركات سليمان، بكوش عبد الحق)[1]. وبعد مدة عاد لسمسدو التي التقى فيها بالمناضل الفارب من العدو قرين بلقاسم من الأوراس.

كان له حسا ثوريا عاليا رغم أنه كان يمتهن حدادا فقط. وحسب الصديق الحميم لزيغوت يوسف الجاهد خضر بن طوبال أنهما كانا على درجة عالية من الوعي، وأنهما عاشا حالة التشرذم والقلق الكبير من جراء الصراع الداخلي بين المصاليين والذين أخذوا القرار الثوري، وأضاف بن عودة رغم جهود الإصلاح لكنها باءت بالفشل، ويقول حينها قررت أنا وزيغوت بن عودة ومصطفى بن بوالعيد، ومديدوش مراد وبوضياف وكريم وبن مهيدي على الشروع في المقاومة المسلحة.

2- الحس الأمني وروح اليقظة لدى زيغود يوسف:

وحسب بن عودة فإن القيادة التي كانت موجودة بالشمال القسنطيني كانت تتمتع بحس أمني عالي بحكم المخاطر التي تتربص بها من جهة العدو ومن الذين أرادوا زعزعة الجبهة الداخلية، وأعوان الحركة المصالية. فذكر على سبيل

1- ابراهيم سلطان شيبوط، زيغود يوسف الذي عرفته، منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 2011، ص 41-47.

الخال أن بعض المصالين زادي الشريف، وزيكت اسماعيل الذين ادعيا أن الشرطة في طلبهما وتسقا مع شخص ثالث:بخوس عبد السلام من أجل القضاء على القيادات المسيرة للشمال القسنطيني، ولكن المؤامرة اكتشفت وتم اعدامهما بمحاكمة حربية[1].

إن هذه اليقظة هي التي جعلت من أحد القادة مع زيغود يوسف يقول بأن تراهات العدو باءت بالفشل بالنظر إلى قوة التنظيم وأنها ليست عصابات خارجة عن القانون، والدليل على ذلك أن يعقد اجتماعا ضم قادة من وهران وقسنطينة، والعاصمة[2].

إن تكوينه النضالي وحسه الأمني في المنظمة الخاصة أهله للانخراط في العمل الثوري وقيادته. فبعد إعلان العمل المسلح في المنطقة الثانية بالشمال القسنطيني من طرف ديدوش مراد الذي أخبر زيغود وبن عودة وبن طوبال، كلف زيغود بفوج مكون من 10 جنود بناحية حمدو حيث كان الهجوم على الدرك الوطني.

لقد شارك في جيش التحرير جنديا، وصار ضابطا، لقد وصفه من عرفوه عن كثب أنه رجل لا يعرف الخوف لا يهاب الموت "إنه رجل لم يخلق إلا للموت" لا تراه إلا دائب الحركة في تفقد الفرق والمراكز وتوجيه الجنود الجدد، مرهف الحس، كالأب الرحيم بأبنائه، لا يعرف الهدوء. وإذا رأيته استقر في مكان فهو يقرأ كتابا عن تنظيم الخروب، وشيئا عن الفورات، إنه الرجل الذي عرف باسم: سيد احمد[3] تبعته فرنسا ورصدت له العديد من العمليات لكن دون جدوى، فيصبأ لها ويأخذ احتياطاته فأحبط العديد من المحاولات .

1- الأمضر بن طوبال، القائد الثاني للولاية الثانية، "منتصر مهما كان ثمن الانتصار"، المجاهد،ع50، بدون تاريخ، ص59.
2- الأمضر بن طوبال، مصدر سابق، ص 10.
3- "يوسف زيغود"، المجاهد، العدد 59، 20 أوت 1957، ص 01.

د- القدرة على تعبئة السكان ماديا ومعنويا لصالح الثورة:

كما أوجد أدق التنظيمات الاحترازية في المنطقة: من الفروع الإدارية المختلفة وعليها لجان تشرف على العمل، وشرطة، وحراس للغابات، مراقبة العدو في تحركاته ولا تترك له راحة، والشعب يؤدي الضرائب بشكل منظم. وبداية عمل على الاتصال بالمناضلين وسكان منطقة كبدي حمدو الذين كان على معرفة بهم، وكذلك منطقة الخروش التي توجه إليها في مارس 1955 منسقا مع مناضليها.

- فوج آخر توجه إلى عرب قالمة، وواد زناتي، وعنونة، وبرج سباط.
- في شهر أفريل1955 كان الاتصال بمعظم مناطق الشمال القسنطيني: أرياف، مدن، قرى.
- القيام بعمليات تخريب للممتلكات الفرنسية
- القضاء على الخونة والمتعاملين مع الاستعمار
- مداومة حراس الغابات باعتبارهم عون على تحركات الأرياف
- رصد تحركات العدو في المدن والجبال.
- القيام بعمليات من قبل المقاومين (كموندوس) في سكيكدة وعنابة في ماي 1955.
- مهاجمة الضيعات الاستعمارية
- جمع الأسلحة (أسلحة صيد من المواطنين).
- إلزام أعوان الإدارة من قياد وعمال إدارة الغابات بترك مناصبهم أو تعرضهم للعقوبة.

في هذه الأثناء كانت السلطة الفرنسية تمارس أقصى درجات العقاب الجماعي على السكان: إتلاف المحاصيل، قتل المواشي، إنشاء المعسكرات بإقليم سكيكدة. إضافة إلى حملات الشرطة لاعتقال المئات من المشتبه فيهم بسكيكدة، وقسنطينة، تاماتوس...، ومع التجوال في سكيكدة في جويلية1955،

تنفيذ القمل في الثلاث من قبض عليهم تحت التعذيب. حملات مداهمة بالخروب في 05 أوت 1955.

نجم عن هذا الأمر حالة من انعدام الأمن في الحياة العامة للعدو وانخفاض النشاطات الاقتصادية له بنسبة 40 بالمئة[1]. وبالتالي اعتبر زيغود يوسف أن العمل الثوري بلغ درجة متقدمة وعليه أن يصاحبه مزيد من التوعية السياسية منها:

- كسب كل سكان الريف والمدينة وإقناعهم بحقهم في الحرية
- أن الفرنسيين عرباء عن الجزائر وعليهم الرحيل.
- أن الوحدة بين جهات الوطن والتعاون بين كل فئات الشعب هي الكفيلة بهزيمة المستعمر.
- أن ما تدفعه من ضرائب هي لخدمة المعمرين فقط.

المبادرة بالفعل العسكري وتوسيع الدائرة على الجيش الفرنسي:

في ظل هذه الظروف المتأججة وممارسات الاستعمار التي زادت من حدة النقمة كان على زيغود أن يفكر في عملية عسكرية أكثر تنظيما وأهدافا. فهناك من قال أن فكرة تنظيم الهجوم والإعداد له دامت 05 أشهر، وذكر إبراهيم شيبوط أن زيغود حدث بوقادوم بشير، بوجريوي، حاعين زقات، ساسي، بوركايب، بوشريحة، ومعاونيه من منطقة الوسط عن هذا المشروع وبرمج لذلك اجتماعا مع بن طوبال، وبن عودة عمار في منطقة "قنداير"[2] على بعد 15 كلم من سكيكدة وحضره أكثر من 200 جندي كما حضره عمارة

1- إبراهيم سلطان شيبوط، مصدر سابق، ص 59.
2- ابراهيم سلطان شيبوط، مصدر سابق، ص 60.

العسكري الدعو بوقلاز. وقدم هؤلاء المجاهدين من جيجل، ميلة، البيلة، قسنطينة، وادي الزناتي، قالمة الدوغ، حمدو[1].

هذا المشروع العسكري الذي اطلق عليه «هجومات 20 أوت 1955 والذي جاء في ظروف حصار خانقة على الأوراس من طرف حكومة إدغارفور، وكان زيغود من الذين بادروا إلى هذا العمل العسكري الواسع وخطط له منذ أمد، وهو الرجل الذي عاش فترة زمنية وعسيرة بعد أن فر من السجن وعاش بين مناضلي الأوراس ولايزال يذكر ما قدموه له والروح الثورية العالية التي يمتلكون بها، وهو الذي يؤمن بأن نجاح الثورة مرهون بتكامل كل جهات الوطن.وفي هذا المضمار قيل أن شيحاني البشير طلب منه تخفيف الضغط على الأوراس.

5- تجاوز الحدود الجغرافية المسؤول عنها وتكريسه للبعد الوطني:

بالنظر إلى الأهداف التي كانت وراء الهجوم على الشمال القسنطيني والأبعاد التي أخذتها فإنها تجاوزت الحدود الجغرافية للمنطقة الثانية في أهدافها وعبرت عن اللحمة الوطنية ووحدة المعركة فتفجرت جبهة قوية ومفاجئة للعدو تمتفس من خلالها الأوراس وأن كل الجهات معنية بالثورة وليس الأوراس فقط، كما أن عمليات الهجومات والفئات التي شاركت فيها والمناطق التي مسحها جعلت شرائح واسعة تؤمن بأنها معنية بالمشاركة بالفعل الثوري، وإيصال رسالة للمسؤولين بقوة الثورة وليس عملا معزولا، والقدرة على التنظيم وتحديد الأهداف في الزمان والمكان المطلوبين، ومن جهة أخرى ترجيح حالة الصمود والدفع بالقوى الوطنية الأخرى والنخب السياسية بالتوجه نحو الحسم بجدية الثورة وقوتها وضرورة الانخراط فيها، ومن جهة أخرى فإن هذا الهجوم الباعث والموسع يعتبر مرتعا جديدا لتوفير الأسلحة لأن الثورة كانت في أمس الحاجة إليها.

1- هناك من ذكر أن الاجتماع كان في منطقة بوسطور ببلدية سيدي مزغيش ثم نقل إلى الزمان ببلدية عمدون بوشطابة حاليا في 22جويلية 1955، ولا ندري إن كانت تسميات لنفس المنطقة

وعلى الصعيد الخارجي فإن هذا الهجوم سيكسر الطوق الإعلامي الفرنسي بأنها الثورة عمل مجموعة خارجة على القانون بالأوراس لا أكثر وهي قضية داخلية وفرنسا قادرة على تسويتها بشكل تام.وكانت هذه الأحداث في ظرف تشهد فيه القضية الجزائرية تفاعلا دوليا متزايدا وأن الجمعية العامة للأمم المتحدة على مقربة من الدورة العاشرة في سبتمبر1955. وبالتالي فالثورة عليها إحداث دوي إعلامي من خلال هذا الهجوم.

ومن جهة أخرى كانت فرصة للتضامن مع الشعب المغربي في ثورته وفي ذكرى نفي ملكه محمد الخامس وهو أحد الأبعاد المغاربية الموجودة في بيان أول نوفمبر.

6- البعد العسكري ومنهجية التخطيط:

منذ أن تولى زيغود قيادة المنطقة كان شغله الشاغل كيفية تطوير العمل العسكري حتى لا تقطه حالة الضعف والتطويق الفرنسي والدخول في حالة من التجديد والديناميكية العسكرية التي تبعث الحيوية في المجاهدين والمناضلين، وتقضي على حالة الترهد لدى بعض الفئات، ومن جهة أخرى المبادرة بالفعل العسكري ضد العدو وليس البقاء في حالة الدفاع فقط أو بعض الاشتباكات من حين لآخر. وعلى الرغم من مخاطر هذا المبادرات وعلى رأسها هجومات 20 أوت فهي ضرورية في ميدان المعركة وفي البعد السياسي والإعلامي.

وقد خضعت الهجومات لأشهر من التفكير والإعداد والتخطيط، فمنهم من ذكر تسعة أشهر، ومنهم من ذكر 5 أشهر، وفي كل الحالات فمنذ قيادة المنطقة من طرف زيغود وبعد استشهاد القائد الفذ ديدوش مراد في 08جانفي1955 نشهد كل التربيصات تصب في هذا الاتجاه من حيث:

- الإعداد النفسي والتعبوي للسكان وخلق تفهير شعبي في الريف والمدينة.
- والتنظيم والاتصال بقادة المناطق والمناضلين القدامى في حركة الانتصار والمنظمة الخاصة.

- توسيع دائرة الأهداف الاستعمارية والمتعاونة معها في الريف والمدينة والغابات.
- وطرق المواصلات والمزارع الاستعمارية...
- توزيع المهام العسكرية على القادة حسب المناطق ومعرفة كل منهم للدروب ومواطن العدو.
- تحديد المراكز العسكرية والإدارية والقضائية والاقتصادية وخطوط الإمداد، والجسور، والطارات، ... وكل النقاط الحيوية للعدو.
- تقسيم أيام الهجوم إلى ثلاث أيام: الأول يكون شاملا للمدن والأرياف والثاني لنصب الكمائن خارج المدن والثالث لتنفيذ أحكام الإعدام في الخونة وأعوان الاستعمار.

ومن الناحية الميدانية فإن المهام التي وزعت عشية الهجوم إثر اجتماعات سابقة كانت كالتالي:

كلف اسماعيل زيغات ومحمد بولركايب ومحمد مهري بناحية سكيكدة عمار شطايبي بجهة القل.
- بن طوبال ومسعود بوعلي بالميلية.
- زيغوت شخصيا على ناحية قسنطينة.
- بشير بوقادوم وعبد الحفيد كتحل الراس بمنطقة زيغود يوسف حاليا
- سي السامي وبوصوف علي لويس بمنطقة قالمة[1]

ومن جهة أخرى فإن المناطق المستهدفة والمراكز كانت محددة حتى لا يكون عملا ارتجاليا، ويضرب العدو في الصميم وحسب الإمكانيات المتاحة وعدم الدخول في مواجهات مفتوحة.ومن هذه الأهداف:

1- مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الثورة الجزائرية ونصوصها الأساسية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2012، ص 55.

- سكيكدة: الهجوم على التكنات العسكرية، الضيعات، المطار، مجمع الحديد والرخام (فليفلة)، الهجوم على دار العدالة بالخروش، السيطرة على مدينة القل، حرق مزارع المسعودين، بسيدي مزغيش، قتل 8مركيين في قرية جمال رمضان.
- الميلية: نصب كمين لحاكم المدينة، وآخر في بني هارون.
- جيجل: الهجوم على الطاهير.
- قسنطينة: اغتيال شخصيات فرنسية كمعميد الشرطة، و09 عسكريين ومسعوض، الهجوم على مقار الشرطة في الخروب وعين اعبيد.
- قالمة: هجوم شامل على وادي زناتي، هجوم شامل على قالمة في 21 أوت.
- عنابة: هجومات مختلفة ولكنها أقل من المناطق الأخرى[1].

رغم هذا التخطيط العسكري للقادة والمناطق والأهداف فإن روح المغامرة المفرطة المخاطر كانت قائمة بالنظر إلى البطش الفرنسي وخاصة في أوساط المدنيين العزل.

وقد خلفت بالعدو خسائر كبيرة ولكنه لم يصرح إلا ب: 123 قتيل رغم أنها فاقت المأتين. وقد عمدت السلطات الفرنسية إلى الانتقام من المدنيين بشكل فضيع وبعقاب جماعي وفي عمل دعوي دراماتيكي لقرض الرعب الفرنسي قدفن الثات في مقابر سرية، واستعملت الجرافات لردمهم في سراديب، ومنهم من قتل عندا في ملعب سكيكدة (1500 شهيد) وتواصل الاعتداءات على المدنيين لأسابيع ويذكر علي كافي أن عدد الشهداء بلغ ما بين 12 و15 ألف شهيد، ومن المصادر الفرنسية من يصل بها إلى15 ألف[2].

وبدون شك فإن الحصيلة كانت ثقيلة وأليمة ولكن لا يمكن أن نتصور دحر استعمار ونيل حرية دون ضريبة. فقد كان للهجوم نتائج إيجابية على مسار الثورة. فهو قد أعاد حسابات العدو وأربكه في تحد جديد ومفاجئ

1- المصدر، ص 55، 56.
2- القلاني عبد الله، مرجع سابق، ص 57.

وخاصة في طبيعة الهجمات ونوعيتها وتنظيمها. وجعل المسئولين أمام تساؤل حول مستقبلهم المحفوف بالمخاطر.الاضطراب الذي أصاب الشباب الفرنسي ورفضه للتجنيد في الجيش، واستقالة المنتخبين والإداريين وبعض أعوان الإدارة الفرنسية من مناصبهم.

ومن جهة الشعب الجزائري فإن الهجومات أظهرت مددا شعبيا هائلا، ومتجاوبا، وقدرة القادة الثوريين على التنسيق مع العناصر الفاعلة في المجتمع، وتنفيذ أوامر الثورة في الميدان. كما كانت محطة للتجديد الثوري وبعث روح معنوية عالية لتجعل بعض الشخصيات أو الفئات تحسم أمرها لصالح الثورة، وفي نفس الوقت برهنت على أن الأوراس ليس وحدها وهي بادرة لثورة مناطق أخرى بنفس القوة.ولقد جاءت الهجومات في صياغ تاريخي مهم وأحداث لها دلالتها من حيث تعزيز التضامن المغاربي والدفع بفكرة الجيش المغاربي الذي ولد في أكتوبر 1955. إضافة إلى تدويل القضية الجزائرية وفسح المجال للمحافلة العلمية والدولية لتناول الحدث بكل أبعاده وتجاوز النظرة الفرنسية الأحادية. وهو ما ساهم في إعطاء دفع قوي للسياسيين من قادة الثورة في الخارج بالحديث عن القضية وتقديمها في المحافل العربية والآسيوية وتسجيل القضية في الأمم المتحدة سنة 1955[1].

7- توسيع دائرة الاستشارة والعلاقات:

من أهم الملاحظات التي وقفت عليها أثناء هذا العمل المتواضع أن زيغود كان كثير الاستشارة وخاصة في الخطات المفصلية من عمله الثوري، وهذا من خلال اللقاءات المنظمة في شكل اجتماعات لأهم معاونيه في المناطق المسؤول عنها وهذا حتى بعد هجومات 20 أوت ونرصد من ذلك:

1- القلاتي عبد الله، مرجع سابق، ص 65.

1- اجتماع طبراوي[1] الذي تعتقد أنه كان في أواخر 1955 والذي استقبل فيه زيغود ونائبيه أعوان الاتصال من العاصمة عمارة رشيد، مزهودي إبراهيم والتي سمحت له نسج علاقات وتنسيق مع منطقة العاصمة.

2- اجتماع بورطال الذي انعقد بشقة بورطال بدوار بني عساخ في فيفري 1956 والذي استقر فيه على القيام بعملية واسعة في 18 فيفري 1956 على مراكز وعمليات فدائية بالشمال القسنطيني مما خفل الإدارة على قطع الطريق المؤدي للعاصمة وكذلك نحو القل[2].

4- في شهر مارس 1956 استقبل سعد دحلب بمنطقة بني اخمد قرب حمام الدباغ حاليا ودار الحديث بينهم حول ضرورة وجود مؤسسات لثورة تمثل الأمة ومما طرح أنه يمكن أن يكون في المنطقة الثانية.[3] وقبل أن هذا اللقاء ساهم إلى حد كبير في تحضير مؤتمر الصومام.

5- العودة للبلاد القبائل رفقة بن طوبال وبن عودة وكافي، وحسين رويبح ومزهودي إبراهيم ولقائه مع بن مهيدي وبقية القيادات الثورية.

6- العلاقات التي كانت تربطه بالأوراس والاتصالات المستمرة، والتي كان قد برمج زيارة لها ولكن الأجل سارعه.

7- إن هذه العقبة المتواضعة التي تقدم بصنع العلاقات مع القرى وأعيان المناطق والمناضلين القدامى في الحزب والمنظمة الخاصة وتوسيع الاستشارة، ساهمت في رفع عدد المجاهدين في المنطقة الثانية للشمال القسنطيني حسب التقرير الذي قدم لمؤتمر الصومام إلى 1650 مجاهد و5000 مسبل.

1- وهي المشقة بدوار أولاد العبارلة غرب عين كشاشة تحت مسؤولية خضر محمد تابعة لقيادة بن طوبال.

2- ابراهيم سلطان شيبوط، المصدر سابق، ص 79.

3- نفسه، ص 95. وكان يقصد ما انتهى إليه الأمر: مؤتمر الصومام.

مصلحة الثورة حتى أثناء الموت:

كان حرصه على السر الثوري أن جعله يضع مصلحة الثورة فوق اعتباراته الشخصية وهذا عند الاشتباك مع العدو والإصابات البالغة التي لحقت به ولكنه حرص على تزويد وثائق الثورة التي بحوزته ليؤمن سلامة من بعده وسلامة الثورة، وهو ما جعل غلاة الاستعمار يصبون جام غضبهم عليه ويفرغون رشاشاتهم فيه وهو ميت حقدا وغيظا وهو الذي لقنهم درسا في هجومات 20 أوت، وإنجاح مؤتمر الصومام، واستمر على الخزم ودقة الإدارة الحربية حتى لاقته المنية في 28 سبتمبر 1956. وهي المرحلة التي قطعت فيه الثورة مسارا استكت فيها من القوة وتوسيع الدائرة على العدو ما جعلها تبصر شيئا من بوادر النصر بفضل أمثال هؤلاء[1].

1- "يوسف زيعود،" المصدر سابق، ص 52.

ظهور القاعدة الشرقية وتطور علاقتها بالقيادة الثورية

مقدمة

كانت المنطقة الممتدة من سوق أهراس إلى تبسة قد شهدت أزمة قيادية وسياسية في علاقتها بالولاية الأولى وانتقل أثرها إلى القيادة داخل وخارج البلاد. مما جعل القيادة الثورية الممثلة في لجنة التنسيق والتنفيذ إلى إيجاد المخرج التنظيمي وإيجاد حل لها يحفظ التوازنات ويجنب الصراعات ويقوي الجبهة الشرقية فكان ظهور القاعدة الشرقية التي تعد محطة جديدة في تاريخ الثورة وتحولت إلى بؤرة ثورية فاعلة ومنطقة اتصال وعبور وتموين بالسلاح. وهذا ما جنب الثورة الصراعات الداخلية وتوجيه الجهود نحو المستقبل وتوحيد القوى ضد العدو. وإعدادا بنظرية احتواء وتفويت الفرصة على العدو.

وفعلا فإن هذا الإجراء قد ساهم إلى حد كبير في حقن الدماء الأخوية وإيجاد توافق نحو تكوين منطقة ثورية جديدة القاعدة الشرقية وليس ولاية حتى لا يكون تجاوزا تنظيميا لمؤتمر الصومام. وفعلا نلاحظ كيف أدت هذه المنطقة الدور الحدودي والتوري المنوط بها ؟ وكيف استطاعت صنع التواصل مع القيادة الثورية وفرض وجودها في الميدان ؟ ومن خلال هذه النقطات نهدف إلى متابعة المسار التاريخي لهذه المنطقة من حيث التكوين والنشأة وسيرورة العلاقة مع القيادة الثورية.

التعريف الجغرافي للقاعدة الشرقية:

هي المنطقة الممتدة من البحر شمالا إلى جبل بوحضرة جنوبا ومن الشرق: من منطقة المريج إلى باب البحر ومن الغرب حتى سدراتة، وبالعالي فهي منطقة متضرسة وهضابية واستراتيجية بالنسبة للثورة من حيث التموين والتسليح والتواصل مع العالم الخارجي، ولهذا أعطتها القيادة أهمية خاصة، وسادها صراع كبير حول قيادة هذه المنطقة، وفي نفس الوقت ركز الاستعمار عليها لخنق

الثورة باعتبارها القلب النابض للثورة[1]. وانطلاقا من هذه المعطيات فقد دفعت هذه المنطقة ثمنا باهضا من حيث ضحايا الصراع من أبناء قادة الثورة، وفي نفس الوقت ضحايا الاستعمار من ثوار وعموم الشعب.

ومن الذين تولوا قيادة المنطقة في ظل التنظيم الثوري الأول باجي مختار لكن استشهد في 20 /1954/11 بمنطقة بني صالح. ودخلت المنطقة في صراع داخلي بين كل من الحاج علي والحاج عبد الله وجبار اعمر، لفعل الثاني الأول واستجد بالأوراس ليقدم الوردي فعال ويقضي على الثالث جبار وبالتالي دخلت المنطقة في فسة قيادة وفي كنف الظروف المشة لقيادة الولاية الأولى والضغط الاستعماري على هذه المنطقة الحدودية[2].

ظهور القاعدة الشرقية:

إذا أردنا التعمق في حيثيات تكون القاعدة الشرقية فإنه يجدر بنا التطرق إلى ثلاث قضايا هي جديرة بتوضيح البيئة السياسية والمناخ القيادي وربما ضعف الهيئات كونها تتعامل مع تجربة جديدة عليها مع قلة الإطارات والضغط الاستعماري المتسارع والباعث في مشاريعه ضد الثورة.

أولها: التركيبة السياسية والعسكرية للقيادة الثورية والعلاقات القائمة بينهم وظهور التنافس على القيادة وسلطة القرار مما خلق التجاذبات بين الأفراد والكتل والنواحي والداخل والخارج، وهذا أوجد مناخا يسوده الاستقطاب التدريجي وإن كان سريا وهادئا إلى حين.

الثاني: اتساع الرقعة الجغرافية التي تشرف عليها الولاية الأولى مقارنة بالأهمية التي تكتسيها من حيث الحساسية والنشاط العسكري ومرور الأسلحة والاتصالات وخاصة بعد وفاة بن بوالعيد وما تلاه من توتر على قيادة المنطقة وخاصة بين

1- الطاهر سعيداني ، القاعدة الشرقية القلب النابض، دار هومة، الجزائر، 2010، ص 45.
2- نفسه سابق، ص 55.

الأوراس والمعاشة وسوق أهراس، وكذلك عدم التحكم الكامل في الصراعات القائمة بمنطقة الشمال الشرقي سوق اهراس وما شهدته بعد وفاة باجي مختار.

الثالث: ظهور فئات متعددة من القيادات الثورية: الضباط الأوائل الذين يسمأثرون بالأقدمية والسبق الثوري، الضباط الجدد الذين التحقوا بالثورة سواء الفارين من الجيش الفرنسي أو الفئات المثقفة والطلبة الذين التحقوا بالثورة.

وقد أوردنا هذا الكلام لنوضح المناخ السياسي والقيادي الذي ساهم في ظهور النزعة الحلية الثورية والطموح الشخصي الذي جعل من بعض القيادات تسجل انتقاداتها على تصرفات القيادة وبالمقابل ترى أنها تملك البديل والكفاءة التي تواجه التحديات المطروحة.

مؤتمر الصومام وتداعياته على ظهور القاعدة الشرقية:

من المعروف أن مؤتمر الصومام نجم عنه عدم الرضى من قبل الولاية التي غابت أو غيبت وما دار من جدل حول هذا الموضوع. وخاصة أن الأعضاء الفاعلين والمقررين فيه هم، كريم بلقاسم، عبان رمضان، عمر أوعمران، العربي بن مهيدي، زيغود يوسف. والذين خرجوا بقرارات كان لها أثر كبير على تطورات الثورة وظهور التوترات والشكوك بشأن صنع القرار وصراع القيادات.

وقد كان تغييب بعض القيادات أن جعل من نتائج المؤتمر مادة للنقد ومراجعة بعض التصرفات، ومن هنا فقد عارضت بعض القيادات من الولاية الأولى قرارات المؤتمر ومنها: عباس لغرور وعاجل عجول ومسعود بن عيسى بالأوراس، وشريط لزهر ومن معه ببسة، وعمارة بوقلاز[1] وبلهوشات عبد الله بسوق أهراس. وبلغة

1- ولد عمارة بوقلاز في 1920 بعنابة، دخل صلاح الحربية الفرنسية، انخرط في صفوف حزب الشعب، وأثناء الثورة كلف بالعمل الفدائي بضواحي القالة وعنابة وبعد مؤتمر الصومام رقي إلى عقيد وكلف بقيادة القاعدة الشرقية سنة 1957، بعد الاستقلال عين عضوا في المجلس التأسيسي ثم دخلها عسكريا بليبيا، وتوفي في 1996. أنظر عبد الله مقلاتي، قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط 1، المنشورات بلوتو الجزائر، 2009،ص 870، 871.

أخرى غيبت جماعة الأوراس والدماغشة وجهة سوق أهراس[1]، وبالتالي حصل نوع من التذمر في عدم الرضى على مخرجات مؤتمر الصومام

وقيل أن عمار بوقلاز حاول إرسال وفد يتكون من الحفناوي زعاضية من منطقة سوق أهراس وعمار بن زود من منطقة القالة يحمل تقريرا إلى مؤتمر الصومام، وحسب الطاهر الزبيري أنهم التقوا بعمار بن عودة وهم في طريقهم عبر الولاية الثانية وأخبرهم بنهاية المؤتمر وأن سوق أهراس ستصبح تابعة للولاية الثانية[2]. وبالتالي عادا أدراجهما واكتفيا بتسليم التقرير. وهذه الشهادة تحتاج إلى تساؤل مفاده هل كانت جماعة سوق أهراس تجهل موعد المؤتمر بالضبط ؟ أم أنها كانت غير معنية وتوسطت بين عودة لتبليغ أفكارها وطموحاتها ؟ وهل كانت فعلا تتضمن ولاية جديدة ؟ والموازاة يذكر نفس المصدر أن عبد الله بلهوشات حاول تكوين ولاية جديدة تضم كل من عين مليلة وأم البواقي وصدراتة[3]. ولا ندري مدى جدية هذا الطرح مقارنة بتداخل هذا المشروع وتعقده بالنظر إلى الصدامات الجغرافية والسياسية مع الولاية الأولى والثانية!

وفي هذه المرحلة كان عمار بوقلاز يقوم بدور المنسق بين الولاية الأولى والثانية ومع تعاظم الخلاف بين الولاية الأولى وقرارات مؤتمر الصومام الذي أعطيت له أبعاد إقصاء وأخرى جهوية وما عدّته القيادة في الخارج أفضل على محساس ومن ورائه بن بلة واعتراضهما على قرارات مؤتمر الصومام الذي أعطى أولوية الداخل على الخارج وتم حشد الولاية الأولى في هذا الاتجاه. ففي ظل هذه الأجواء المشحونة بالاتهامات والامتعاض بالقيادة والقرار والإقصاء للآخر كانت القيادات الجهوية بسوق أهراس وعلى رأسها عمر بوقلاز تشعر بضرورة أن يكون لها مقام وتطمح أن يناسب الدور

1- محمد حربي ن مبهمة التحرير الوطني بين الأسطورة والواقع، ترجمة كميل قيصر داغر، ط 1، دار الحكمة، لبنان ن ص 147.

2- الطاهر الزبيري، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين 1929-1965، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 177.

3- الطاهر الزبيري، مصدر سابق، ص 85.

الذي تؤديه على الحدود والعمورين والمخاطر مع وزنها ضمن القيادة الثورية وخاصة بعد التمرد الذي ساد مع قيادة الولاية الأولى ومع وجود أجواء ناقمة على تهميش مؤتمر الصومام لهم وهناك أطراف عدة تدفع بهذا الاتجاه وبالتالي فالفرصة قائمة لتحقيق المشروع والاستقلال في تسيير المنطقة.

تطور العلاقات لجنة التنسيق والتنفيذ مع منطقة سوق أهراس:

يتضح أن القيادة التي أشرفت على مؤتمر الصوم وعلى رأسها لجنة التنسيق والتنفيذ أدركت الخطر الداهم الذي يهدد الثورة ويخنقها إذا لم تعالج قضية المعارضة بدأت تلملم نفسها وتلتقي عدد خصومها مع لجنة التنسيق والتنفيذ، وهذه الأطراف المعارضة ضمت الولاية الأولى وجماعة سوق أهراس وجماعة بن بلة التي يمثلها علي محساس بعونس، والذي عقد العديد من الاجتماعات مع هذه الأطراف وأفضت إلى توقيع وثيقة تدين مؤتمر الصومام ولا تعترف بلجنة التنسيق والتنفيذ ومساندهم لبن بلة. وهي ضربة موجعة للجنة وقيادة الداخل وخاصة بعحالف الولاية الأولى وقيادة سوق أهراس التي وقعت على الوثيقة من قبل عمار بوقلاز وقرروا عدم التسامح بمرور الأسلحة [1].

ويتضح أن هذه الأزمة كانت سببا في معالجة عدة قضايا على رأسها قضية سوق أهراس وفي نفس الوقت سمحت لبقية الأطراف وخاصة الولاية الأولى أن تتحاور حول المسائل العالقة، كما تم تفويت الفرصة على العدو من خلال عدم تأزيم الوضع أكثر في منطقة حيوية.

ولذلك اضطرت لجنة التنسيق والتنفيذ إرسال موفدها عمر أوعمران إلى تونس لتلقاء هذه الأطراف وكان اللقاء في باجة وحضرته أهم القيادات الميدانية:الحاج خضر، الطاهر الزبيري، وعمار بوقلاز ومعه مجموعة مسوق أهراس، وقد أفضى هذا الاجتماع الذي كان في جانفي1957 إلى اقتراح تكوين

1- محمد زروال، إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية - الولاية الأولى نموذجا - الطبعة الرسمية، الجزائر، 2007، ص 267.

منطقة مستقلة عن الولاية الأولى مهمتها تموين الثورة بالسلاح وتأمين الاتصال، وخاصة أنها متحكم في الشريان الاستراتيجي[1].

وبهذه الطرح أرسل عمر أوعمران التقرير للجنة التنسيق والتنفيذ التي تعاملت بإيجابية وواقعية مع المقترح لتجاوز الأزمة ولذلك كان الاجتماع العالي لعمر أوعمران في 12 مارس 1957 مع قيادة سوق الهراس وانتهى بترقية عمارة بوقلاز إلى رتبة عقيد وبتعيينه رسميا على رأس هذه المنطقة المسماة بالقاعدة الشرقية وتضم كل من سوق الهراس والقالة وجزء من عنابة.[2] وبهذا كان الحل الوسط الذي يعمل على تجاوز الأزمة وتجنب الانشقاق ، علما أن منطقة تبسة هي الأخرى تعاني من صراعات بين لزهر شريط وجماعته من جهة ومحمود الشريف الذي عين على رأس المنطقة السادسة للولاية الأولى أي تبسة كان لمزهودي إبراهيم الدور الكبير في حلها بعد أزمة حادة[3].

وابتداء من هذا التاريخ تدخل منطقة سوق الهراس ضمن تنظيمها المستقل عن الولاية الأولى في تسييرها المالي والقيادي ولكن لم تأخذ اسم ولاية وإنما القاعدة الشرقية وربما كان هذا تجاوزا لأي تأويل بمخالفة قرارات مؤتمر الصومام وفي نفس الوقت حل المشكلة، وإعطاء الدور المنوط والمناسب لهذه المنطقة أن تؤديه في العمل اللوجيستيكي وتأمين النقل والاتصال.

تنظيم القاعدة الشرقية بعد 1957:

بعد أن نصب بوقلاز على رأس القاعدة الشرقية سعى إلى تنظيمها وتطلب منه ذلك جهدا كبيرا باعتباره يؤسس لهيكلة جديدة كما استعان بثلاث

1- الطاهر الزبيري، مصدر سابق، ص 179.
2- سكيمة شنواح، المبادئ التنظيمية لقيادة الثورة الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير إشراف زوزو عبد الحميد، قسم التاريخ، الجزائر، 2000-2001، ص 56.
3- محمد زروال، دور المنطقة السادسة من الولاية الأولى في الثورة التحريرية، دار الهومة للطباعة، الجزائر، 2011، ص 20.

مساعدين: الرائد محمد عواشرية والرائد الطاهر سعيداني والرائد سليمان بلعيشاري.

كما قسم القاعدة إلى ثلاث مناطق:

الأولى: وتشمل القالة ونواحيها وعلى رأسها النقيب شويشي والثانية تشمل شمال سوق أهراس وعلى رأسها النقيب بن سالم عبد الرحمان والثالثة جنوب سوق أهراس من سدراتة إلى الحدود التونسية على رأسها الطاهر الزبيري وفي 1958 شكل المنطقة الرابعة[1]. وقسم المناطق إلى قبائل والقبائل إلى كتائب وفصائل وأفواج. وكان قادة المناطق هم قادة القبائل[2].

وبهذه الطريقة أوجدت لجنة التنسيق والتنفيذ المخرج من الأزمة التي كانت تتخبط فيها المنطقة باحتواء قادتها الغاضبين على مسار مؤتمر الصومام وعدم استمرار سيرهم في الخط الذي بقيت تتخبط في الولاية الأولى من صراعات ومحاكمات وتصفيات أهدرت بالفورة وذهب ضحيتها العديد من الضباط. ومنحت أخرى اصطلعت المنطقة بالمهمة الموكلة إليها وتفننت في أمرين كبيرين. الأول تأمين جانب الأسلحة القادمة من جهة تونس وما يتطلبه من مخاطر الخط المكهرب والحواجز والكمائن الفرنسية، ثم القيام بمهمة أصعب وهي نقل هذه الأسلحة نحو الولايات الأخرى بواسطة قوافل تضم القافلة كتيبة أو أكثر لأن المهمة تتطلب رصد تحركات العدو واحتمال المواجهة معه والمسالك الآمنة والاتصالات الموسعة. والأمر الثاني هو تأمين الاتصالات بين الولايات المجاورة الحدودية وتأمين الاتصال والمرور للقيادات المنتقلة بين الداخل والخارج التونسي وهي ضرورة مستمرة وحساسة لما تحمله من مخاطر وقوع القادة أو المراسلات في أيدي العدو.

1- الطاهر سعيداني، القاعدة الشرقي قلب الفورة النابض، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 55.
2- الطاهر الزبيري، مصدر سابق، ص 150.

ومن جهة أخرى أن القاعدة الشرقية بحكم مهمتها أقامت لها قاعدة عسكرية في العراب التونسي حسب عبد الرزاق بوحارة، وأنها كانت بسوق الأربعاء وهذا منذ 1957[1]. وطبيعي أنه إذا كان للولاية أو الأول وحدات بالحدود للشرقية لتأمين حركة المسؤولين أو السلاح أو الاتصال فما بالك بالقاعدة الشرقية التي تضطلع بهذه المهمة[2].

ومن أهم المصاعب التي لاقتها القاعدة الشرقية هي المناطق المحرمة التي أنشأتها فرنسا في الحدود الشرقية بالقرار من وزير الدفاع الفرنسي chabandelmas في جانفي1958 وأقره المجلس الوزاري الفرنسي[3] وشملت هذه المنطقة المحرمة مساحة تصل إلى طول 400كم وعرض 80 و 50كم من عنابة إلى تقرين تجاه القرية التونسية تمتاز بالعالي فالامتداد الجغرافي لها هو في المجال الحيوي لنشاط القاعدة الشرقية وعملت الإدارة الفرنسية على تسييج المناطق الأوربية وتجميعها حتى لا تكون في مرمى القصف الفرنسي وأصبحت معظم مناطق القاعدة الشرقية مهددة بالإبادة الرسمية وأعطتهم السلطات الفرنسية مهلة ثمانية أيام[4] لإخلاء المنطقة التي كانت آهلة بالسكان وحسب الإحصائيات الفرنسية لسنة 1954 أنهم يتجاوزون 300 ألف نسمة.

1- عبد الرزاق بوحارة، منابع التحرير أميال في مواسمة القدر، ترجمة صالح عبد النوري، دار القصبة، الجزائر، 2006، ص 157.

2- يذكر علي كافي أنه كان يوجد للولاية الثانية وحدها حوالي 3000 جندي مكلفة بالحراسة والتموين وغيرها أنظر: علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من النضال السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999، ص 2100.

3- الطاهر جبلي، مأساة اللاجئين الجزائريين على الحدود الشرقية خلال الفترة التحريرية 1954-1962، المصادر، العدد 20، 2009، ص 269.

4- الطاهر جبلي، مرجع سابق، ص 271.

كما صاحب ذلك إقامة محتشدات لتجميع السكان الجزائريين[1] وعزلهم عن الثورة وخاصة في القاعدة الشرقية التي كانت اختياراتها تعلم الدور الذي تؤديه بمساعدة السكان وبالتالي يتحملون المسؤولية الجماعية، فضلا على أن هذه المحتشدات كانت تفتقر لأبسط ظروف العيش عرف أهلها التعذيب والفقر وهذا مما زاد في معاناة مسؤولي القاعدة الشرقية. وهذه السياسة الاستعمارية نفذت الإبادة الجماعية لسكان المنطقة تحت ذريعة المنطقة المحرمة.

القاعدة الشرقية وهياكل الثورة:

أ – في محاكمة معارضي لجنة التنسيق والتنفيذ:

بعد أزمة الصراع بين لجنة التنسيق والتنفيذ والولاية الأولى ومن وقف في صفها بالداخل والخارج وأزمة الصراع بين لزهر شريط ومحمود الشريف حول المنطقة السادسة فإنه حسب رواية الطاهر الزبيري أن علي محساس عقد اجتماعا في عمار الدماء على الحدود الجزائرية التونسية بعد النقاش الطويل كانت المعارضة قوية لمؤتمر الصومام وأن محساس ترك للحاضرين حرية الرأي وانتهى الاجتماع بمجموعة من القرارات منها إرسال تقرير للجنة التنسيق والتنفيذ والمطالبة بإدراج تمثيل الولاية الأولى والقاعدة الشرقية في المجلس الوطني للثورة وفي القيادة التنفيذية للثورة[2].

ويتضح أن قائد القاعدة الشرقية عمار بوقلاز صار له مقام بين القيادة الثورية وخاصة في الناحية الشرقية وقضايا الصراع الدائر هناك، إذ شارك بوقلاز في المحاكمة الشهيرة التي ألفتها القيادة في 27 جويلية 1957 بمدينة تيرسق والتي حضرها كل من عبد الله بن طوبال كرئيس وبن عودة نائبا، وعمار بوقلاز عضوا،

1- نفسه، ص 272.

2- محمد زروال، المحاكمة في الثورة، دار عمر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 966.

ومحمود الشريف «دعيا وانتهت المحاكمة بإعدام كل من لزهر شريط ومحمد بن علي ولزهاري والباقي شوشان وعبد الحفيظ السوقي وعباس لغرور وبوزيد ماجور[1].

ب – في لجنة التنظيم العسكري الشرقية 1958:

نلاحظ أن القاعدة الشرقية صارت ممثلة تدريجيا في هيكل القيادة العسكرية حيث حضر قائدها بوقلاز في الاجتماع التحضيري في ديسمبر 1957 الذي حضره قادة الداخل ولجنة التنسيق والتنفيذ (كريم، عبان، بن طوبال، محمود الشريف ومحمد لعموري وأحمد نواورة عن الولاية الأولى وكافي عن الثانية وبوقلاز وعواشرية عن القاعدة الشرقية، وعن القائمة الرائد قاسي وعن الرابعة دهيليس سليمان وزعموم صالح وعايت الخامسة والمهجر وتدارسوا إمكانية قيادة جماعية للمناطق الحدودية ولم ينجح المشروع وفي 10 أفريل 1958 لجنة التنسيق طرحت قضية توحيد الجيش فاقترح كريم إنشاء لجنة تنظيم عسكري شرقية في غارديماو وأخرى غربية في وجدة وكان على رأس الأولى محمدي السعيد ويساعده محمد لعموري وبن عودة وعمار بوقلاز والغربية على رأسها هواري بومدين ويساعده دهيليس سليمان[2].

ويبدو أن اللجنة العسكرية الشرقية عرفت الكثير من المشاكل وعدم الانصياع لأوامر القيادة وتمسك كل قائد برأيه على ولايته مما دفع كريم بلقاسم إلى عزل أعضاء هذه اللجنة في 1958/09/09 فنفى عمار بوقلاز إلى العراق وتخفيض رتبته، ومحمد العموري للسعودية ومحمدي السعيد بشهر ثم أعيد لمنصبه وعمار بن عودة عين مساعدا لوزير التسليح بوصوف[3]. وحتى هذه العملية تركت آثارا سلبية بين أوساط المقربة من حيث تفاوت العقوبات.

1- محمد زروال، المناضلة في الثورة، ص 550.

2-FARHAT abas, Autopsies dune guerre , ed livers , Algerie , 2011, p 240.

3- الطاهر الزبيري، المصدر سابق، ص 200.

ظهر واضحا عدم رضا قادة الداخل وفي مقدمتهم القاعدة الشرقية على أداء الحكومة المؤقتة وهذا منذ اجتماع 1958، وفي اجتماع العقداء العشرة في نهاية 1959 الذي دام 94 يوما ومنهم من قال 125 يوما وتتويجة للأزمات المتعددة وعلى رأسها المشاكل المتعلقة بأداء الحكومة المؤقتة ودراسة أوضاع الثورة بالداخل والخارج وحضر العقداء التالية أسماءهم حسب ترتيب الولايات: محمدي السعيد قائد الجهة العسكرية الشرقية وهواري بومدين قائد الجهة العسكرية الغربية الحاج لخضر عن الأولى، وعلي كافي عن الثانية، والسعيد يازوان عن الولاية الثالثة والصادق دهيليس عن الرابعة والعقيد لطفي إضافة إلى كريم، وبوصوف، وبن طوبال. والذي انتهى إلى تجديد بعض أعضاء المجلس الوطني والقضاء آخرين ولا ندري موقع القاعدة الشرقية في هذا الاجتماع.

شهادات ميدانية
من طرف أصدقاء ثورة التحرير الجزائري

مقدمة:

لقد حفلت جريدة المجاهد بالعديد من الشهادات الميدانية التي دونوها بأقلامهم عن واقع الثورة أو تطورها أو مدى تفاعلهم معها وهي مادة هام تحتاج إلى بعث روح القراءة فيها من جديد بناء على تراكم الأحداث وما كانت تحفل هذه الأقلام. مع العلم أننا اخترنا نماذج متعددة المشارب والتوجهات السياسية والثقافية ولكن الجامع بينها هو الانتصار للقضية الجزائرية من أوجهها المختلفة: الإنسانية، والعادلة، والاشتراك في المعاناة، البعد العربي...، وغيرهم من دون هذه الكتابات من باب رصد الواقع الذي تعيشه الثورة الجزائرية وما عايشه ولكن في مجموعها تشكل لنا رصيدا من المادة التاريخية للثورة من جهة و عرفانا لهؤلاء على بعض مواقفهم في أحلك الظروف.

أولا: أقلام ألمانية منصفة للثورة الجزائرية:

جيسليروبرسينق: كتب السياسي الألماني جيسليروبرسينق في ثلاث مقالات في جريدة كيست أوند وسلت الأسبوعية عن مجريات الحرب الجارية في الجزائر، وصاحب هذه المقالات صورة ياسف سعدي وجاء في العدد الأول بإمضاء مديرها أن الأنباء عن الجزائر أنه منذ خريف 1956 وإلى غاية أكتوبر 1957أنالجيش الجزائري قد ازداد بمعدل أربعين ألف مجاهد في حين أن تصريحات لاكوست تتغنى بالأمل في القضاء على المقاومة في القريب العاجل. وهذه الأرقام تبرهن لنا أن الأربعمائة ألف جندي فرنسي لم تمنع جيش التحرير من أن يتضاعف ثلاث مرات خلال ثلاث سنوات[1].

1- جيسليروبرسينق، "صربنا التحريرية كما تراها الصحافة الألمانية" المجاهد، العدد 10، 1 نوفمبر 1957 ص05.

ومن جهة أخرى فإن الصحيفة الألمانية (الفرنكفورتير ألمانيا زيتونغ)[1] وصلت إلى عدة استنتاجات حول العلاقات الفرنسية الأطلسية والوضع الفرنسي الداخلي من جراء الحرب في الجزائر منها: أن فرنسا سطرت عزلة عسكرية على المجريات الحربية في الجزائر وهي تعتقد أنها حرب بالنيابة عن الحلف الأطلسي ولذلك اعتبر حلفاؤها أن مشاكل فرنسا هي مشاكل الحلف الأطلسي ولذلك فهذه الدول تغض الطرف عن مجريات الحرب الأطلسية في الجزائر وهي متعاونة معها في هذا الاتجاه، وهي بهذا الطرح جعلت العالم العربي ينظر لأمريكا أنها تمثل الاستعمار ويعد نجاحا للروس أيضا مهما وفي موضع آخر من الصحافة الألمانية حول الانعكاس الداخلي لحرب فرنسا في الجزائر وخروجها عن السيطرة لتصبح لها انعكاسات خارجية. توصلت إلى خلاصات:

أولا: أن الإقلاص المالي جعلها تطلب الإعانة من الخارج، حتى تستطيع مواصلة الحياة الطبيعية لها وهو ما جعل القضية تخرج عن الإطار الفرنسي.

ثانيا: أن التواجد العسكري الفرنسي المكثف بالجزائر ترك فراغا في أوربا وعلى الحلف الأطلسي أن يسده.

ثالثا: أن النفقات المالية للحرب أجبر فرنسا لا تحاذ اجراءات مالية تتعارض مع التنظيم الاقتصادي الأوربي أو تأجيله لسنوات.

رابعا: أن التجارة الأوربية متضرر بفعل الصعوبات المتزايدة في العالم العربي وتزويدها بالنفط فالأنابيب السورية لم تعد مضمونة وكذلك قناة السويس والجزائر منطقة حربية وأنابيبها مهددة من جهة الجزائر أو تونس.

خامسا: أن التوتر الموجود في العالم الإسلامي متوتر ويتلاقى مع الأهداف السوفياتية في إحداث الإخلال بالتوازن بالمتوسط وتمديد الممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا ثم إفريقيا كلها.

1- في عددها الصادر بتاريخ 18/11/1957.

سادسا: أن الثورة الجزائرية التي وضعت 800 ألف من الجزائريين المواجدين بفرنسا في حالة تأهب خلق الفوضى والقلق وتخريب المصانع وإعطاء الفرصة للشيوعيين الثوريين للهجوم وإثارة الفوضى في أوربا عامة[1].

وفي الأخير أن الأمريكان والإنجليز والألمان الذين يتجاهلون الحقيقة ومصلحة فرنسا ذاتها ويرجحون العواطف الفرنسية عليها يتظاهرون بأن لا شيء يحدث في الجزائر وهو خطأ استراتيجي عند الجميع رغم أن التقارير السرية التي تدور داخل الجمعية الفرنسية تعترف بضرورة وضع حد للحرب في الجزائر. وأن الفرصة مواتية أمام عرض السلطان المغربي وبورقيبة الوساطة لحل المشكل وعلى ايزنهاور أن يكون شجاعا في أخذ المبادرة ويسد الطريق أمام الشيوعية وإلا تكرر نفس السيناريو السوفياتي مع قضية السد العالي بمصر[2].

2 - الدكتور ابراهيم كبة وزير الاقتصاد العراقي:

ومن الأقلام التي واكبت الحدث وكانت إلى جانب الثورة الجزائرية الدكتور ابراهيم كبة وزير الاقتصاد العراقي الذي ألف كتابا في عمق المعركة سماه:أضواء على الثورة الجزائرية.سنة 1956 فكانت فصوله وهضة من الفكر النير في كشف طبيعة الحرب الفرنسية المذلة بالجزائر، وصورة عن الفهم العلمي الجيد للثورة الجزائرية وخاصة في جوانبها المتعلقة بثورة الإنسان الجزائري على العبودية وصولف الاستغلال الاقتصادي. وأن الواجب محاربته اليوم هو الامبريالية العالمية المدعومة بنظام الاستعمار العالمي ورأى الأستاذ ابراهيم أن الشعب الجزائري تجاوز الطروحات القديمة، بل انه اليوم مصمم على إلغاء النظام الكولنيالي وإقامة دولة جزائرية المستقلة وسيادة كاملة. أما الاستعماريون من الفرنسيين فإنهم يتقدمون بحلول أبعد ما يكون عن الواقع كالاتحاد الفرنسي، (الاستقلال ضمن التكافل، والحكم الذاتي، والتقسيم، والشخصية الجزائرية

1- "صوت الحرية كما تراها الصحافة الأمانية"، مقال سابق.
2- نفسه.

والمواطنة المشتركة) وهذا هو الاستقلال المزيف وهو آخر تكتيك ابتدعه الاستعمار العالمي للمد في أجله[1]. ويرى أن هذا الطرح الأخير يحاول أن يعمد على القوى الاستعمارية المتعاونة مع القوى اللاوطنية في الداخل لعرقلة تحرر الشعوب، وقال إبراهيم: "ليس هناك أدنى شك في أن أروع ما في الثورة الجزائرية الحاضرة هو أنها شجب عملي حاسم للمفاهيم السياسية المظللة، مفاهيم المساواة والمصالحة مع الاستعمار وسياسة الحلول النصفية والإصلاحات الجزئية، وتكتيك اعط وخذ وأسلوب الأمر الواقع"[2].

3- الجنرال جياب:

أما الجنرال جياب ففي حوار أداره معه مندوب صحيفة المجاهد فقد أبدى التضامن الكامل مع الثورة الجزائرية وخاصة أنه ممن لاقى صنوف العذاب الاستعماري، وقال أن جيشنا وشعبنا يحملان عطفا عميقا للكفاح الذي يقوده الشعب الجزائري، وهو كفاح اجتاز مصاعب ويلقى مصاعب أخرى بدون شك، ولكن الثبات هو الذي يحصد النصر وخاصة أن الظروف العالمية كلها صبت لصالح الاستعمار. وقال إننا نريد السلم ولكن في ظل الحرية والاستقلال[3].

وأن الاستعمار يستعمل أنواعا من التضليل والخداع بغرض تنويم يقظة الشعوب ولكنه لا ينجح في ذلك كما لم ينجح في استمرار احتلاله، وحول موقف الشعب الفيتنامي قال: "إننا بقلوبنا مع الشعب الجزائري الشقيق ليس فقط لأننا نؤيد استقلال الشعوب ولكن أيضا لأننا عرفنا الصعوبات والآلام خلال حربنا التحريرية الطويلة"[4]. وأن سياسة الإدماج التي يسلكها الاستعمار

1- ابراهيم كيتة، "أضواء عراقية على ثورة الجزائر"، المجاهد، ع 55، 22 أوت 1958، ص 07.
2- نفسه، ص 07.
3- الجنرال جياب، "الجنرال جياب يطل ديان بيان فو يتحدث إلى المجاهد"، المجاهد، ع 01، ص 05.
4- الجنرال جياب، "الجنرال جياب يطل ديان بيان فو يتحدث إلى المجاهد"، المجاهد، ع 01، ص 05.

هي طريق للهزيمة وقطع على نفسه خط الرجعة وأنه لم يعبر عما حدث له في الفيتنام ويكرر نفس السيناريو بالجزائر ولكنني متأكد من نصر الشعب الجزائري.

وختم قوله كم إنني أشعر بالسعادة عندما أطلب منكم أن تبلغوا إلى مغاوير جيش التحرير الوطني الجزائري البطل وسؤوليه وقاته التحيات الأخوية من طرف جيشنا وشعبنا، كما توجه تحياتنا أيضا إلى الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية[1].

4- المجاهد الليبي أحمد بن علي الشيباني:

هذا المجاهد من سكان الزاوية المجاهدة ومن قبيلة الحجاجيب أولاد راشد، انخرط في جيش التحرير الجزائري في سبتمبر 1957 وهو ربيع عمره 25 سنة. قدم من ليبيا بإرادة وقناعة تامة للجهاد مع إخوانه الجزائريين والأدل على ذلك أنه يأخذ الإجازة من جيش التحرير ليفقد أهله لكنه يعود ثانية، وفي إحدى زياراته لذويه قابلته صحيفة المجاهد وكان معجبا بالتنظيم العسكري الذي بلغه جيش التحرير في التدريب والتنظيم واللباس وفق الجيوش العصرية وهو يشهد التطوير المستمر ويتخلى عن بنادق الصيد القديمة، ومن المعارك الهامة التي عاشها مع جيش التحرير ما كان في جبل أوراس النمامشة بأولاد مسعود والتي استعرضت فيها فرنسا ما يقارب 6000 جندي، و50 طائرة، مقابل 240 مجاهد جزائري وصال أمدها من السادسة مساء إلى الحادية عشر ليلا، والغريب في هذه الحادثة الكبرى ما رواه الأخ الليبي أن خسائر الجيش الجزائري 11 شهيدا أما الفرنسي فكانت بالمئات ولكن الأغرب من ذلك حسبه أن الجيش الفرنسي كان يجمع القتلاء في أكوام ثم يحرقها بالبنزين[2].

1- نفسه.

2- "حديث مع مجاهد ليبي في جيش التحرير"، المجاهد، عدد 49، 20 ذي القعدة، 1378، 1959/5/1، ص 09.

ومهما تكن غرابة هذا الحادث فإنها ليست ببعيدة عن الفعل الفرنسي الذي تعود على ارتكاب كل شيء وتجاوز لكل القيم الإنسانية للأحياء منهم فما بالك بالأموات. ويمكن أن لا يكون هؤلاء المغروقين من جنده من جنود الفيلق الأجنبي وبالتالي فهو لا يعبأ بهم أصلا.

وحضر في معركة أخرى بجبل عرعر دامت أربعة أيام بلياليها وعميق الحصار على المجاهدين فيها ونفذ ما لديهم من المؤونة حتى أكلوا الحشيش ولحقهم إلى آخر المعركة.

وكان المجاهد الليبي شاهد عيان وفاعل ميدان في أهم معارك الجبل الأبيض بضواحي جنوب غرب تبسة والتي استخدم فيها العدو أعتى معداته ليمسك بصيد ثمين من المجاهدين، فقصف الجبل بالمدفعية الثقيلة لأربع ساعات متواصلة حتى حول النهار إلى ليل، وأتبع ذلك بزحف الدبابات وتغطية الطائرات لذلك الكهوف التي يتحصن بها المجاهدون ولكن الألغام المزروعة كانت بالمرصاد للدبابات فلجأت فرنسا برمي قنابل النابالم الحارقة والمحرمة دوليا من الطائرات، ولكن العزيمة وقوة الإيمان وما استخدم من مدافع حقيقة تمكن المجاهدون من اسقاط طائرتين من نوع ب 26، وهليكوبتر. وحسب الراوي ألهم طلبوا المنازلة من العدو. وربما كان يعني ألهم استدرجوا العدو لهذه المعركة وهي ظاهرة تكررت في ميدان المعارك[1].

وختم لنا هذا الشاهد الجهادي معايشته البطولية والأليمة في آن واحد إثر معركة على خط النار الجهنمي موريس الكهرب والملغم حين أرادت قيالق جيش التحرير تحرير شحنة من السلاح في خريف 1958، فكان هول الأمر من نار الخط وقوات فرنسا معا ودامت المعركة يومين كاملين ولكن الأمر انتهى بعبور السلاح وتكبد العدو سقوط طائرتين أمريكيتين الصنع ب 26 القاذفة والمطاردة.

1- "حديث مع مجاهد ليبي في جيش التحرير"، مصدر سابق.

ولم تفارق المجاهد الليبي آلام الأخوة والجهاد بما فقده من إخوة له في هذه المعركة أمثال أحمد بوزيان، ومحمد بن حريف، والضابط سي خبيب، وغيرهم ممن استشهد في هذه المعركة[1]. وبقي يستحضر مظاهر الشجاعة والتعاون والاحترام المتبادل.

5- يوسف مهدي:

متأصل ليبي قاتل عرف أن المعركة مع المستعمر هي أوسع من المعركة الميدانية، ولذلك كرس خدماته للثورة الجزائرية من خلال روح التضامن والتعاون وتقديم يد المساعدة وسند العوز ميدانيا، وعندما زار الرئيس فرحات عباس ليبيا وقدم له الشكر الجزائري كان رده أن يمنح الشكر له بالسماح له بعربية خمسين بما يعيمة جزائرية على نفقته، وطلب من الحكومة الليبية أن تقدم له بداية هذا الغرض فاستجابت له فأتتها وسافر لإيطاليا جلب الملابس والأحذية لكل واحدة،وأدخل البنات للمدرسة المجاورة يدرسن صباحا ومساء بالتعاون، ويمارسن الرياضة والخياطة والأعمال اليدوية وتشرف على خدمتهن امرأة جزائرية، وسائق جزائري. بل أن الرجل تكفل بنفقات العائلة التي تزور البنت كل ستة أشهر من تكاليف السفر، والإقامة .وقيل أن عديد المشاريع من هذا النوع وجدت بليبيا[2].

وفي مصادر أخرى أن الشيخ أرزقي[3] وهو من الشخصيات الإصلاحية التي تواجدت في ليبيا أثناء الثورة والذي كان يشرف على مركز لإيواء وإسعاف الجنود والجرحى ويسمى مدرسة النصر، وكان يعمل على التعبئة

1- نفسه.

2- أخ ليبي يضرب مثلا" المجاهد،العدد45، 05 صفر 1379، 10/08/1959، ص 05.

3- آيت بالعزيز عبد النور، الولوج الخاطئ لجهوده الإصلاحية ونشاطه التربوي، رسالة ماجستير، إشراف ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 1421-1422هـ، 2001-2002، ص 25، 27.

ونقل الأسلحة للثورة. وبعد عودته مرة ثانية لليبيا (طرابلس) أشرف على مدرسة جنزور التي بناها المحسن الليبي يوسف مادي[1].

6- شهادات ميدانية لمواقف ليبية داعمة للثورة الجزائرية:

إن روح التضامن الجزائري الليبي ليست جديدة ومن الجانبين. فمنذ بداية الاحتلال الإيطالي لليبيا والمواقف الإيجابية والدعم المادي والمعنوي للمقاومة الليبية من قبل الجزائريين جعل هذا الارتباط بين الثورة الجزائرية وليبيا مستمرا. ولذلك احتضنت العديد من الشخصيات الليبية وكذلك الحكومة والملك الليبي الثورة الجزائرية بخلفية الإخوة ورد الجميل.

وبحكم هذا الاحتضان الواسع فقد تعدد التضامن من الشخصيات المهمة إلى الرسميين، وفي ما يلي بعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر والتي ساهمت في نسج هذه العلاقات وصورت لنا الأعمال الميدانية التي عبرت عن الصداقة والوفاء تجاه الثورة الجزائرية.

أ – كانت هناك قوات جزائرية مرابطة في تونس وعلى الحدود الجزائرية وارتأت قيادة الثورة هناك أن توجه فيلقا عسكريا إلى الجنوب الغربي الليبي (فزان) لشن هجومات عسكرية على قرنسا داخل الجزائر بقيادة الرائد "إيدير" والمرشد السياسي محمد الصالح الصديق على رأس قوة عسكرية قوامها 600 جندي.

وظل كل من إيدير "والمرشد السياسي محمد الصالح الصديق على رأس هذه القوة العسكرية والسياسية وإن كان فعلها محدودا لكنها كانت تشوش على الاستعمار وتفرق توزيع قواه السياسية والعسكرية، وكان الدور الكبير الذي قامت به تتمثل في المحاضرات، ورفع للمعنويات ورفع التقارير للقيادة في تونس لمدة خمسة أشهر، ولكن الأهم من ذلك رفع مستوى الجاهزية لدى الفيلق العسكري وخاصة بعد الركود الكبير الذي شهده في تونس شمالا، ونظرا

1- ونعتقد أنه نفس الاسم السابق يوسف مهدي وإنما هناك اختلاف في النطق أو الترجمة.

خطورة الوضع على فرنسا فإنها ضغطت كثيرا على ليبيا من أجل إيقاف العمليات العسكرية على الجنوب الجزائري، ولكن الوفد الجزائري أقنع الضابط الليبي عبد الرحمان بادي المصراتي على استمرار المعاون الليبي الجزائري والبقاء في منطقة فزان وظلوا يؤدون هذه المهمة لمدة قاربت النصف السنة.

ب–كما كان من بين القائمين على الاتصال مع ليبيا شخصيات من التيار الإصلاحي أمثال محمد الصالح الصديق[1] الذي استطاع أن يجمع حوله العديد من رجال الإعلام لصالح القضية الجزائرية أثناء إشرافه على المكتب الإعلامي في ليبيا[2].

وحسب محمد الصالح الصديق أن الشهادة التي أدلى بها رابح مشحوذ بأن الذي دشن صوت الجزائر في ليبيا هو لين دباغين وأن (السيد مشحوذ) ألقى خطابا ضمنه يعد غير صحيح لأن الذي قام بذلك (الدشين) هو محمد الصالح الصديق مع البشير القاضي (من منطقة القبائل) وحسن يافي (على قيد الحياة).[3] وحسبه أن ليبيا عايشها عن كثب وهي تحتضن الثورة بالدعم المادي والمعنوي وجلب للسلاح على أيدي محمد إدريس السنوسي الذي كان يعطي اهتماما كبيرا للثورة. وهذا ما عزز علاقته مع التيار الإصلاحي وقيادة الثورة[4].

ج – وكذلك الشهادة التي أدلى بها محمد الطاهر قاهر الذي قال أنا كما تنظر إلى إدريس السنوسي على أنه رجل مؤمن محافظ على أداء الشعائر. بل أن الشاعر مصطفى عماري أخبره أن الملك يؤدي صلاة الصبح في المسجد مع الناس[5].

1- من تلاميذ جمعية ومدرس في الزيتونة و ألف أول كتاب في 1951 وهو اليوم لايزال على قيد الحياة وله مكتبة غنية من تأليفه في العوامس والتاريخ، والآداب، وحول الإصلاح.

2- عبد القادر نور، مرجع سابق، ص 162.

3- مقابلة مع محمد الصالح صديق، يوم 22، 08، بمنزله 2009.

4- محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص 65. و قيل أن الملك إدريس لمين بدأ جزائرية من أبناء الشهداء الذين كانت تأويهم حتى كبرت و تزوجت، كما أمل عمار عليلي: أن ليبيا من الدول العربية التي كانت في مقدمة الدول الداعمة للثورة. في مقابلة معه في 22، 08، 2009..

5- مقابلة مع محمد الطاهر قاهر يوم 24، 08، 2009. بمنزل الأوراسي.

د – كما كان للشيخ آيت علجت علاقات مع الشيخ صبحي الليبي(وهو عالم أزهري)، وتعززت بوجود آيت علجت في ليبيا أثناء الثورة لمدة ثلاث سنوات يشرف على الاعتناء بأبناء الشهداء وتعليمهم[1]. كما كان لتوفيق المدني عدة زيارات إلى ليبيا خلال الثورة والتقى خلالها بالملك إدريس السنوسي، وكان ضمن الوفد الجزائري الذي عقد عدة لقاءات مع المسؤولين الليبيين منذ ماي 1956 لتفعيل إمداد الثورة. وخاصة بعد توتر العلاقات المصرية الليبية بعد العدوان الثلاثي بسبب بقاء قوات إنجليزية بليبيا وهذا أثر على تموين الثورة الجزائرية ولذلك انتقل أحمد توفيق المدني إلى ليبيا في 19 ديسمبر 1956 وقابل خلالها الملك إدريس السنوسي لإعادة فتح الحدود ودعم الثورة[2].

07– أما عن الكتابات المشرقية وأهم أقلامها فإنها كثيرة ولا يمكن حصرها، ويحكم أن الموضوع يحتاج إلى إكمال المشهد في النوع الذي عرفته الأقلام المعاصرة للثورة فإنه يجدر بنا الإشارة إلى الجهد الكبير والمجال الفسيح الذي فتحته مجلة الآداب البيروتية للتعريف بها وطلب الدعم المادي والمعنوي لها من خلال الشخصيات السياسية والعلمية من مختلف الأقطار العربية والدفع بالمضامين مع الشعب الجزائري، وفي هذا المقام يمكن أن نوجه الاهتمام إلى هذه المجلة بما احتوته من مقالات تتعلق بالثورة الجزائرية والتي فاقت المائة وخمسة وسبعون مقالا تناولت معظم القضايا السياسية والثقافية والاجتماعية ابتداء من سنة 1954إلى سنة 1962، وهي ثرية بالكتابات عن الثورة ولها رموز سياسية وعلمية تعاطفت مع الثورة، ومن المقالات ما كانت تنشر باسم المجلة ذاتها.

1- مقابلة مع الشيخ آيت علجت في 24، 08، 2009.

2- صيفي عبد القادر، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر، 1899–1993، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2006–2007، ص201، 202.

ومن الذين كتبوا فيها على سبيل المثال عن الثورة وممارسات الاستعمار بالجزائر: محمد الجنيدي، كاظم جواد، جون بول سارتر، وعلي الحلبي، وقطاع صفدي، ومحمد جميل شلش وجلال السمرائي... وغيرهم من الأقلام وفيها أيضا الكثير من الكتابات لبعض الجزائريين[1].

ونعتقد أن الثورة الجزائرية جاءت بعد احتلال طال أمده وتعددت وسائل بطشه واستغلاله للسكان ولذلك كانت ردة الفعل قوية من الجزائريين فتفجرت في أعنف ثورة على الاستعمار الحديث في العالم .

وفضلا عن الخلل في تعدد الشرائح الاجتماعية الجزائرية التي ساندت الثورة داخليا من مثقفين وعمال ومعمرين ومفرنسين وفي مختلف جهات الوطن وكان العبء ثقيلا من حيث التضحيات، والمشرد والمهجرة نتيجة الصدام القوي بين الطموح الاستعماري المرافق على البقاء والإصرار الوطني المصمم على التحرر.

كان الخلل أيضا في صداها على الصعيد العالمي من حيث تعدد الدول والشخصيات العالمية من مختلف القارات التي أيدتها، ومن خلال هذا العمل المتواضع نقف على هذه الحقيقة التي أظهرت الثورة الجزائرية فعلا أنها كانت ثورة عالمية من خلال أفكارها، والقوى التي ساندتها والأقلام الحرة والمسخرة في القارات المختلفة.

1- كمال بومنية، قضايا الثورة الجزائرية، في مجلة الآداب البيروتية1954-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011، جدول إحصائي ص 255.

قائمة المصادر والمراجع

الأرشيف التونسي:

– ملف منظمة طلبة شمال إفريقيا. مركز الوثيق القومي، تونس، 44. A.A.

الأرشيف الفرنسي:

-A.O.M gouvernement général, B93/4127 (Âges des émigrés de la C.M Guergour)..

-A.O.M Émigration en France des travailleurs de la commune Mixte de Sadrata, B93/4127.de la région Lyonnaise.

- A.N.O.M, G.G.A, 9II/46 surveillance politique des indigènes, voyage de lamine lamoudi et du cheikh el Hadi senoussi le 13/10/1937.

- A.N.O.M, G.G.A, S.I..N.A, 93/4280, correspondance au ministre de la justice, copie de l'expose adressé le 12 juillet 1952 au Ministre de la justice p.01.

-A.N.O.M, F.D.C, 93/ 4274, l'activité des oulémas rapport du; 15,01, 1952.

-A.N.O.M, F.D.C ,93/ 4248: l'activité des oulémas, rapport ; 16,01, 1952.

- A.N.O.M,.F.D.A, 91/ 4I14, l'activitéde l'association des oulémas d'Algérie à l'étranger, conseil administratif, annexes, p 22.

A.N.O.M,.F.D.A, 91/ 4I14, l'activitéde l' association des oulémas d'Algérie à l'étranger, en métropole, P 09.

– A.N.O.M, F.D.C, 93/4274, Activité du Cheikh KhairEddine, le 5 Mars 1952.

- A.O.M.16 H 101.LA MACQUE

- A.O.M gouvernement général, B93/4127 (Âges des émigrés de la C.M Guergour)..

- A.O.M Émigration en France des travailleurs de la commune Mixte de Sadrata, B93/4127.

- A.O.M Émigration en France des travailleurs de la commune Mixte de Sadrata, B93/4127..

- A.N.O.M, G.G.A, 9II/46 surveillance politique des indigènes, voyage de lamine lamoudi et du cheikh el Hadi senoussi le 13/10/1937.

- A.N.O.M, G.G.A, S.I..N.A, 93/4280, correspondance au ministre de la justice, copie de l'expose adressé le 12 juillet 1952 au Ministre de la justice p.01.

- A.N.O.M, F.D.C, 93/ 4274, l'activité des oulémas rapport du; 15,01, 1952.

-A.N.O.M, F.D.C ,93/ 4248: l'activité des oulémas, rapport ; 16,01, 1952.

-A.N.O.M,.F.D.A, 91/ 4I14, l'activitéde l'association des oulémas d'Algérie à l'étranger, conseil administratif, annexes, p 22.

- A.N.O.M,.F.D.A, 91/ 4I14, l'activitéde l' association des oulémas d'Algérie à l'étranger, en métropole, P 09.

- A.N.O.M, F.D.C, 93/4274, Activité du Cheikh KhairEddine, le 5 Mars **1952.**

- A.O.M, F.D.A, 91/4I28, panislamisme, Note sur le front de défense de l'Afrique du nord. D°: N 5 COPIE le 26/08/1945..

- A.M.A.E, Afrique le vont 19441959, Algérie 194441952, D 436964, k382, questions politiques, FOUDIL. WARTILANI, document n 183 Télégramme n 224, le 05 /07/1947.

- A.M.A.E, Afrique levont 19441959, Algérie 194441952, D 436964, k382, questions politiques, FOUDIL. WARTILANI, DN° 186.

- A.M.A.E, Afrique le vont 19441959, Algérie 194441952, D 436964, k382, questions politiques, FOUDIL. WARTILANI, DN° 189.

- A.M.A.E, Afrique le vont 19441959, Algérie 194441952, D 436964, k382, questions politiques, FOUDIL. WARTILANI, DN° 188.

- A.M.A.E, Afrique le vont 19441959, Algérie 194441952, D 436964, k382, questions politiques, FOUDIL. WARTILANI, Télégramme, le Caire, le 27 mars 1948, D: N 248.

- A.M.A.E, Afrique le vont 19441959, Algérie 194441952, D436964, k382, questions politiques, FOUDIL. WARTILANI, Télégramme, Aden le 23 mars 1948, D: N 243.

- A.M.A.E, Afrique le vont 19441959, Algérie 194441952, D 436964, k382, questions politiques, correspondance du, Ministère de la France d'outremer ou Ministre des affaires Etrangères. D N° 267.

- A.M.A.E, Afrique le vont 19441959, Algérie 194441952, D 436964, k382, questions politiques, correspondance du, Ministère de la France d'outremer ou Ministre des affaires Etrangères. D N° 237.
- A.M.A.E, Afrique le vont 19441959, Algérie 194441952, D 436964, k382, questions politiques, correspondance du, Ministère de la France d'outremer ou Ministre des affaires Etrangères. D N° 257.
- A.M.A.E, Afrique le vont 19441959, Algérie 194441952, D 436964, k382, questions politiques, correspondance du, Ministère de la France d'outremer ou Ministre des affaires Etrangères. D N° 25.

المصادر باللغة العربية:

- الإبراهيمي محمد البشير، الآثار، ج2، ط 01، ش و ن ت، الجزائر ن 1981.
- الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، م و ك، الجزائر، 1985.
- ابن باديس، الآثار الإمام عبد الحميد ج4، ط1، 1406هـ/1985، دار البعث، الجزائر.
- حربي محمد، جبهة التحرير الوطني بين الأسطورة والواقع، ترجمة كيميل قيصر داغر، ط 1، دار الحكمة، لبنان.
- البنا حسن، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، شركة الشهاب الجزائر، د ت ط، ص196.
- بوحارة عبد الرزاق، ممايع التحرير أجيال في مواجهة القدر، ترجمة صالح عبد النوري، دار القصبة، الجزائر، 2006.
- خوجة حمدان بن عثمان، المرآة تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، ط2، ش و ن
- خير الدين محمد، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج01، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ت ط.

- الزبيري الطاهر، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين 1929-1962، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- زروال محمد، إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية الولاية الأولى نموذجا الطبعة الرسمية، الجزائر، 2007.
- شيبوط ابراهيم سلطان، زيغود يوسف الذي عرفته، منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 2011، ص 4147.
- العنتري محمد الصالح، تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1991.
- كافي علي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 19461962، دار القصبة للنشر، الجزائر.
- المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، ج2، م. و. ك، الجزائر 1988.
- مقصي حسن إبراهيم، دعاة لا قضاة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د.ت. ط، الجزائر.
- الورتيلاني الفضيل، الجزائر الثائرة، ، ط4، دار الهدى، الجزائر، 2007.

الدوريات المصدرية:

الإرادة:

- محمد سوهر، «جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا» الإرادة، ع70، س1، 26ذي الحجة 1352، 10، 04، 1934، ص1

البصائر مرتبة حسب الأعداد:

- مجهول، "جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا"، البصائر، ع65، 18، صفر، 1356، 30 أفريل 1937، ص 8

- الإبراهيمي، "فلسطين" البصائر، العدد 21، س 04، 1 ربيع الأول 1367،22 فيفري 1948، ص:1.

- "حركة الإصلاح بالمسيلة" البصائر، 24 جمادى الثانية 1358 هـ، 11، 08، 1939، ص 2.

- الإبراهيمي، "الإنجليز حلقة الشر المفرغة"، البصائر، العدد 24، 19 ربيع الثاني 1967، 01 مارس 1948، ص 1.

- «احتجاج البصائر على تعطيل المؤتمر(طلبة شمال إفريقيا)»، البصائر، ع39، س1، 30رجب 1355، 16/10/1936، ص3.

- مدير..."البصائر، العدد 46، السنة2، 18شوال1367هـ، 23أوت 1948، ص4.

- الإبراهيمي، "دعوة على المنصف"، عدد 49، البصائر، السنة الثانية، 2 ذي القعدة 1367 هـ، سبتمبر1948، ص."مدير...." البصائر، العدد 47، السنة 2، ذي القعدة1367هـ، 27 سبتمبر 1948م، ص:4.

- "مدير..."البصائر، العدد 50، السنة 2، 17القعدة 1367هـ، 20 سبتمبر1948م، ص: 3.

- الخد سحنون، "المنصف"، البصائر، عدد 51، السنة 2، 24 ذي القعدة 1367هـ، 27 سبتمبر 1949، ص 2.

- أبو محمد، "مدير السياسة العالمية"، البصائر، ع52، س 2، 8 ذي الحجة 1367، 11 أكتوبر 1948، ص3.

- الهيئة العربية العليا"رسالة من مفتي فلسطين الأكبر"البصائر، عدد52، السنة2، 8 ذي الحجة 1367هـ، 11 أكتوبر1948م ص:1.

- الإبراهيمي، كيف تشكلت الهيئة العليا لإغاثة فلسطين، البصائر،ع 59، س 2، 5 ذي الحجة 1367، 19 أكتوبر 1948، ص 1.
- "مدير..." البصائر، العدد 60، السنة 2، 18 صفر 1368ه، 20 ديسمبر 1948 م ص:4.
" مدير..."البصائر، العدد61، السنة2، 25 صفر 1468هـ، 27 ديسمبر 1948م، ص: 5.
- أبو محمد، "في الشمال الإفريقي" البصائر، العدد 87، السنة 2، رمضان 1368هـ، 18جويلية 1949، ص 5.
- " مدير..."البصائر، العدد 102، السنة3، 19ربيع 1369هـ، 9جانفي1950م، ص:5.
- سليم الطيب، "الحديث عن الشباب"، البصائر، ع108، س2، 16 محرم 1356، 18، 08، 1938، ص8.
- ((مع جمعية العلماء)) البصائر، 110، 21 صفر 1357 هـ، 22، 4، 1938م، ص 2.
- كبوية عيسى، تأسيس شعبة، البصائر، ع 128، 11 رمضان 1357 هـ، 4، 11، 1938م، ص 7.
- عبد الحميد بن باديس، ((الزوايا وغاياتها)) البصائر، عدد 148، ذي القعدة 1357 هـ18 جانفي1939م، ص 1.
- في الشمال الإفريقي البصائر، العدد 151، السنة 4، 10 رجب 1370 هـ6 أفريل 1951 ص 6.
- مدير السياسة العالمية، "البصائر، عدد 154، السنة 4، ص 4، 5.
- بدون كاتب، البصائر، ع 164، س 4، 19 شوال 1370، 28جويلية1951، ص 4.

- "السياسة" البصائر، ع 168، 13 ربيع الثاني 1358 هـ، 2، 6، 1939م، ص 4البصائر، عدد 172، السنة الرابعة، 15 أكتوبر 1951، ص 3.
- الإبراهيمي، "تضامنا مع الشعب الليبي"، البصائر، 179، السنة 4، 9 ربيع الثاني ه1371، 7 جانفي 1952، ص 13.
- بدون كاتب، "تونس المجاهدة"، البصائر، العدد، 182 السنة 7، 16 ذي القعدة 1373هـ، 16 جويلية 1954 ، ص 16.
- بدون كاتب "رحلة الأمعاذ الجليل إلى الشرق "البصائر، العدد 188، السنة 5، 12 رجب 1371هـ7 أفريل 1952م، ص2.
- "سير السياسة العالمية"، البصائر، ع 199، س 05، 11 ذي الحجة 1371، سبتمبر 1952، ص 4.
- مكتب جمعية العلماء بالقاهرة، "برقيات احتجاج"، البصائر، العدد 240، السنة 6، 16محرم 1373هـ، 25 سبتمبر، 1953م، ص: 1.وذكر ذلك الشيخ الإبراهيمي في آثاره، ج4، ص:89.
- "مساعي جمعية العلماء في قضية بورقيبة"، البصائر، ع 279، السنة 7، 16 ذي القعدة 1373 هـ، 16 جويلية 1954، ص 6.
- بدون كاتب "الإخوان المسلمون" البصائر. العدد 280، السنة 7،23 ذي القعدة 1373 هـ، 23 جويلية 1954م. ص 8.
- الفضيل الورتيلاني، "سياسة فرنسا الاستعمارية" البصائر، العدد 284، 13محرم 1374هـ، 10 سبتمبر 1954، ص: 8.
- "سير...."البصائر، العدد، 294، السنة 7، 30 جمادى الثانية 1374هـ، 26 نوفمبر 1954م، ص 4.
- "سير..." البصائر، العدد 300، السنة7، 13 جمادى الثانية 1374هـ، 17، 2، 1954، ص 4.
- "سير السياسة العالمية"، البصائر، ع 321، س 08، 10 محرم 1375، 20 سبتمبر 1955، ص 4.

- " مدير السياسة العالمية، البصائر، العدد 252، السنة 8، 21 جمادي الثاني 1375هـ، 3 فيفري 1956م، ص:4.

الزهـــــرة

-بن ميلاد أحمد، «مؤتمر طلبة شمال إفريقيا»، الزهرة، (لم أعثر على العدد) ص44، 18ربيع الثاني 1350، 1931/09/1، ص2.

الشهاب مرتبة حسب الأعداد:

- ابن باديس، الشهاب ج7م2شوال1349مارس1931 ص 115117.
- الجيلالي محمد بن العابد، «طلبة الشمال الإفريقي» الشهاب، م8، ج9، ص8، 1جمادى الأولى1351هـ، سبتمبر 1932، ص489.
- باعزيز عمر الشيخ، ((الزوايا بالزواوة))، الشهاب، ج2، المجلد 9، شوال 1351 هـ، ص 75
- «النشرة السنوية لطلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، الشهاب، ج8، م7، السنة 7، ص212.
- عبد الحميد بن باديس، الشهاب، م11أول شعبان 1354، نوفمبر 1935.
- ابن باديس، الشهاب، ج4م13 نوفمبر 1937، ص408.

صدى الصحراء:

- صدى الصحراء، العدد 10، السنة الاولى، 28 رجب 1344 هـ، 8 فيفري 1926، ص 2.

جريدة المجاهد حسب ترتيب الأعداد:

- بن طوبال الأخضر، القائد الثاني للولاية الثانية، "مستمر مهما كان ثمن الانتصار"، المجاهد، ع 03، بدون تاريخ، ص09.
- ويرسينةجيسلر، "حربنا التحريرية كما تراها الصحافة الألمانية" المجاهد، العدد 13، 1 نوفمبر 1957. ص05.

- كبة ابراهيم، " أضواء عراقية على ثورة الجزائر"، المجاهد، ع 28، 82 أوت 1958.، ص 07.
- الجنرال جيابب، "الجنرال جيابب يطل ديان بيان فو يتحدث إلى المجاهد"، المجاهد، ع 81، ص 06.
- "حديث مع مجاهد ليبي في جيش المحرير"، المجاهد، عدد 48، 25 ذي القعدة، 1378، 1/6/1959، ص 09.
-"أخ ليبي يضرب مثلا" المجاهد، العدد 48، 06 صفر 1379، 10/008/01959.، ص 08.

المنـــــار:

- بدون كاتب، "الاحتفال بدار طلبة معهد بن باديس"، المنار، العدد 49، السنة الثالثة، 14 ربيع الأول 1378 هـــ، 220 نوفمبر 1958، ص 2.

المتقـــــد:

- عبد الحميد بن باديس، المتقد، العدد 8، 20 محرم 1344هـــ20أوت 1925.

بقلم كتابة الجمعية، الأطلس، ع6، س1، 12 محرم 1856، 26، 03، 1927، ص1.

الدوريات الصدرية باللغة الفرنسية:

- Gouvernement Général de l'Algérie « les réactions dans le monde musulman», Bulletin des questions islamiques, Décembre1954, P:138
- Gouvernements Général de l'Algérie «les frères musulmans en Égypte» Bulletin des questions islamiques N256: Décembre1954, P:115.
- Malek Bennabi, «Haçan el banna» le jeune musulman, N°:16,1er année, Djemada 2, 1372 ,27 février, 1953, P: 1.
- SEYD Qotb « le génie de Haçan El. Banna », Le Jeune Musulman, N° 26, 2ème année 8Djemada2, 1373,2811954.P:07.
- Bulletin Mensuel de presse Indigène d'Algérie Mais d'octobre 1938 p9.

المراجع باللغة العربية:

- الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج4، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985.
- الإبراهيمي، الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، د ت ط، 2007.
- أجيرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ط2، د.م.ج، الجزائر، 1982.
- ابن باديس، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج4، ط1، دار البعث الجزائر، ص51.
- بلغيث محمد الأمين، تاريخ الجزائر المعاصرة دراسات ووثائق، ط2، دار بن كثير، بيروت، 2007.
- بزيان سعدي، دور الطبقةويشرف العاملة في المهجر وفي ثورة نوفمبر 1954 التاريخ السياسي والنضالي للعمال الجزائريين من نجو شمال إفريقيا إلى الاستقلال، ط2، منشورات تالة، الابيار، الجزائر 2009 ص08.
- ابن شعيب محمد بن علي، أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث ، قسنطينة، الجزائر، 1980 ص 71
- بو الصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الجزائرية 1945-1931، ط1، دار البعث، الجزائر، 1401،1981.
- بوعزة بوضرساية وآخرون المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007.
- بوعزيز يحي، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (19301945) ديوان المطبوعات، بن عكنون، الجزائر، 1999.

- تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، ط2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 2008.
- الجابري محمد الصالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.
- جبلي الطاهر، مأساة اللاجئين الجزائريين على الحدود الشرقية خلال الثورة التحريرية 19541962، المصادر، العدد 20، 2009، ص 269.
- جويبة كمال، قضايا الثورة الجزائرية، في مجلة الآداب البيروتية 1954-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011، جدول إحصائي .
- الخطيب الدكتور احمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.
- رحيلة عامر، الثورة الجزائرية والمغرب العربي، المصادر، ع01، 1419 /1999.
- الرفاعي عبد العزيز، الديمقراطية والأحزاب السياسية في مصر الحديثة والمعاصرة 1870 – 1956، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1977.
- الركيبي عبد الله قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، م.و. ك. الجزائر ص:61.
- زرهوني الطاهر، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، الثقافة ع، 95، السنة السادسة عشر، محرم، صفر 1407هـ سبتمبرأكتوبر1986.
- زروال محمد، دور المنطقة السادسة من الولاية الأولى في الثورة التحريرية، دار هومة للطباعة، الجزائر، 2011، ص زروال محمد، الملامشة في الثورة، دار عمر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 366.
- درواز الهادي أحمد تمام، من تراث الولاية السادسة التاريخية، ط 01، دار هومة، 2006.

- شيبان عبد الرحمان، مقدمة مجلة الشهاب، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2000، .
- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء، القسم الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1981،.
- سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصرة، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996.
- سعد الله، تاريخ ابو القاسم الجزائر الثقافي، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي 1998، ص 341.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط، 1دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998 ص600.
- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، (1830-1900)، ج 1.
- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1992.
- سعد الله أبو القاسم، أفكار جامحة، م و ك، 1988، الجزائر.
- سعدي بزيان، دور الطبقة العاملة في الهجرة وفي ثورة نوفمبر 1954 التاريخ السياسي والنضالي للعمال الجزائريين من نحو شمال إفريقيا إلى الاستقلال، ط2، منشورات تالة، الابيار، الجزائر 2009.
- سعيداني الطاهر، القاعدة الشرقية القلب النابض، دار هومة، الجزائر، 2010.
- طمار محمد، تاريخ الأدب الجزائري، د ط، ش و ن ت، الجزائر، 2010.
- ولد خليفة محمد العربي، فرنسا تعذب في الجزائر.
- فضائع سياسة التعذيب والجريمة المنظمة.
- المصادر ع5 المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 1422/2001.

- عادل عبدالهادي، المحكمة الجنائية الدولية، ط1، دار النهضة العربية، 2002.
-عبد الواحد عثمان إسماعيل، الجرائم ضد الإنسانية، إشراف علي محمد حسين حماد، جامعة نايف، السعودية، 2006.
- القاسمي علال ، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط6، مؤسسة علال القاسمي، 2008.
- قداش محفوظ، الأمير خالد، وثائق وشهادات لدراسة الحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1987 ص 42.
- القرضاوي يوسف، مقومات الفكر الاصلاحي عند الامام محمد البشير الابراهيمي، دار الوعي ط1، 2007م.
- علاء طاهر، العالم الإسلامي في الاستراتيجيات العالمية المعاصرة، ط 1، مركز الدراسات العربي والأوروبي، دار بلال، بيروت، لبنان، 1998.
- عواطف عبد الرحمان، مصر وفلسطين، ط 2، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ربيع الأول 1400 هـ فيفري 1980 م.
- عومر مولود، ، أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، ط 1، 1428، 2007، دار الخلدونية، الجزائر
- فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها "ليل الاستعمار" ت: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المغرب.
- ناصر محمد، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- صاري أحمد، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر، المطبعة العربي، الجزائر، 2004.

- عماري الجيلالي، هجرة الجزائريين نحو أوربا، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1954-2007.
- رجاء الصديق، أضواء كاشفة على محطات بارزة من حياة الأديب الأستاذ محمد الصالح الصديق، تصدير عبد الرحمان شيبان، وتقديم أحمد بن نعمان، دار الأمة 2007، ص 168.
- زوزو عبد الحميد، الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1954-1930) نحو شمال افريقيا، وحزب الشعب، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007.
- عادل عبد الهادي، المحكمة الجنائية الدولية، ط1، دار النهضة العربية، 2002، .
- عبد الواحد عثمان إسماعيل، الجرائم ضد الإنسانية، إشراف علي محمد حسين حماد، جامعة نايف، السعودية، 2006.
- العلوي محمد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية من 1830، حتى ثورة نوفمبر 1954، دار البعث، قسنطينة، الجزائر 1406/1985.
- هلال عمار، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الاسلامية فيما بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، 14/3 هـ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- الماجري عبد الكريم، هجرة الجزائريين والطرابلسيين والمغاربة الجوانة إلى تونس، 1881-1937، ط 1، تونس، 2010.
- محمد الصالح الصديق، اعلام من منطقة القبائل، ج 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

-محمد الصالح الصديق، رحلة في أعماق الثورة مع العقيد أعزوزن (بربروش) دار هومة، الجزائر، .

- محمد الصالح الصديق، السراج المنير، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

- محمد الصالح الصديق، الشعب الليبي الشقيق في جهاد الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010.

- محمد عبد المنعم عبد الغني، الجرائم الدولية دراسة في القانون الدولي الجنائي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2008.

- مراد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامي في الجزائر، دار الحكمة، ط1 د ت ط، .

- مطيقاي مازن صلاح، عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، دار القلم، ط2دمشق، 1999.

- مقلاتي عبد الله، قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط1، منشورات بلوتو، الجزائر 2009،.

- مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الثورة الجزائرية ونصوصها الأساسية، ديوان المطبوعات الجامعية، 201255.

- مولود عويمر، أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، ط 1، 1428، 2007، دار الخلدونية، الجزائر.

- الورتيلاني مسعود نجل الفضيل الورتيلاني "الشيخ الفضيل الورتيلاني"، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 30 ربيع الثاني، 30 جوان 2008.

المراجع باللغة الفرنسية:

- Anne Ray Cotdzeiguer, origine de la guerre d'Algérie 1940-1945 ed,casba , Alger ,2002, p187.

- AMAR HELLAL, le mouvementréformiste Algérien les homes et l'histoire (18311957), OPU, 2002 , P 190 192.

- KADDACH MAH FOUD, histoire du nationalisme Algerienne, 2 Ed, ENAL, Algérie.

- Grope d'études et de recherches, la Palestine en question, Tome I, Edition SNED Algérie0,S,D.

- MEJRI ABDELKRIM, " Être Magrébin musulman" immegre en Tunisie depuis la conquête de l'Algérie jusqu' a la veille de la deuxième guerre mondiale 1830 - 1937, mediterraneane world xx, published by the mediterraneanstudies group, Tokyo, 1010, p 7273.

الدوريات باللغة العربية:

- بلقاسم محمد، «وحدة المغرب العربي من خلال قرارات المؤتمر الحادي عشر لجمعية الطلبة المسلمين الشمال أفارقة، تونس 1950"، المصادر، ع11، السداسي الأول 2005، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954، ص269277.

- بن جابو أحمد، "المهاجرون الجزائريون بمناجم قفصة بتونس"، المصادر، ع 22 السداسي الثاني، 1010، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، ص ص208-212.

- بن جابو أحمد، أوضاع الجالية الجزائرية بتونس مابين 1830-1881، حوليات التاريخ والجغرافيا، ع 06، ديسمبر 2012، المدرسة العليا للأساتذة، ص ص284.

- تركي رابح، "وضعية النساء الجزائريات في التعليم والعمل في عهد الاحتلال وبعد الاستقلال، الثقافة ع84، السنة الرابعة عشر، صفر، ربيع الأول 1405هـ نوفمبر ديسمبر 1984.

- جباري عبد المجيد، تربية روح الإبداع "المضامين، ذو الحجة 1413 جوان 1993.ص ص 42، 47.

- حوتية محمد، "تيميمون ومعارك العرق الغربي"، المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،ع 20، 2009، ص ص333- 355.

- سخيين عصام، "نهم فلسطين الوسطى إلى شرقي الأردن 1948-1950"، شؤون فلسطينية، العدد 40، كانون الأول، ديسمبر 1974، بيروت، لبنان، ص:5960.

- سعد الله أبو القاسم، «مع العياشي في رحلته إلى القدس»، مجلة التاريخ العربي، عدد 10، 1420 هـ، ص. 194.

- شريفيبوعلام، جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر كل لا يتجزأ، مجلة أول نوفمبر ع 176، ديسمبر 2001.

- صاري احمد "الجديد عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر وقسنطينة"، مجلة الآداب والعلوم والإنسانية، ع2، محرم 1424، مارس 2003 جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر.ص25.

- صاري أحمد "دور المهاجرين الجزائريين في الثورة التحريرية"، المصادر، ع1، صيف 1999، ص ص238-248.

- قنانش محمد ((الإيديولوجية السياسية للحركة الوطنية الجزائرية أو الحركة الوطنية بين عقيدة الإصلاح وروح الثورة))، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، النصف الأول من سنة 1986.
- قنايزية علي، "الدور الاستراتيجي لوادي سوف في تجميع السلاح للثورة التحريرية"، مجلة البحوث والدراسات،المركز الجامعي بالوادي،ع09،1431هـ، 2010، ص 47.
- لكحايشي عزيز، "قراءة نقدية في رحلة محمد الزاهي الميلي من باريس إلى قسنطينة"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ع7 شوال1427، نوفمبر 2006، ص ص139-143.
- عمار هلال، "من الشخصيات الجزائرية التي لم ينفض عنها الغبار بعد. الشيخ – عبد العزيز بن الهاشمي "الثقافة، ع 93، س 06، محرم صفر 1407، سبتمبر / أكتوبر 1986.
- محمد عبد المنعم عبد الغني، الجرائم الدولية دراسة في القانون الدولي الجنائي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2008
- مجلة البحوث التاريخية، ع2، السنة الأولى جوان 1984، كلية الفاتح ليبيا، ص 328.
- منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 مجلة المصادر، ع4، 1421 هـ، 2001، ص 228.
- ولد خليفة محمد العربي فرنسا تعذب في الجزائر فضائع سياسة التعذيب والجريمة المنظمة المصادر5 المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 1422/2001، ص 182.

الندوات والملتقيات:

- تابليت علي، "قرحات عباس رجل دولة" أعمال الندوة الوطنية: الرهانات الوطنية وتأثير المتغيرات الدولية في المغرب العربي، المغرب، ص 6181.
- صاري أحمد، "ابن باديس بين سراب فرنسا الديمقراطية وحقيقة فرنسا الاستعمارية"، أعمال ندوة، الرهانات الوطنية وتأثير المتغيرات في المغرب العربي "جامعة الوبل. إسماعيل، مكناس، المغرب ص ص125142.
- الغربي الغالي، "السياسة الفرنسية لفصل الصحراء وردود الفعل الوطنية"، سلسلة الملتقيات، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ثورة أول نوفمبر 1954، ص ص 53، 55
- قنطاري محمد، "استراتيجية السياسة الفرنسية في محاولة فصل الصحراء الجزائرية"، سلسلة الملتقيات، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، مرجع سابق، ص 178.

الرسائل الجامعية

- أيتباعزيز عبد النور، الولوه الحافظي جهوده الإصلاحية ونشاطه التربوي، رسالة ماجستير، إشراف ناصر الدين سعيدوني قسم التاريخ، جامعة الجزائر 31422-1421هـ، 2001-2002.

بلقاسم محمد، الاتجاه الوحدوي للمغرب العربي 1910-1954، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1993– 1994.

- بيرم كمال، بلدية المسيلة المختلطة، دراسة اقتصادية اجتماعية (1845-1884)، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2006.
- هيدي أبوبكر الصديق، القضايا العربية من خلال جريدة البصائر، رسالة ماجستير، 1004، الجزائر، ص 85.

- حليفي عبد القادر، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر، 1899-1983، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1427-1428هـ- 2006-2007.
- فايد بشير، الشيخ البشير الإبراهيمي ودوره في القضية الوطنية، 19201965 ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2001، ص 119.
- شنواح حكيمة، المبادئ التعليمية لقيادة الثورة الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير إشراف زوزو عبد الحميد، قسم التاريخ، الجزائر، 2000-2001، ص 56.

المعاجم:

- بوعمران الشيخ، معجم مشاهير المغاربة تمسيق، جامعة الجزائر، 1995، ص 186-191.

الفهرس العام

المحور الأول

الجرائم الفرنسية

الجرائم الفرنسية في ظل القوانين والأعراف الدولية..... 5

أحداث الثامن ماي والاعتراف الفرنسي بالحقيقة التاريخية..... 17

المحور الثاني

الهجـــــــرة

هجرة الجنوب الشرقي الجزائري نحو تونس1850/1950..... 27

مواطن الهجرة الجزائرية ووجهتها نحو فرنسا..... 39

المحور الثالث

النشاط الإصلاحي

النخبة الإصلاحية الجزائرية وعلاقتها بالمشرق العربي..... 59

تجربة التعليم الحر لدى الحركة الإصلاحية الجزائرية..... 77

العلاقة بين الطرق الصوفية والحركة الإصلاحية الجزائرية..... 87

المدرسة الباديسية والبعد المغاربي..... 99

الحركة الإصلاحية الجزائرية و حركة التحرر العربي..... 123

ثقافة الحوار لدى الحركة الإصلاحية الجزائرية..... 135

المحور الرابع

الثورة الجزائرية

محمد الصالح الصديق والثورة التحريرية..... 145

دور الجنوب الجزائري في الدعم العسكري للثورة..... 161

البعد العسكري ومنهجية التخطيط لدى زيغود يوسف..... 175

ظهور القاعدة الشرقية وتطور علاقتها بالقيادة الثورية..... 187

شهادات ميدانية من طرف أصدقاء ثورة التحرير الجزائري..... 199

قائمة المصادر والمراجع..... 211

الفهرس العام..... 231

الجزائر العاصمة على مقابسع

ديوان المطبوعات الجامعية

1، الساحة المركزية - بن عكنون - الجزائر